الإخوان المسلمون

من الدعوة إلى الجهاد المسلح

صبــري خطاب

الطبــعــة الأولـــــــى

2021م- 1442هـ

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

ديوان العرب

حقوق حلمك

عنـــوان الكتاب: الإخوان المسلمون من الدعوة إلى الجهاد المسلح

اســـم المـؤلف: صبري خطاب

التصنيف الأدبي: دراسة علمية

رقـم الإيـــداع: 21289 / 2021

الترقيـم الدولي: 8 - 229 - 998 - 977 – 978

مـراجـعـة فـنـية: د. هبة ماردين **تـصـمـيـم الغلاف: نـور حســن**

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه **رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى**

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهـذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

الإخوان المسلمون

من الدعوة إلى الجهاد المسلح

صبـــري خـطـاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إهداء لحبايبي / لوجين وسيف

إهداء لبلدي / قرية وردان - منشأة القناطر – الجيزة

صبري خطاب

****

إهداء للسيد رئيس الجمهورية / عبد الفتاح السيسي

قسماً بالله اللي هيقربلها لأشيله من فوق وش الأرض

إحنا مش بتوع حداد — احنا بركان غضبه قاد

حق كل شهيد هيفضل — في رقبتنا وليه ميعاد

احنا 100 مليون مبروك — ما نسينا ابنك وأخوك

كل شهيد ضحى لينا — حي عمره في يوم ما مات

في البلد قائد عظيم — واتقـــوا شـــــــر الحليم

اللي روحه فوق كتافه — كلنا ظهـــره وحـمـــاه

هو ده رمز البلاد — اللي شال عنها السواد

مصر دايماً أقوى بيه — وهنبقى للآخر معاه

احنا مش بتوع حداد — احنا بركان غضبه قاد

حق كل شهيد هيفضل — في رقبتنا وليه ميعاد

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَل أحيَاءٌعِند رَبِّهِم ْيُرْزَقُونَ "

سيناء أرض الأنبياء ورمز الصمود والتحدي، ضحى على أرضها أشجع الرجال بأرواحهم الذكية بإرادة تامة طالبين الشهادة والمجد دفاعاً عن الوطن... وهؤلاء الأبطال الذين تسابقوا للعمل في سيناء ونالوا الشهادة ، العميد أركان حرب / مصطفى عبيدو، والذي كرم السيد الرئيس / عبد الفتاح السيسي، أسرته بمناسبة عيد الشهيد عام 2021م.

ولد العميد أ.ح / مصطفى عبيدو ، في الخامس من يونيو 1975 في قرية وردان - منشأة القناطر - جيزة ، ثم تخرج من الكلية الحربية عام 1996م الدفعة 90 سلاح المشاة على الطريق الدولي لقرية سبيكه ببير العبد بشمال سيناء، زرع الإرهابيون عبوة ناسفة ليلحق البطل بركب الشهداء.

استشهد العميد البطل/ مصطفى عبيدو - قائد اللواء 134 مشاه يوم الأحد 11 فبراير 2020م ببئر العبد بشمال سيناء.

كان الشهيد البطل العميد أ.ح / مصطفى عبيدو ، يمتلك السيرة الحسنة والأخلاق الرفيعة جعلت جنازته مهيبة يشارك فيها الآلاف من المواطنين بمسقط رأسه بوردان كان الشهيد / مصطفى عبيدو هو الشهيد رقم 6 في عائلته ، وذلك منذ حرب 1967 ورقم 16 في قرية وردان.

- إهداء لحبايبي / لوجين وسيف أبناء البطل الشهيد العميد أ.ح / مصطفى عبيدو.

- إهداء لشهداء الوطن.

- إهداء لقرية وردان - منشاة القناطر - جيزة

مسقط رأس البطل الشهيد العميد أ.ح / مصطفى عبيدو.

****

رسالة من الشهيد

أنا جايز ماشي لكن سايبلكم ذكريات
عايشة في كل الأماكن باينة في كل الحاجات
لو قالوا ده مات قولولهم عاش راجل مات شهيد
وعشان على الجنة رايح فالليلة هتبقى عيد،
أنا ماشي وسيرتي عايشة
يحكوها الناس في قصة
ويقولوا كأنه عايش وكأنه ممتش لسه
وكأنه معانا قاعد
حوالينا وروحه حاضرة
وإن جيت في الحلم هاجي وأنا ماشي في سكة خضرا
هحضن ابني وأبوسه
وهقابل أختي وأمي
أنا سايب ناس ورايا مش هتفرط في دمي
أنا جايز ماشي لكن أنا ماشي بجسمي بس
واللي بيحضر عزايا شافني وبوجودي حس
والموت مش ده النهاية
ده بداية لعمر تاني
أنا جايز سبت بيتنا بس قلوبكم مكاني

إهداء للشهيد البطل العقيد / أحمد المنسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَل أحيَاءٌعِند رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ "

واحنا مش بتوع حداد

احنا نار تحت الرماد

احنا صخر ما يتكسرش

وكل ضربة يزيد ثبات

منسي حي ما يتنسيش

بعد أرضي خلاص ما فيش

منسي 100 مليون يموتوا

والبلاد دي ماتنحنيش

واحنا مش بتوع حداد

احنا نار تحت الرماد

احنا صخر ما يتكسرش

وكل ضربة يزيد ثبات

منسي حي ما يتنسيش

بعد أرضي خلاص ما فيش

منسي 100 مليون يموتوا

والبلاد دي ماتنحنيش

واحنا مش بتوع حداد

احنا نار تحت الرماد

احنا صخر ما يتكسرش

وكل ضربة يزيد ثبات

****

المقدمة

مما لاشك فيه أن حب الوطن والحفاظ عليه فطرة إنسانية أكدها الشرع الحنيف، فهذا نبينا (ص) يقول مخاطباً مكة المكرمة قائلاً: "والله إنك لخير أرض الله ،واحب أرض الله إلى الله،ولولا أني أخرجت منك؛ ما خرجت"، ولما هاجر(ص) إلى المدينة واتخذها وطنًا لهولأصحابه الكرام لم ينس (ص) لا وطنه الذي نشأ فيه ولا وطنه الذي استقر فيه؛ حيث قال (ص): (اللّٰهُمَّ حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللّٰهُمَّ بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة).

فلا شك أنَّ الإرهاب خطر داهم ليس على مصر وحدها، ولا على أمتنا العربية وحدها، ولا على منطقتنا ومحيطنا الجغرافي وحدهما، إنما هو خطر على أمن وسلام البشرية جمعاء.

ولابد من اصطفاف مؤسسي، ووطني، ودولي، وإنساني، لمواجهة هذا الخطر الداهم، الذي لا يقف شره عند حد أو حدود، بل هو نار تحرق حتى موقديها، وسينفجر يومًا ما في وجه كل من يصنعه،أو يموله، أو يأوي عناصره، أو يوفر لهم الدعم المالي أو العسكري أو اللوجستي، أو حتى الغطاء الفكري والأيديولوجي؛ لأن الإرهابيين لا دين لهم ولا خلق ولا قيم، ولا عهد لهم ولا ذمة ولا وفاء، فقد انسلخوا من كل القيم الدينية والأخلاقية والوطنية والإنسانية والآدمية وصاروا مسخًا آخر لا علاقة له بالأديان ولا بالإنسانية)

****

بذور الكراهية تصنع ألغاماً بشرية

يا ليل الصبر متى غده أقيام الساعة موعده؟

هذا هو حال شباب وفتية الإخوان في تنظيم الإخوان المسلمين وهم يستنفرون للقتال بمنهجية انقلابية، ثمَّ يؤمرون بالصبر على ما أصابهم دون قتال فيتوقون إلى ساعة النزال ويتساءلون متى يحين الوقت المرجأ للقتال.

وعلى المستوى الفردي يرى الشاب منهم تمام استعداده للنزال فهو صاحب عضلات مفتولة وبنيان شديد وعزيمة من حديد وقد تدرب على القنص بالسلاح والتلاحم الجسدي كالصباح وعرف مواطن الضعف في جسد الخصوم وكيف لا ينال منهم..... ولمَ الصبر بعد الآن؟

وكيف يبالي فتى بعاقبة القتل إن هو أرضع مع كل وجبة كراهية الخصوم السياسيين وعداوتهم للدين وكفرهم بأحكام الدين الحنيف ووجوب اقتلاعهم لصالح الدعوة وقتلهم في سبيل الله.

فلن يكون في قوس الصبر منزع بعد اليوم فأججت هذه المنهجية مشاعر الإخوان وجعلت منهم قنابل بشرية تنفجر بعد حين من إعدادها غير مبالين بعواقب سفك الدماء وغير مهتمين لمغبة الإقدام على الاقتتال بين أبناء الشعب الواحد والذي حذّر منه رسول الله (ص) ليعلن أنه إذا التقى المسلمان يحرص كل منهما على قتل صاحبه فالقاتل والمقتول في النار.

كما وأن سفك الدماء كان هو المحظور الذي استوقف الملأ الأعلى من الملائكة حين أخبرهم رب العزة أنه سيجعل في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً فعلموا أن الاستخلاف والرئاسة ستكون مدعاة لسفك الدماء وتخريب البلاد بزعم من كل فريق أنه الأجدر والأحق من غيره.

وكانت مهمة الأنبياء في التاريخ مناطها تهذيب النفس البشرية وتطهيرها من أدران ودوافع سفك الدماء ليقوم الناس بعد معرفتهم بربهم بالقسط والرحمة.

يقول تعالى:

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (83)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْأَ فَتُؤْمِنُون بِبَعْضِ الْكِتَاب وَتَكْفُرُون بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَل ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِۖ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (86)"

هذه هي النتائج التي يسلمها لنا القرآن جزاء الاقتتال بين أبناء الشعب الواحد.

خزيّ في الحياة الدنيا. . عذاب شديد في الآخرة. . لا يخف عنهم العذاب. . ليس لهم نصير.

إلا أنّ المؤسس قد حاد عن هذا الفهم الرباني فسارت منهجيته إلى التحريض ضد السياسيين وضد الحكومات المتعاقبة وضد الأحزاب جميعاً بل ضد كل من لا ينضوي تحت قبته الفكرية.

ومن هنا كانت الحوادث الفردية في تاريخ الإخوان الطويل الممتد - حتى عقد الثمانينيات - حوادث قتل هنا أو هناك ، حوادث عنف هنا أو هناك أو محاولات قتل فاشلة وإن لم تكن بتدبير جماعي فهي من تبعات منهجية المؤسس.

وسواء كان المؤسس ضالعاً في المؤامرة - ولو بالإشارة - في قتل النقراشي أو مدبراً لحادث القاضي الخازندار مباشرةً إلا أن الثابت تاريخياً أن الفاعلين الأصليين كانوا من أتباعه ومؤيديه من أعضاء التنظيم الخاص صناعته.

ورغم أن أي منصف يكتب التاريخ لا يستطيع أن يصبغ الإخوان - قبل اعتصام رابعة والنهضة - بلون الدم أو يرهن تاريخهم بالعنف انطلاقاً من حوادث فردية لا تشكل منظومة جماعية تحركت بها الإخوان في المجتمع السياسي إلا أن سلمية دعوة الإخوان مؤقتة لحين إعداد الأشبال لتصبح

أسوداً يتدربون على حمل السلاح لمواجهة المجتمع مواجهة منظمة بكل طوائفه لما تحين ساعة الصفر.

إنهم ينتظرون - بكل سذاجة - من الحكام استمهالهم لحين استكمال قوة السلاح الذي يحمله اثنا عشر مقاتل منهم حتى يتمكنوا من الانقضاض عليهم واقتلاعهم.

إلا أن الحكام في كل عصر أيضاً - بالمقابل - لم يخلوا بينهم وبين استكمال عدتهم ولم يستمهلوا الإخوان حتى يقتلعوا عروشهم ويقطعوا رؤوسهم فعاجلوهم استيقافاً وحبساً وشنقاً وبعد كل نزال يلعق الأحياء منهم جروحهم.

ولا يتدبرون أمرهم ويعودون لذات المنهج بذات العقلية الصدامية ليلقي كل جيل ما لاقاه سلفه إلا المرشد المجدد عمر التلمساني الذي تقاطع مع ذلك المنهج الصدامي ولم يتبنَّ تنظيماً سرياً أو أعمال عنف وتجاوز - رحمه الله - خلفية تكفير الحكام وتعامل معهم سياسياً واجتماعياً وحزبياً وانتخابياً، فصنع وجهاً وضياً للإخوان المسلمين ومحا آثار حوادث العنف المتفلته من آحاد الجماعة من ذاكرة المجتمع السياسي.

إلا أن خيبه الرجاء أن يستبقى الإخوان على نظرية العنف المرجأ القائمة على خلفية تكفير الحكام في منهج الإمام يلقونها لناشئة الدعوة صباح مساء، كما تغذي أم طفلها بالثأر والانتقام حتى تمتلئ جوانحه برغبة متأججة في اقتحام الوعي حتى يومنا هذا رغم أن التلمساني قد وضع الجماعة في صدر المشهد السياسي في مصر وجعل من الإسلام السياسي الانتخابي رقماً صعباً في مواجهة خصومه.

وكأنّهم يقولون للكافة إن الحرير الذي يغطي قفازات الحديد ذو نعومة مؤقتة، بعدها تنطلق اللكمات والسهام وتبرز السيوف نحو (الذين لا يطبقون بعض أحكام الإسلام الحنيف) بمنظومة جماعية وقرار جماعي يستحيي الدماء ويبيح القتل والتخريب والحرق والتدمير

أيها السادة العقلاء من الإخوان المسلمين.

هذه هي قراءة منهج المؤسس بكل بساطة دون ليٍّ أو إغفالٍ لمراحله أو تزيين لعيوبه ؟؟؟

وقد ساهم هذا المنهج في تأجيج مشاعر الإخوان العدوانية ضد المجتمع بحسبانه قائم على العزلة المجتمعية لأفراد الجماعة والعزلة النفسية عن المجتمع، ثم كانت مدرسة سيد قطب القائمة على الاستعلاء واحتقار المجتمع وتجهيله وتكفيره.

ففي رسالة التعاليم يأمر المؤسس الإخوان العاملين بمقاطعة كل مظاهر المجتمع المدني بقوله :

"أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة ".

****

الإرهاب terrorism

مثله مثل الحرب أي شكل من أشكال الصراع السياسي / الاجتماعي؛ أي ينطوي على عنف مخطط له؛ يصدر عمداً لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية، وهو نشاط إجرامي يحظره القانون في أي دولة).

الإرهاب في اللغة: مصدر أرهب. تقول: أرهب فلاناً، أي خَّوفه وفزعه. ورهبه، رَهَباً– بفتح الراء والهاء – ورَهْبة – بفتح الراء وسكون الهاء – ورُهْبًا – بضم الراء وسكون الهاء – أي خافه.

والإرهاب في الاصطلاح الفقهي: يطلق على ستة معانٍ، وردت في القرآن الكريم ، كما يلي :

(1) التخويف. ومنه قوله تعالى: **" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"** (الانفال: 60).

أي تخوفون ، كما ذكره ابن كثير في " تفسيره ". ومنه أيضًا قوله تعالى: **" لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ "** (الحشر: 13).

أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كما ذكره ابن كثير. ومن هذا أيضًا: الراهب ، فهو – كما يقول أبو الفتح البعلي الحنبلي في " المطلع ": اسم فاعل من رهب، إذا خاف، وهو مختص بالنصارى، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها ". وجمعه / رهبان، ويجمع على رهابين ورهابنة.

(2) الفزع أو الرعب. ومنه قوله تعالى: **" اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ "** (القصص: 32).

أي من الفزع والرعب ، قاله مجاهد وقتادة ، كما حكاه ابن كثير في " تفسيره ".

(3) الخشية. ومنه قوله تعالى: **" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ "** (البقرة :40).

أي فاخشون. قاله أبو العالية والسدى والربيع بن أنس وقتادة ، كما أورده ابن كثير في " تفسيره "ومنه أيضًا قوله تعالى: " **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (النحل: 51).**

(4) الخشوع. ومنه قوله تعالى: " **وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء: 90).**

فقوله "ورهبًا " أي خاشعين. والخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدًا ، كما قاله أبو سنان. وقال مجاهد: خاشعين أي متواضعين. وقال الحسن والضحاك: خاشعين أي متذللين لله عز وجل. وقال أبو العالية: أي خائفين. وقال ابن كثير في " تفسيره "وكلها متقاربة.

(5) الخضوع. ومنه قوله تعالى: " **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِين هُم لِرَبِّهِم يَرْهَبُونَ" (الأعراف: 154).**

أي يخضعون ، ولذلك عداها باللام ، كما ذكره ابن كثير في " تفسيره ".

(6) التفريق. ومنه قوله تعالى: " **قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ " (الأعراف: 116)** ، أي فرقوهم ، كما ذكر ابن كثير في " تفسيره ".

****

رؤيتنا في تعريف الإرهاب

أرى أن اصطلاح الإرهاب له إطلاقان: عام وخاص.

(1) أما الإطلاق العام للإرهاب: فالمراد به التخويف وبث الفزع والرعب، كما هو واضح من المعنى اللغويّ، المعاني الفقهية المستنبطة منه.

ومن هذا المنطلق العام لحقيقة الإرهاب فإنه يمكن توسيع قاعدته لتشمل صنوفًا وأنواعًا مختلفة، وذلك بالنظر إلى آليته أو وسيلته التي قد تكون فطرية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو قانونية أو عسكرية أو الحرابة وقطع الطريق، وبيانها كما يلي :

1- الإرهاب الفطري: ويكون بتقوى الله - عز وجل - وخشيته.

2-الإرهاب النفسي: ويكون بتوجس النفس واهتزازها مما تتوهم الخوف منه.

3-الإرهاب الأدبي: ويكون بشفرة سيف الحياء.

4-الإرهاب العرفي: ويكون بتسييد التقاليد.

5-الإرهاب الاجتماعي: ويكون بضغوط الروابط الأسرية.

6-الإرهاب الاقتصادي: ويكون بتثقيل الالتزامات المالية.

7-الإرهاب السياسي: ويكون بالانتباذ الحزبي (محليًّا) ، وبالعزلة الدولية (خارجيًّا).

8-الإرهاب القانوني: ويكون بتفصيل القانون لملاحقة المطلوبين.

9-الإرهاب العسكري: ويكون بإعلان الحرب والقتال.

10-الإرهاب بالحرابة والإفساد: ويكون مستور المصدر ويخفي المنفذ هويته ويحرص على التخلص من نفسه عندما يظن الإمساك به، ولا تقل جريمته عن إحداث القتل الجماعي بغدر ووحشية الحرق والدهس والتفخخيخ والتمثيل. وهو أقبح أنواع الإرهاب البشري حتى جعله الله محاربة له، فقال سبحانه :- " **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ**

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (المائدة: 33).

(2) وأما الإطلاق الخاص للإرهاب: فقد تدرج بحكم ممارسة أصحابه ورصدنا لأخبارهم إلى ثلاثة مستويات مع تقدم الزمن:

المستوى الأول: إحداث القتل غيلة في صفوف النظام الحاكم الذي نصبوه الخصومة والعداوة؛ للثأر من بعض تصرفاته، ولي ذراع السلطة في مساومتها لتحصيل مكاسب تمكينية أكثر للإدارة الإرهابية.

المستوى الثاني: إحداث القتل والتدمير غيلة في صفوف النظام الحاكم أو مواطنيه أو مستأمنيه أومنشآته المدنية والأمنية في داخل الدولة أو خارجها؛ لتعرية النظام الحاكم أمام شعبة، وإظهار عجزه عن حمايتهم بهدف سياسي وهو الاستيلاء على السلطة والحكم.

المستوى الثالث: إحداث القتل الوحشيّ العشوائي في صفوف المدنيين ورجال الأمن والإكثار من الاغتيالات للشخصيات البارزة في الدولة وإشاعة الفوضى في المؤسسات المدنية وبث الفتنة بين أفراد الشعب وطوائفه، ونشر روح اليأس بين الشباب وإطفاء كل بوادر الأمل الواعدة لهزيمة الشعب نفسيًّا فيما يعرف مؤخرًا بحروب الجيل الرابع التي تهدف إلى إسقاط الدولة.

وهكذا تجتمع كلّ مستويات الإرهاب في إحداث القتل على وجه الغيلة والغدر والوحشية وإن كان مستواه الأول قاصرًا على تحصيل مكاسب تمكينية للإدارة الإرهابية والمستوى الثاني ازدادت أطماعه للاستيلاء على السلطة والحكماء، أما المستوى الثالث من الإرهاب وهو المعروف بحروب الجيل الرابع فيهدف إلى إسقاط الدولة وتفتيت الشعب وبث الفتنة في صفوفه وهو أشد أنواع الإرهاب البشري وأقبحه.

وقد كان مجمع اللغة العربية في أواخر القرن الماضي قد عُرِفَ الإرهابيون في " المعجم الوسيط ". بأنهم " الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب ؛ لتحقيق أهدافهم السياسية ".

وهذا التعريف كان قبل ظهور ما عرفه العرب مؤخرًا بالربيع العربي الذي انطلق في 2011م ليكون سترة لأقبح إرهاب ممنهج باسم حرب الجيل الرابع التي تهدف إلى إسقاط الدولة وتفتيتها بالعنف الذاتي والوحشية في القتل والفتنة بين طوائف الشعب ونشر الفوضى في مؤسساته وإشاعة اليأس بين أفراده وإطفاء الأمل عندهم.

....

ثانياً: التأصيل التاريخي للإرهاب البشري

عرف الناس الإرهاب من قديم الزمان فلم تسلم منه جماعة أو أمة بشرية على مدار التاريخ الإنساني ومن ذلك ما يحكيه القرآن الكريم فيما يلي:

1-يقص القرآن الكريم قصة أول عملية إرهابية في خبر ابنيّ آدم لصلبه عندما عدا قابيل على أخيه هابيل فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله- عز وجل - ففاز المقتول بجائزة السلام والبراءة من الآثام فكان من المتقين وخاب القاتل بحمل جريرة مقتولة ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين، كما يقول أهل التفسير في قوله تعالى :

" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (المائدة: 27) ".

(2) ويقصّ القرآن الكريم قصة إرهاب إخوة يوسف له ولأخيه بنيامين ؛ حسداً وحقداً، فدبروا التخلص من يوسف - عليه السلام - كما يقول الله تعالى: **" لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) "(يوسف: 7-9).**

(3) ويقصّ القرآن الكريم قصة إرهاب فرعون، ومن معه من أقباط مصر لبني إسرائيل عندما أمر فرعون بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم؛ إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي

كان قد تخوف هو وأهل مملكته من القبط منه أن يوجد فيكون سبب هلاكه وذهاب دولته، كما بشّر بذلك إبراهيم الخليل انتقاماً من الله تعالى لظلم فرعون الذي استطال السيدة / سارة – زوجة إبراهيم الخليل – فحاول فرعون اتخاذها جارية فصانها الله منه، كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **" إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) " (القصص: 4).**

ويقصّ القرآن الكريم قصة إرهاب بني اسرائيل بعد أن مكن الله لهم وأورثهم ملك فرعون فطغوا ومارسوا الإرهاب على أنبيائهم الذين لا يسايرون هواهم ؛ عتوا عناداً واستكباراً، كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

" أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُول بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87البقره)".

كما مارسوا الإرهاب بعضهم على بعض في ظل نهي التوراة عن ذلك، فاستحقوا أشد العذاب، كما ورد في قوله تعالى: **" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)" (البقرة: 84 - 85).**

(5) ويقص القرآن الكريم قصة إرهاب أهل الظلم والعدوان في كل أمة لأنبيائها الصالحين وعلمائها المنصفين؛ استكباراً وعناداً واستنكافاً، كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) " (آل عمران: 21).

كما يحكي القرآن الكريم قصة الظلمة الذين عمدوا إلى قهر المؤمنين بالله تعالى وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً ، فقذفوهم فيها، كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **" قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) " (البروج: 4 - 8).**

(6) ويقص القرآن الكريم قصة إرهاب المشركين للنبي محمد (ص) فأذن الله له عند ذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: " إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) "(الأنفال: 30).

وكان المشركون قد مارسوا الإرهاب على أصحاب النبي (ص) الذين آمنوا به وشردوهم فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله (ص) واجتمعوا عليه وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجؤون إليه ، شرع الله جهاد الأعداء لأول مرة، كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ على نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ* الَّذِين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِحَقٍّ إلا أَن يقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ (40) "(الحج: 39-40).

....

ثالثاً: التطور المعاصر للإرهاب البشري

مرت الأمة العربية وتوسعاتها التي يدين أكثرها بالإسلام الخاتم - شأن سائر الأمم - بأحداث إرهابية عدة ترجع في مجملها إلى صراع السلطة أو الاختلاف في الرأي أو الحسد على الأرزاق أو غير ذلك مما يتصارع بسببه الناس غير أن الإرهاب كان يصيب هدفه غالباً - بغض النظر عن مشروعيته من عدمها - فقد كان القتل يختص بغريم القاتل في أكثر الأحوال.

وفي هذه المرحلة من تاريخ البشرية والتي بدأت في العقود الأخيرة، عرف الناس مفهوماً جديداً للإرهاب يتوجه أصحابه من بادئ الأمر إلى غير خصومهم المباشرين، فيوجهون قتلهم إلى الأبرياء من المدنيين وينصبون فخاخهم لسفك دماء العزل والضعفاء من الشيوخ والأطفال والنساء، كما يعمدون إلى الغدر بالآمنين المتعلقين بأستار الكعبة أو المتيمين بالحنين لزيارة نبي الرحمة أو المنقطعين للنسك في دور العبادة أو الساعين على الرزق في التجارة والصناعة فضلاً عن

استحلالهم الأموال بتدمير المنشآت السكنية والخدمية ووسائل المواصلات الجوية والبحرية والبرية وساعدهم على ذلك تلك التقنية الحديثة في التدمير والإبادة والهلاك عن طريق المواد الناسفة والمتفجرة التي يفخخون بها السيارات أو الأفراد.

ومن ثُمَّ فقد اقشعرت قلوب ذوي الفطر السوية - مع اختلاف العقائد - بفاجعة الاستيلاء على بيت الله الحرام بمكة المكرمة في أواخر الثمانينيات وما أفضت إلى قتل وتشريد وترويع المعتمرين والعاكفين والنيل من حرم الله المصون الذي قال الله تعالى عنه: " وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ "(آل عمران: 97).

ثمَّ فاجعة تفخيخ نقطة شرطة في الحرم النبوي الشريف في الثاني من يوليو 2016م ؛ لترويع الزائرين للنبي محمد (ص) في مدينته التي قال عنها فيما أخرج الشيخان عن عبد الله بن زيد (رضي الله عنه): "أنّ إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وحرمت المدينة، كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة".

كما اقشعرت قلوب ذوي الفطر السوية بحوادث الغدر التي تمثلت في خطف طائرات النقل الجوية وتفخيخها وتفجير الحافلات السياحية وتدمير المؤسسات والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية والأمنية وخطف الساعين على رزقهم والمقامرة بهم تجاه خصومهم وغير ذك من أساليب غير منضبطة القواعد يعيشها المسلمون في ديارهم في ذهول مع اختلاف البلاد شرقاً وغرباً، ونخص بالذكر من الدول العربية: " الجزائر وتونس وليبيا ومصر ولبنان وسوريا والسعودية والكويت والعراق واليمن ".

ومن الدول الأوروبية والغربية: " فرنسا والمانيا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ".

وقد شاء الله تعالى للعالم أسره أن تجتمع كلمته في مواجهة الإرهاب حين قدر لحدث الأحداث أن يكون بتفجير المركز التجاري العالمي في نيويورك في 2001/9/11م، والذي اتسم بصفة الجريمة فائقة التقنية والتدبير الإرهابي المحكم لما خلفه من دمار لمنشآت وأموال تفوق المليارات من الدولارات وتعرقل مسيرة الحضارة الإنسانية سنوات عدة، فضلاً عن عشرات الآلاف من

الضحايا البشرية مختلفة الأديان من غير ذنب اقترفوه سوى أنهم بشر ينتمون للعائلة الإنسانية التي كرمها الله تعالى في قوله سبحانه: **" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا (70) "(الإسراء: 70).**

وتحولت قضية الإرهاب المعاصر منذ هذا التاريخ إلى قضية عالمية هي قضية الإنسان ومقدراته يكون أو لا يكون.

ذلك أن الإرهابيين لا يقصدون فئة بعينها تتميز بعقيدة أو جنس أو سن، كما لا يقصدون منشآت بعينها تتميز بخصاص قتالية أو أمنية، وإنما يحصدون ما يمكن حصده من البشر أو المنشآت والأموال فتحولت القضية إلى صفة العالمية دون أن يدري مدبروها - بفضل الله تعالى - ثم بفضل الفطرة السوية التي جعلها الله ديناً قيماً يجمع الناس على كلمة سواء، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **" فِطْرَةَاللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيل لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَالنَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (30) " (الروم: 30).**

ومع ذلك فقد باءت كل الجهود الدولية المبذولة في القضاء على الإرهاب المعاصر بالفشل فلا تزال الدول العربية والأوروبية تبكي ضحاياها وتتوقع ضحايا جدداً إلى اليوم مما يزيد من مسؤولية ذوي الفكر في كل المجالات أن يتعاونوا لتأمين الإنسانية من شرور شارديها.

وكم أرجو أن تكون مصر هي الدولة الأولى في العالم التي تعلن نفسها قريباً خالية من الإرهاب؛ لعبقرية مفكريها وتراحم شعبها وبركة السماء لها؛ كما قال سبحانه وتعالى: **" ادْخُلُوا مِصْرَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) " (يوسف: 99).**

....

رابعاً: إشكالية الإرهاب بإلباسه ثوب الاستشهاد

إن المنفذين المباشرين للعمليات الإرهابية - في غالب الأحوال - ضحايا في يد المخططين والمنظمين لتلك العمليات والذين يمتلكون قدرات فائقة لغسل أمخاخ هؤلاء المنفذين حتى يبذلوا أنفسهم وهم مستيقنون الموت في أبشع صوره - لهم ولمن حولهم - دون أدنى مبالاة، وربما توهموا الفوز في الدار الآخرة بدعوى بيع النفس لله تعالى: شغباً بظاهر قوله تعالى: **" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ (111) "(التوبة: 111).**

وبهذا يحاول المخططون للعمل الإرهابي التفجيري أو الانتحاري إلباسه ثوب الفكر الاستشهادي من باب المتاجرة الدينية ومن دون النظر إلى الجانب الموضوعي في بذل النفس، فإن الجانب الشكلي آية في التفريق بين حق الشهادة التي هي وصف شرف لفداء الوطن، كالوالدية في حماية الولد وبين بطلان الانتحار الذي هو وصف خسة كالفرار من الواجب ويتضح ذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه في العمليات الاستشهادية لا يستيقن المستشهد الشهادة ولا يعرف نفسه إن كان محظوظاً بها أو محروماً منها ؛ لأنها منحة من الله خالصة ، فكم من فرسان أقبلوا مخلصين عليها وماتوا كآحاد الناس، قال تعالى: **" قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّن عِندِهِ أَوْبِأَيْدِينَا (52) " (التوبة: 52).**

يقول ابن كثير في " تفسيره ": " أي أنتم تنتظرون بنا الشهادة أو الظفر بكم ونحن ننتظر بكم العذاب هذا أو هذا ".

فالمستشهد يدخل عمليته على احتمالين، هما: الفوز أو الشهادة وليس على احتمال واحد.

فهذا هو " خالد بن الوليد " يقول عنه ابن كثير: " روينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول على أعدائه: أبي سليمان خالد بن الوليد - رضي الله عنه - أنه قال وهو في سياق الموت: لقد شهدت كذا وكذا موقفاً وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ".

أما في العمليات الانتحارية: فإن المنتحر يستيقن حتفه؛ لأنه يدخل عمليته على خيار واحد هو الموت لا ثاني له، وهو بذلك يزكي نفسه على الله لينتزع منه منحته.

الوجه الثاني: أنه في العمليات الاستشهادية يحرص المستشهد على الحياه ليس طمعاً في الدنيا وإنما لتكثير بذل نفسه ذوداً عن الحق، فهو متجدد النية في الجهاد، كما ورد في البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ص) قال: " انتدب الله - عز وجل - لمن خرج في سبيله - لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي - أن أرجعه بم نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ". والمتأمل في آيات الحث على الشهادة يجد أنها ترغب طلابها في تكثير عملياتهم وليس الموت من أول جولة ، ففي قوله تعالى: **" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "**
(التوبة: 111).

دلالة واضحة أن طالب الشهادة يدخل في صفقات قتل في صفوف العدو وهذا ظاهر من صيغة المفاعلة في الآية الكريمة ولا يطلب الشهادة من صفقة قتل واحدة كالذي يفجر نفسه، كما أن الشهادة في سبيل الحق لا تقتصر على المسلمين في الدين الخاتم، بل كما قال تعال: **" وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ".**

أما في العمليات الانتحارية: فإن المنتحر فيها يكون من المسلمين بالدين الخاتم ؛ لأنه لا يعترف بشهادة المسيحي في الدفاع عن الحق، كما أن هذا المنتحر يقدم حتماً على الموت من جولته تلك التي لن يثنيها لتحوله رماداً، وهو بذلك غير عاقد للعزم على مداومة الجهاد فضلاً عن كونه رافضاً للحياة الممنوحة له من الله، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: شهدنا مع

رسول الله (ص) خيبر، فقال رسول الله (ص) لرجل ممن معه يدعي الإسلام " هذا من أهل النار " فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فأثبتته، فجاء رجل من أصحاب النبي (ص) فقال: يا رسول الله أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار قد قاتل في سبيل الله أشد من القتال فكثرت به الجراح، فقال النبي (ص) " أما إنه من أهل النار " ، فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجرح فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهماً فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله (ص) فقالوا: يا رسول الله، صدق حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله (ص): " يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله لايؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ".

الوجه الثالث: أنه في العمليات الاستشهادية يعلن صاحبها القتال والمبارزة، مما يجعل لقتاله شرفاً في المواجهة.

أما في العمليات الانتحارية فيغدر صاحبها بضحاياه ويغيلهم، وقد أجمع الفقهاء على قبح القتل غيلة إلا في الحرب المعلنة، وذهب الإمام مالك إلى أن صفة الغيلة في القتل العمد تسقط حق ولي الدم في العفو عن الجاني؛ إذ يتحول الجاني بهذه الصفة إلى محارب، أي قاطع للطريق، وقد أخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" عن الحارث بن عبد الرحمن (رضي الله عنه) أنّ رجلاً من القبط عدا علي رجل من أهل المدينة فقتله قتل غيلة، فأتى به أبان بن عثمان (رضي الله عنه)، وهو إذ ذاك على المدينة، فأمر بالمسلم الذي قتل الذمي أن يقتل، وأخرج البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنه) أن غلاماً قتل غيلة ، فقال عمر (رضي الله عنه): لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم.

وهذه الألغام زرعها المؤسس بمنهجهم تنفجر بعد حين من الدعوة، وأول ما تنفجر تضرب وجه الدعوة والدعاة، ثم تمتد لتضرب وجه الإسلام الوضاء، ثم تنفجر في وجه الناس الذين تعلقوا بالدعوة حباً للإسلام كما تضرب اقتصاد الأمة في مقتل وتجهض الإقبال البريء المتعلق بالدعوة ردحاً من الزمن فلا يستفيد منها إلا متفلتوا الأخلاق ودعاة الإلحاد.

ومنذ انفجار أول لغم من ألغام منهج المؤسس استدرك - رحمه الله - وقال قولته الشهيرة: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أنشأت الجهاز الخاص.

ولم يستوعب أتباعه ما فقهه المؤسس ولم يفهموا هذا التطور النوعي في فكره ولم يمهله القدر لإعادة صياغة نظريه دعوية على النحو الذي يطهرها من ألغامها حيث عاجلة القتل ولعله كان يعيد حساباته ويراجع أفكاره إلا أن دم الضحايا لم يعالج إلا بالدم ثأراً فكان البنا من طليعة ضحايا أفكاره ومنهجه.

ثمّ تبع الإخوان المسلمون ذات المنهج الخام لم يحاول أي منهم تعديله فأمسكوا يستذكرون كلمات البنا ويدرسونها ويقدسونها باعتبارها الوجهةالتي لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها وأصم الإخوان آذانهم عن الناصحين واتهموهم في نياتهم تارة وبالجهل تارة ومداهنة الحكام تارة أخرى، ثم كان فريق آخر من المقدسين لكلام البنا.

فراحوا يلوون معاني كلماته الواضحة لتتناسب مع الأحوال السياسية وما آلت إليه الجماعة من نبذ العنف (في حينه) ويعتبرونها بغير مدلول معناها المباشر تنزيها للبنا عن شبهة الخطأ.

وكأنّ كلمات البنا - كالقرآن الكريم - تصلح لكل زمان ومكان، أو يجب أن تكون كذلك.

لقد آن الأوان لنقول للناس أن النجاح الذي حظي به الإخوان حينا من قوام الإسلام الصحيح الذي أشرب في قلب البنا وأتباعه وأن النكسات والكبوات والهزائم ليست إلا من عيوب منهج المؤسس وانغلاق الإخوان عن تحسين ذلك المنهج وعدم استيعاب دروس التاريخ لتنقيحه.

وهذه العيوب في منهج الإخوان هي التي أعنيها بالألغام الموقوتة أو الأفكار المفخخة أو القنابل الزمنية التي يحتضنها الإخوان في قلوبهم ويحفظونها ويدرسونها على أنها الطريق الأمثل لدعوتهم وكلما أودي بجهدهم لغم ازدادوا بالمنهج تمسكاً بحسبان ذلك بلاء كطريق الأنبياء وأنها مواجهة محتومة بين الإسلام والجاهلية دون سؤال راشد ماذا لو كان" البنا " قد أخطأ أو جانب "سيد قطب" الصواب وذلك بميزان الشرع الأصولي.

لقد أنبني فكر البنا على صرح عظيم من التربية الروحية والثقافة المتوازنة رشحته لإلتفاف ناشئة الدعوة حوله وقبول الناس لفكره والنابع من وسطية الإسلام وكماله إلا أن المؤسس تنكب خطايا شرعية حادت به عن هذا المنهج الرشيد وشوهت معالمه حيناً وفتحت أبواب الفكر التكفيري الذي أرتشح بعد ذلك من كتابات المرحوم سيد قطب أشهر التابعين لمؤسس الجماعة المكمل لمنهجه.

وكان أول لغم وضعه المؤسس في منهجه هو

"الفكر السياسي الانقلابي للإخوان المسلمين"

وخلاصة ذلك المنهج هو رغبة الإخوان في الوصول للحكم لأنفسهم بغير القنوات والأنظمة التي ارتضاها المجتمع المعاصر بشأن تداول السلطة.

ولما كانت رسالة المؤتمر الخامس تشكل الهيكل الفكري والعقدي الذي يحكم سلوك الإخوان الذي رسمه لهم المؤسس فها هو أول لغم يضعه المؤسس في منهجه فيقول:

الإخوان المسلمون والحكم:

"إنّ الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه وهو من العقائد والأصول وإن المصلح الاجتماعي إذا رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك لأهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في وادٍ ونفخة في الرماد - كما يقولون "

ولا يزال الكلام متصلاً من رسالة المؤتمر الخامس ويستطرد المؤسس "ومن ثم فإن قعود أهل المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم "جريمة إسلامية" لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يؤمنون بأحكام الإسلام الحنيف "

"والإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فمن يحكم بمنهاج إسلامي فهم جنوده وأعوانه، وأن لم يجدوا فسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله"

والمؤسس بهذا القول جانبه الصواب فأخطأ في النتيجة كما أخطأ في المقدمة فمهمة المصلحين الإسلاميين لن تكون أشرف من مهمة الأنبياء، ومهمة الإخوان المسلمين يجب ألا تتعدى أو تتجاوز ما أمر الله به أنبيائه.

يقول تعالى لنبيه الخاتم "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22)" ويحصر تعالى مهمة الأنبياء جميعا بقول: "إن أنت إلا نذير(٢٣) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير(٢٤)" ويقول تعالى "فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب "

وقد حذا كل الدعاة والمصلحين الإسلاميين بعد وفاة النبي حذوه- صلى الله عليه وسلم- فلم يطلب أحد منهم الحكم لنفسه ولم ينافس عليه ولم يأمر اتباعه بالوثوب عليه وذلك من لدن الإمام وفقيه الكوفه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود مروراً بكل الفقهاء والعلماء والمجتهدين والذين كان منهم من واجه كفراً كالإمام أحمد بن حنبل في مواجهة القائلين بخلق القرآن وكان الحاكم الخليفة المأمون من القائلين بخلق القرآن فقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: والقرآن كلام الله، ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهنمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله عز وجل ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق: فهو أخبث من الأول، ومن زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم.

ولم يطلب الإمام أحمد بن حنبل إقالة الخليفة ولم يأمر أتباعه باستخلاص وسائل التنفيذ من الخليفة الكافر في رأيه وعقيدته.

كما وأن المصلحين الاجتماعيين والدعاة الناصحين في جميع البلاد والأمطار كالإمام محمد بن عبد الوهاب، الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ محمد عبده وعمر مكرم وجمال الدين الأفغاني لم يسلك أي منهم مسلك البنا، ولم يأمر أتباعه بالانقلاب على السلطة والوثوب إلى وسائل التنفيذ، ولا يعني بحال أن الإسلام يشمل كل مناحي الحياة بلزوم أن تمارس جماعة الدعوة كل مناحي الحياة

فتقوم بالوعظ والإرشاد والمطالبة بالحكم أو القيام عليه واستخلاصه من أهل التنفيذ، فذلك الخلط -كما سنرى -أفرز أسوأ العواقب على الدعوة والدعاة.

فلماذا لا تختص الأحزاب بالسياسة بالصراع على الحكم بخلفياتهم التربوية والفكرية ورؤاهم المتباينة ويختص غيرهم بالنصح والإرشاد وأعمال البر والخدمات؟.

بل إن المؤسس في سبيل إقناع أتباعه بالحركة والجهاد لاستخلاص الحكم ممن يتوسدونه عرض دعوة غيرهم بصورة استهزائية ليقول " إن الواعظ الذي رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً وترك لأهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في وادٍ ونفخة في الرماد"

وهذا القول غير صحيح بالمرة

فتقرير الأحكام يعني الافتاء بمطابقة أعمال المكلفين- ومنهم أهل التنفيذ - لشرع الله وأحكامه من عدمه ومطابقة أعمال المكلفين للشرع الحنيف.

وترتيل التعاليم هو تذكير الأمة حكاماً ومحكومين بما عليها من واجبات شرعية وثواب وعقاب بترتيل آيات الله تعالى وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسرد الأصول والفروع هو شرح ما غم على الناس باستخلاص الواجبات الشرعية من أدلتها التفصيلية وترتيب أولوية الالتزام بها بين العامة والخاصة والحاكم والمحكوم.

فهل ترى رسالة هي أقدس من هذه المهمة التي قام بها الأنبياء والمصلحون منذ الطوفان العظيم حتى نزول آخر آية من آيات الوحي إلى الدنيا بقوله:"واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" ؟! ومن بعد وفاة النبي اكتفى فقهاء الأمة وعلماؤها في كل العصور على الإرشاد وتقرير التعاليم وسرد الأصول والفروع.

إلا أننا من جانبنا نقول: " أن من ينكر على طائفة أو جماعة رغبتها في الوصول للحكم لتنفيذ مشروعها الإصلاحي الذي تعتنقه سواء كانوا من الإخوان المسلمين أو الليبراليين أو غيرهم فهو جاحد عنصري التفكير غير منصف في وجوب تكافؤ الفرص بين أبناء الأمة جميعاً، وذلك

بالوسائل والأدوات السلمية التي ارتضاها النظام العام المجتمعي لتداول السلطة إلا أننا قبل أن نتعرف على منهج المؤسس في الوصول للحكم الذي يراه فريضة شرعية وركناً من أركان الإسلام من العقائد والأصول لنا على مجمل منهجه المتقدم ما يلي:

1) قول المؤسس " أن الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون" هو تعبير غير موفق، وكأنهم جاؤوا بإسلام جديد غير دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان حرياً به أن يقول أن الإسلام يجعل الحكومة. "...

وإن كنت لا أرى أن المؤسس يقصد بتعبيره هذا المعنى المأخوذ من اختصاص الإخوان بإسلام خاص بهم إلا أن اللفظ الذي اختاره بعيد عن الرصانة التي تحلى بها فقه البنا وانحرف به عن المعنى الأصولي وباعد نفسياً بين إسلام العام وإسلام الإخوان والذي عناه البنا تحديداً

2) كما وأن المؤسس في طريقه لإقناع أتباعه بفكرته وقع في محظور شرعي خالف به صريح القرآن الذي يحصر مهمة الأنبياء والمصلحين من بعدهم في قوله تعالى **" فذكر إنما أنت مذكر (21) لست عليهم بمصيطر(22).**

وقوله تعالى " إن أنت إلا نذير**(23)** إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**(24)** ، إلا أن المحظور الحقيقي في كلام المؤسس هو قوله : أن القعود عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يؤمنون بأحكام الإسلام الحنيف.

"والإخوان لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها أو غيرها من الحكومات الحزبية من ينهض بهذا العبء أو يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية"

فهذا القول يحمل تكفيراً غير خافٍ يسدل أثوابه على من تقاعس عن تطبيق الأحكام كفراً بها أو تقصيراً بشرياً سواء بسواء.

فليس كل من لم يطبق حكماً من أحكام الإسلام على المستوى الشخصي أو على مستوى الدولة كافراً يستحق استخلاص السلطات منه ليتولاها الإخوان المسلمون .

ولم يؤثر عن أي من فقهاء الأمة منذ الإمام عبد الله بن مسعود مروراً بالإمام مالك وأبو حنيفة وكل الفقهاء والمحدثون تكفيراً لحاكم بذنب شخصي أو ذنب عام ولم يؤثر عنهم دعوتهم لأتباعهم وتلاميذهم ومريدهم للوثوب إلى الحكم حال مخالفة الحاكم لشرع الله.

ولم تكن فتنة خلق القرآن واعتناق "المأمون" لها وإفتاء الإمام أحمد بن حنبل بكفر الخليفة بهذه العقيدة لم تكن هذه الفتنة مبرراً لدعوة الإمام أحمد بن حنبل لأتباعه للوثوب إلى السلطة وسلبها من الذي قال بخلق القرآن الكريم أو ممن خرج عن الدين.

وظل كل الفقهاء والعلماء على هذا النهج وصولاً إلى المصلحين البارزين (جمال الدين الأفغاني) و(الإمام محمد عبده) أصحاب النهضة الدينية والثقافية والاجتماعية ورغم أنهما شاركا في ثورة عرابي ضد الإنجليز الا أن أياً منهما لم يؤثر عنه إفتاء أو حركة للوثوب إلى الحكم أو استخلاص قوة التنفيذ من السياسيين وعاشا وماتا في كفاح وذود عن الفهم الصحيح للإسلام فكانوا فقهاء مرشدين يرسلون التعاليم ويسردون الأصول والفروع ويقررون الأحكام الشرعية دون شبق الوصول للحكم لأنفسهم أو لأتباعهم.

فباستثناء "حسن البنا" لم يطلب أي من الأئمة والفقهاء والعلماء والوعاظ والمحدثين من أهل السنة والجماعة الحكم بأنفسهم لأنفسهم واكتفى علماء الأمة ومن قبلهم كل الأنبياء بتقرير الأحكام وترتيل التعاليم وسرد الفروع والأصول.

ولم يسلك هذا النهج الذي ابتدعه البنا إلا غلاة الشيعة الاثني عشر الذين سموا بعد ذلك بفريق الإسماعيلية.

يقول البنا":سيعمل الإخوان على استخلاص الحكم من أيدي كل حكومة لاتنفذ أوامر الله وسيعملون على استخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يؤمنون بأحكام الإسلام الحنيف"

فيصبح كل من لم يطبق حكماً من أحكام الشريعة في منهج الإخوان على هذا النحو يجب محاربته واقتلاعه والسعي لاستلام سلطانه باعتباره غير مؤمن!

وهذا إفتاء من المؤسس أنه ما وصل الإخوان لسدة الحكم - كما حدث بعد ثورة يناير - وتقاعسَ ممثلوهم عن تطبيق بعض أحكام الشريعة فإنه يجب الخروج على حكومة الإخوان المسلمين بحسبانهم خرجوا من رداء الإيمان وأصبحوا كفاراً يجب محاربتهم واستخلاص الحكم منهم.

إن هذا المنهج قد يصل بالإخوان إلى قتال الحكام لمجرد افتقاد بعض الأحكام الفرعية الخلافية التي يجوز فيها الاختلاف عند التطبيق وهي نتيجة مرعبة تجعل وجوب مراجعة منهج المؤسس وكلامه واجب ليقصر الدعاة أنفسهم على ما قصره الله عليه نبيه صلى الله عليه وسلم سورة الغاشية ٢١،٢٢.

1) إلا أن المنهج وهو" السعي إلى السلطة" قد رتب آثاراً خطيرة على سلوك الدعاة من الإخوان المسلمين في العقد الأخير على النحو التالي:

أ- أهمل الإخوان المسلمون أكبر مؤسسة دعوية تعليمية إرشادية في الأمة جميعاً - وهي مؤسسة الأزهر- وتعاملوا معها بتجاهل واستعلاء وجفاء واتهموا رجالها أنهم أتباع السلطة وتعالوا على الأزهر ولم يتواصلوا معه ولو سعى الإخوان لانتظام شبابهم بالأزهر والاكتفاء منهم بالموعظة وتقرير الأحكام ولو سخر الإخوان إمكاناتهم لتطوير هذه المؤسسة الدعوية العريقة لكان للدعوة الشأن العظيم في نفوس الناس والحكام على السواء ولأضحى للأزهر مهابة وقدسية يخشاها الظالمون ويتحاشاها الحكام ولكان الإصلاح من داخل الأزهر هو طريق إصلاح الأفراد والأسر والمجتمعات ثم كان طريق الإصلاح التلقائي الشامل الذي يبغيه المؤسس ويبتغيه كل غيور على دينه دون التخطيط للوثوب على الحكم والتنازع عليه.

ب - وجه الإخوان أعمال البر _ المأمور بها كل مسلم _ إلى تنمية قاعدتهم الشعبية وإعلاء صيتهم والتعريف برجالهم أصبح البر _ الذي هو في ذاته غاية_ وسيلة لكسب أوراق سياسية بل واستخدمت المساجد استخداماً سياسياً لصالح أغراض الجماعة السياسية.

ج- ارتاب أهل الحكم في كل الأمصار والأزمنة- ولهم الحق والعذر في ذلك- في كل سلوك الإخوان الدعوي باعتباره لبنة توضع فوق أخرى لإقامة صرح اجتماعي وثقافي وعسكري يقتلع الحكام من مناصبهم ويعصف بسلطانهم فأرادوا دائماً أن يمزقوا الإخوان قبل أن يمزقونهم ويفتتوا

بنيانهم قبل أن يعصفوا بهم وهو صراع أزلي على السلطة وكانت ردود أفعال الإخوان إزاء ذلك هو محاولة تقويض الدولة من الداخل وإنكار أي إنجاز بشري تقوم به الحكومات وتحقير أي إصلاح تنجزه بل وتخوين الجميع - إلا من كان منهم - وتجهيل الجميع.

فكانت الخصومة النكدة التي لا تكد ينطفئ وهجها إلا لتشتعل في جوانح الأمة من جديدوظنَّ الإخوان أن ذلك ابتلاء كطريق الأنبياء مع الكفار ولم تحاول أي قيادة إخوانية في التوازي مع الحكام إلا ونجحت وترعرعت الجماعة كما كان عليه الحال مع الأستاذ/ عمر التلمساني رحمه الله تعالى ، ولم تحاول أي قيادة في التقاطع مع الحكام إلا وتقطعت أوصالها وتمزقت إرباً.

فهل من مذكر؟

د - خلط المؤسس ومن بعده الإخوان بين حقيقة قرآنية تاريخية وبين طلب الوصول: للحكم

ذلك أن الملأ من قوم كل نبي ناصبوه العداء بحسبان النبوة والوعظ والإرشاد تضفي سلطة روحية على الدعاة فيتبعهم الناس وهذا الاتباع هو فرع من الرئاسة- إن لم يكن هو الرئاسة نفسها.

وكانت مجرد الدعوة إلى الله وتوحيده وتقواه نذير بخلخلة سلطان الملأ "الحكام" بإيجاد رئيس روحي منافس لسلطتهم الزمنية على الأرض يتلقى توجيهه من السماء فيستجيب له أتباع دون أن يؤثر عن أحد الأنبياء طلب أو غاية توسد كراسي الحكم واقتلاع مؤسسات التنفيذ.

وهذا المعنى تجده في قول الملأ من قوم فرعون لموسى في سورة يونس آية ٧٨

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ

فمجرد اكتساب موسى لقدسية الدعوة فهم الفراعنة منها أنها مدعاة للعلو والكبرياء يتنافس مع علو وكبرياء الرئاسة التي في أيديهم رغم أنه لم يطلب انتزاع الحكم منهم.

ولم يكن الفراعنة فقط أصحاب شهوة الحكم العارمة، فمنذ بداية الخليقة وقديم الأزل لم تقل هذه الشهوة عند الملأ من قوم نوح حين طلب منهم أن يعبدوا الله ويتقوه فاتهموه مباشرة أنه يريد أن يتفضل عليهم ويتميز بهذه الدعوة الربانية

يقول تعالى في سورة المؤمنون آية ٢٣:٢٤

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (23) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ(24)

وهو ذات المعنى الذي قاله الجاهليون قبالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم سوره الزخرف آية ٣١ ،" **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ"**

وذلك ليزداد الحاكم (العظيم) سلطة روحية فوق سلطته المادية ولا يستأثر بأحدهما نبي غيره رغم أن الآيات والأحاديث الواردة لم تطلب انتزاع السلطة المادية من ملاكها.

فإذا ما أراد الواعظ الفقيه فوق هيبته الروحية سلطة مادية لنفسه وأتباعه كالتي أرادها المؤسس فقد تعجل بارتطام بصخرة يفنى فيها الرجال وتستحل الحرمات وتسفك الدماء قبل الوصول إلى باحة الصخرة ولا يزال التاريخ يكرر هذه المأساة بين الحكومات المتعاقبة مع حركة الإخوان المسلمين دون متعظٍ.

هـ- لقد تحقق في الإخوان المسلمين نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري

" إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة"

فما أحلى طعم السلطة في فم الإخوان حين اعتلى مرشحيهم د.محمد مرسي كرسي الرئاسة وما ألذ الحكم، وما أروع السلطة، وما أقيم الرئاسة، وما أعز الجاه، فنعم المرضعة في أول الحكم _كما قال النبي، إلا أنّ الفطام من السلطة كان مريراً، بدأ بالعزل ثمَّ القتل والتشريد فبئست العاقبة والفاطمة.

وهو ذات النص والمعنى الذي أورده ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري والذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم هو مشهد يتكرر -بين أهل الدنيا كل يوم وحاشا للدعاة أن يتجرعوه بعد اليوم أو يسعوا إليه لم يوضح لنا المؤسس ولم يكشف لنا الإخوان عن ماهيه الحكومة الإسلامية المثالية التي يرقبونها ويأملونها بشكل موضوعيّ وما هي الحالة النموذجية التي إن وصل إليها الحاكم كف الإخوان عن ملاحقته وتوقفوا عن السعي لإزاحته والوثوب إلى السلطة مكانه، ولا

يزال الأمر يحمل معياراً شخصياً وليس موضوعياً وقد وضح هذا المعيار حين اعتلى مكتب الإرشاد سده الحكم بتصدير الدكتور/، مرسي لرئاسة البلاد واستمرار المخالفات الشرعية في عهدهم والمأخوذة على حكم مبارك من تعامل ربي وترخيص ملاهي الرقص والخمور و.....

فالمعيار عندهم أنه من كان من الإخوان المسلمين المنتظمين في سلم السمع والطاعة معهم كان إسلامياً وجب مناصرته ومؤازرته وإن خالف شرع الله في بعض جوانبه فاستحل الاقتراض والإقراض بالربا، بل وسعى إليه وإن داهن الصهاينة وتحالف معهم وإن انبطح للغرب وسعى للرضوخ وروج سلعهم وأذن بأعمال البغاء والحانات وأصدر تراخيص بيع واحتساء الخمور في المحال العامة والخاصة.

إلا أنه على هذا النحو _في منهج الإخوان _ هم حاكم مسلم وحكومة إسلامية تستوجب السمع والطاعة والمناصرة والخروج عليها أو محاولة إحلال غيرها مكانها مروق على الشرع والخروج عن تعاليم الدين ونصرتها نصرة لله ورسوله بينما كل مؤهلات حكومتهم الشرعية أنها خاضعة لسلطان الجماعة وأفرادها كذلك سواء كانوا من الإخوان المنتظمين أو مجرد خضوع ولايه أما غيره فيجب تغييره وإن كان أرجى منه صلاحاً وأحفظ منه ديناً وحرص منه على الوطن.

ونتيجة حرص الإخوان على إنفاذ منهجية وصولهم بأنفسهم إلى الحكم وليس بلوغ الإسلام ذاته الحكم أو غيرهم من السياسين المصلحين اختلت لديهم موازين الرجال وتصنيفات السياسين.

فالمقبول للتعامل معه والتحالف والتأييد والنصرة هو فقط الخاضع لسياستهم والمستجيب لتوجيهاتهم الممتدح لآرائهم ولو كان ممسوخ الهوية أو ليبرالي النزعة أو شيوعي الفكر أو مفتقد العقيدة مرتكز دعوتهم.

والمحظور سياسياً هو الناقد لجماعتهم أو الخارج عن صفوفهم أو الرافض لتنظيمهم أو المتحرر من أوامرهم فهذا يجب إقصاءه ومحاربته وجعله كالغصن الذابل المبتور من الشجرة يدوسه الناس ويلفظونه فتحولت جماعة الإخوان المسلمين من جماعة دعوية تبغى التمكين لدين الله إلى جماعة

سياسة تبغى التمكين لأفرادها شديدة العنصرية، وغابت المعايير الموضوعية في تقييم الأشخاص والهيئات وأصبح المعيار هو القرب أو البعد من التنظيم وتراوحت الحروب على من ليسوا منهم من الاتهام بالخيانة والتكفير واشتهاء الدنيا والسب والإقصاء المجتمعي والاقتصادي والسياسي حتى بلغت التهديد بالقتل بل وممارسة القتل فعلاً.

ز - لقد سخّر الإخوان المسلمون في سبيل الوصول للحكم وكرسي السلطة المليارات من الدولارات على الانتخابات والاعتصامات والمظاهرات وكرَّسوا أنفسهم ودعوتهم وأموالهم للكرسي وفي غمار المعارك السياسية نسي الإخوان أن السلطة وسيلة وليست غاية وأن الغاية هي تقوى الله بكسر العقبة الكؤود في معضلة الاقتصاد بفك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة.

فلو سخر الإخوان معشار ما أنفقوا للحصول على كرسي في مجالات الصحة والتعليم والتنمية ورعاية اليتيم والقعيد والأرملة والمسكين وتشغيل الشباب ورعاية المسنين واستصلاح الأراضي وتعميرها لكان ذلك أرجى عند الله وأنفع عند الناس وأبهى للدعوة بصورتها الإسلامية الصحيحة والوطنية المشرفة.

قاتل الله الحرص أذل أعناق الرجال

ففي سبيل إرضاء الجماهير الناخبين وكل القوى السياسية أو الثورية وفي سبيل اجتذاب أكبر عدد من الأصوات يُحشى به بطن صندوق الانتخاب ليرتفع إلى سده الحكم رجال الإخوان .

ففي سبيل تلك الغاية تنكب الإخوان الأكاذيب واستمروا نكث الوعد وتحالفوا مع الجميع لصالحهم ثم غدروا بهم لصالحهم ينفون اليوم ما أقسموا عليه الأمس، يعدون الناس بنهضة تقوم عليها جماعة محترفة، ثم يتبين وهمية الوعد وألا مشروع للحكم عندهم نهضة أو بأقل من النهضة، فصاروا مثل جحا الذي وعد الملك بتعليم حماره الطب في عشرين عاماً أملاً أن يموت جحا أو يموت الملك أو يموت الحمار فلا الحمار مات ولا الناخب نسي ولا المعهود له رضا بغير الوفاء فدخلوا السياسة والحكم من أشد أبوابها ترنحاً أملاً في الانفراد بالحكم بعد الوعود لكل

القوى بالمشاركة لا المغالبة فلما جلسوا على سدته قالوا للجميع (موتوا بغيظكم) بعد أن كان شعارهم (قوتنا في وحدتنا)

فسقطت قدسية المجتمع التي اكتستها بلباس الدعوة وتهرأ تصريحات شيوخ الإرشاد وذهبت الهيبة عنهم وكره الناس زيف الوعود وتخلخل موقف الجماعة وتجرأ القاصي والداني عليهم وصار رئيسهم أضحوكة المراهقين وسمر المواطنين وسخريتهم

فانكفأ الإخوان على أنفسهم لا يثقون إلا بمن كان منهم فتباعدت الشقة بينهم وبين الآخر على النحو الذي أقصوا به أنفسهم وكانوا قبل امتلاكهم الحكم ملأ السمع والبصر في قلوب الناس وفي عالمهم منهج جماعة الإخوان الإقصائي من (التنظيم) إلى (النقابات) إلى (مرافق الدولة جميعاً)

كيف للإخوان وهم يذاكرون كل يوم قول مؤسس جماعتهم أنه "لم يجد في السياسيين ورجال الدولة من ينهض بعبء الحكم بالمنهج الإسلامي أو يبدي الاستعداد لمناصرة الفكرةالإسلامية"؟..كيف لهم وهم يدرسون هذا القول من مؤسسهم الملهم أن يتركوه وراءهم ظاهرياً؟ ....

ففي أول فرصة سنحت لهم للتمكين بعد ثمانين عاماً قضوها في كهف الغربة والإقصاء أوالسجون دخلوا قصر الرئاسة ثم لم يتلطفوا ولم يُشعروا بهم أحداً بل تعاملوا مع مرافق الدولة ومؤسساتها وسلطاتها القضائية والتنفيذية كما وكأنها شعبة من شعب التنظيم أو كأنها نقابة فازوا بأغلبية مقاعدها.

فاستبدلوا كل رجال الدولة ومفاصل الإدارة ورؤساء المؤسسات والهيئات ومدرائها والمحافظين ورؤساء الأحياء استبدلوا رجال الإخوان الثقات لديهم بأهل الخبرة في إدارة شؤون البلاد.

ولما كانت الدولة بمفهومها أكثر اتساعاً من استيعاب تنظيم الإخوان وأفراده وحلفائهم ولم يكن لديهم أي خبرات تراكمية أو متخصصين في كل شؤون الإدارة فاضطروا إلى وضع أهل الثقة المقربين غير المؤهلين بالخبراء في أعمالهم وناصبوا الجميع العداء إلا من اتبعهم

فسقطت الدولة بمرافقها سقوطاً سريعاً وانكشف المستور من الجهل بشؤون الإدارة وانعدام الحكمة في تسيير البلاد على النحو الذي شعر به الجميع وتمنى المواطنون زوال ذلك الإحلال الذي أفسد عليهم معيشتهم ومرافق حياتهم من كهرباء وتموين ووقود وأمن.

وتعلل الإخوان وقتئذ بنظرية المؤامرة فالكل يتآمر عليهم لإفشالهم فأشعلوا نار الحرب على الجميع في وقت واحد ضد كل مؤسسات الدولة العميقة التي انقضت لتدافع عن مصالحها وتطيح بالذين يظنون أنهم مبعوثوا العناية الإلهية ضد الخونة المتآمرين فانتصرت الدولة العميقة في معركة الإقصاء وتمزق الإخوان إرباً بعد أول فرصة للتمكين لهم منذ انطلق المؤسس بمنهجه الذي زرع فيه ألغاماً مفخخة انفجرت في وجه الإخوان والإسلام السياسي.

وبدد ذلك اللغم الذي زرعه المؤسس

أول تجربة للإخوان المسلمين في حكم البلاد بكل قسوة

-تبدل الثوابت الدعوية والمواقف السياسية إرضاء للسادة الأمريكان

لما كان الوصول للحكم في منهج الإخوان غاية في ذاته إذ أنه ركن من أركان الإسلام كعقيدة التوحيد وأصول الدين- حسب بيان المؤسس- فقد بلغ حرص الإخوان إبان ثورة يناير على الحكم ذروة الشبق باعوا به ثوابتهم الدعوية والسياسية واشتروا به ثمناً قليلاً لم يدم مذاقه في ألسنتهم أكثر من عام.

فمعاهدة "كامب ديفيد" أو "معسكر داود" التي مزق الهتاف ضدها حناجرنا ونحن صغار بالجامعة وتم اعتقال المرشد العام الأسبق لمعارضته إياها _عمر التلمساني رحمه الله _ وصودرت بصددها مجلة الدعوة مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية ولا تزال مصادره وهي المعاهدة التي تم حل المجلس التشريعي على إثرها آنذاك واعتقل ١٥٦٣ من نخب المجتمع المصري لمعارضتهم إياها وأوقف البابا شنوده وحددت إقامته. وفي زخم المعارضة الإسلامية لمهادنة بني صهيون استفزت المعاهدة وبعض الإجراءات الأمنية في عهد الرئيس الأسبق أنور السادات نفراً من الشباب فقتلوا رئيس الجمهورية

وأعدم منفذوا العملية وقاطعت البلاد العربية قاطبة الدول المصرية وحرم الرئيس التالي حسني مبارك على نفسه زيارة إسرائيل تشاؤماً من بني صهيون على حياته بعد أن عاش لحظات قتل سلفه على يد نفر من الإسلاميين.

وهي المعاهدة التي اكسبت المعارضة الإسلامية زخماً على الساحة السياسية المصرية والعالمية وارتفعت أصوات الإخوان منادين بفتح باب الجهاد لتحرير الأقصى فانضم للحركة الإخوانية زبده الشباب الواثب للجهاد في سبيل الله وانحسر عن التيار اليساري جل النشطاء من الشباب الصاعد.

إنها المعاهدة التي أفرغت ثلث مساحة مصر المواجهة للعدو الإسرائيلي من أي قوات برية أو بحرية أو جوية أو دفاع جوي أو ناقلات جنود أو دبابات أو حتى عربات مصفحة وكل من يحمي هذه القطعة من أرض الوطن هم مجرد شرطة لا يحملون إلا تسليح الحماية لشخص يحتاج إلى أفتك منها إن أراد أن يصطاد غزالاً أو أرنباً برياً في هذه الصحراء الممتدة .

وفي رسالة جامعية منشورة في ١٣/٥/٢٠١٣ أماطت الباحثة بالمستندات اللثام عن جانب من البنود السرية للاتفاقية ومنها الإقرار بعدم أحقية مصر في المطالبة بتعويضات عن قتلى أسراها إبان عدوان ١٩٦٧.

والإقرار بعدم أحقية الحكومة المصرية في المطالبة بتعويضات عن البترول والفوسفات والمعادن والذهب المنهوب من سيناء إبان عدوان ١٩٦٧. ولمدة اثني عشر عاماً حتى ١٩٦٧.

كما التزمت مصر بموجب المعاهدة بعدم الإشتراك في أي حرب مستقبلية ضد إسرائيل مع أي دولة عربية والتزام مصر بتقديم الدعم اللوجوستي والمخابراتي لكشف قواعد المقاومة الفلسطينية لصالح إسرائيل.

كما ضمت الاتفاقية السرية قضية ميناء أم الرشراش باعتراف كامل أنها ميناء إيلات الإسرائيلي وضمان حصول إسرائيل على حق البترول المصري. كما منعت الاتفاقية مصر من تحقيق أي تنمية بشرية زراعية أو صناعية داخل سيناء فأحدثت خللاً استراتيجياً عرض سيناء لمخاطر الإرهاب

وتهريب السلاح والمخدرات إلى أرض مصر وتهريب السلع الاستراتيجية المدعم من قوت الشعب المصري عبر الأنفاق إلى غزة وما تداول من أطروحات سيناء كوطن بديل للفلسطينين لتصدير الأزمة إلى مصر فأصبحت سيناء مصدر تهديد حقيقي للتنمية والأمن القومي المصري.

وهي نتيجة متعمدة وفقاً لفكرة قيادة إسرائيل بأن تنمية سيناء وتعميرها بالبشر هي أخطر على إسرائيل من القنبلة النووية.

- فكيف تغير موقف الإخوان من كامب ديفيد كعربون للرئاسة والحكم؟....

في ٢٧/٩/٢٠١٢ أعلن رئيس الجمهورية المصرية د. محمد مرسي في حديثه المعلن مع قناة الحياة الإخبارية أنه ليس لدينا أية مشكلة مع معاهدة كامب ديفيد وليس لدينا أي رغبة في تعديل بنود الاتفاقية بشأن فرض سيطرة القوات المسلحة على سيناء كما وأن قتل الجنود المصريين في سيناء حادث عابر لا يهدد الأمن المصري في سيناء!!!

وفي ٩/٤/٢٠١٢ أعلن نائب المرشد العام للإخوان المسلمين خيرت الشاطر على قناة المحور الإخبارية أننا ملتزمون باتفاقية كامب ديفيد وحين سُئل هل هذا اعتراف بإسرائيل؟ قال: نعم هذا موقف حزب الحرية والعدالة وأضاف قائلاً: أنا لا أتحدث باسم الحزب. !.....

ورفض الإجابة عن السؤال وهل يتخذ حزب الحرية والعدالة هذا الموقف دون الرجوع للجماعة وهل النظام السياسي للجماعة الآن يعترف بإسرائيل، وكان الحوار ضمن سؤال عن نتائج لقائه مع المبعوث والوفد الأمريكي بمكتب الإرشاد برئاسة جون كيري وآلن باتسرون.

وفي ١٨/٧/٢٠١٣ أجرى "يوصي بنتشر" الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي حواراً في الإذاعة الإسرائيلية قال فيه:

"إن عهد الإخوان برئاسة مرسي وخلافاً للتوقعات المتشائمة التي سبقت ثورة يناير لم يشهد انهيار العلاقات بين القاهرة وإسرائيل، بل إن نظام مرسي منح نوعاً من الشرعية الإسلامية لمعاهدة السلام الإسرائيلية المصرية".

وفي ٢٢/١٠/٢٠١٢ أعلن جيمي كارتر مهندس الاتفاقية أن الرئيس مرسي أخبره بعدم رغبته في إدخال أي تعديلات على كامب ديفيد سواء قبل أو بعد انتخابه رئيساً لمصر، وذلك على موقع " واللا" الإخباري الإسرائيلي، ولم يعلق مكتب الإرشاد ولا الرئيس مرسي على هذا التصريح الصريح جدّاً.

كما أعلن في ٢٧/٥/٢٠١٢ جيمي كارتر عقب فرز أصوات المرحلة الأولى من الانتخابات الرئاسية والتي حصل فيها محمد مرسي على أعلى الأصوات.

"أن مباحثاته مع الإخوان المسلمين قبل الانتخابات أكد له فيها المسؤولون عن الجماعة أنها لن تطلب إدخال تعديلات على معاهدة كامب ديفيد باعتبارها محور السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وإن كانت المعاهدة لا تحظى بتأييد كثير من المصريين إلا أن وجود الجماعة والجماهيري كفيل بالحفاظ عليها بعد الإطاحة بحسني مبارك في الانتفاضة الشعبية الأخيرة في حسب بيان كارتر عن المسؤولين في مكتب الإرشاد "

وهذا التصريح لم يعقب عليه أحد من مكتب الإرشاد تكذيباً له حتى بعد الإطاحة بهم من الحكم.

وإزاء ذلك التباين الجلي في الموقفين بصدد ذات المعاهدة _ موقف "للمعارضه" وموقف "لتولي السلطة" فإنه إزاء ذلك التباين ليس لنا إلا أحد فرضين:

أولهما: أن نسيء الظن بالإخوان المسلمين ونقول أن ليس لهم كلمة وأنهم لعقوا السلطة بألسنة تتغير بها المواقف كما يبدل الرجل ثوبه في كل مناسبة لينال إعجاب الآخرين.

وأما الفرض الثاني: فهو أن نحسن الظن بهم ونقول أنهم كاذبون _ كذبوا على الآخرين للوصول للكرسي، فإذا ما استتب لهم الأمر رجعوا إلى سابق عهدهم من التنديد بالمعاهدة المذلة مع إسرائيل .

فحسن الظن بهم يفترض إنهم قوم كاذبون

وسوء الظن بهم يفترض إنهم مخادعون

ألم يكن حرياً بالدعاة أن يكتفوا بالوعظ والإرشاد وترتيل التعاليم والنصح والبيان وتوجيه السياسيين بالوفاء بالعهد وصدق الوعد وثبات الموقف بدلاً من أن يرتكسوا في وحل السياسة وأدرانها فتنتكس بذلك على دعوتهم الصافية فيصدون بذلك عن سبيل الله.

إنها الحرب المقدسة

لما كان الوصول إلى الحكم في منهج المؤسس ركناً من أركان الإسلام كالعقيدة والأصول .

ولما كان استخلاص الحكم من أيدي (الذين لا يؤمنون بأحكام الإسلام الحنيف) بتعبير المؤسس من لزوم كمال الإيمان والقعود عنه جريمة إسلامية كما علمهم المؤسس.

فالقضية عند المؤسس ليست مجرد جولة سياسية تخسر أو تكسب فيتقبلها السياسي بروح رياضية نصراً أو هزيمة.

وإنما هي عقيدة _ كالإيمان والكفر والإخلاص والخيانة _ والإسلام والجاهلية إذاً هي حرب وليست سياسة يفنى فيها الرجال وتزهق فيها الأرواح وتسفك فيها الدماء.

وهذا هو خطاب منصة رابعة العدوية والنهضة في أيام الاعتصام للمطالبة بعودة الرئيس محمد مرسي إنه صدى لكلام المؤسس وليس مغالاة في فكر الإخوان أو تطرفاً طرأ على منهجهم.

وبين أيدي الإخوان المعتصمين وفي المظاهرات أبناؤهم القصر يحملون أكفانهم بين أيديهم تتقدمهم النساء في الطليعة رجاء نصر الله الذي وعد به القلة في بدر وأملاً في يد القدرة الإلهية التي نصرت المستضعفين في الخندق ضد الأحزاب الذين بغوا على الدين الجديد؛ فحملوا الإخوان ما استطاعوا من سلاح وأعدوا ما استطاعوا من قوة إفراغاً لطاقتهم واعتذاراً لربهم ورجاء لنصره الذي وعد ولم يسأل أحد من أئمة الإخوان أو عامتهم على من نطلق الرصاص وهل هي الحرب المقدسة حين يطلق علينا الرصاص فنكون شهداء في سبيل العودة للحكم هل نطلق الرصاص على أبي لهب و أبي جهل والذين يقولون (أعلى هبل) و (لنا العزى ولا عزى لكم).

أم أننا نقاتل مسلمين ونسفك دمائنا ونحطم عظامنا في غير معركة الكفر والإيمان والضلال والهداية.

أن الفكر الانقلابي لمنهج المؤسس هو الذي صنع المهوسيين بالتشبث بالحكم ظنّاً منهم أنّ ذلك نصرة لدين الله ضد الفجار والكفار الذين لا يؤمنون بالمنهج الإسلامي ولو أنه خط لهم أن ذاك وذلك من حقول السياسة ودروبها وأن الأيام دول وأن الكمال لا يحتكره الإخوان وأن غيرهم ليسوا من الأنجاس الكفار الذين يستوجب مقاتلتهم لهدأ ذلك الغلو وانطفأ ذلك السعار وبردت تلك الحمى بعد عزل ممثل الإخوان من سدة حكم البلاد. وتعاملوا مع الحدث على أنه جولة سياسية بروح رياضية وعادوا يحصدون أخطاءهم ويستدركون ما فاتهم لجولة جديدة.

كان هذا الذي زرعه المؤسس في منهجه من أول لغم وأودع فيه القنبلة الأولى التي انفجرت بعد حين وعناء طويل يتحمل وزره الذين قدسوا كلام إمامهم قدسية القرآن ولم يراوحوا مكانهم لتنقيحه ونزع الألغام عنه.

للمؤسس أجر الاجتهاد مصيباً أو مخطئاً بحسب نيته والله حسيبه ويتحمل إثم الاتباع الأعمى كل من أغلقوا عقولهم وأصموا آذانهم عن تنقيح ذلك المنهج وخاصة أئمة إرشادهم الذين يحتاجون إلى إرشاد

****

اللغم الثاني

المنهج الإقصائي للإخوان المسلمين

إن الخلاف بين البشر في الفكر والرؤى للإصلاح حتمية فطرية كالاختلاف بين الناس في العقائد والمفاهيم والسلوك يقول تعالى سورة هود ١١٨ ل١١٩

بل إن الاختلاف في ذاته آية من آيات الخلق المبثوث من نفس واحدة سورة الروم ٢٢

وإذا كان أبناء كل دين أو طائفة أو مذهب يلتقون في قواسم مشتركة عامة إلا أنّ الخلاف بينهم ضرورة حتمية في كثير من التفاصيل أو ترتيب الأولويات أو أنماط السلوك نحو ذات الغاية المتفق عليها وذات المبدأ الملتفون حوله.

فإذا ما انتقلت إلى تباين الفصائل أو المذاهب من أصحاب الدين الواحد كان الخلاف أشد وإذا ما تعمقت إلى اختلاف الطوائف كان الخلاف أكثر ضراوة وإذا ما نظرت إلى اختلاف الأديان تشعب الناس وقلّما يلتقون على قاعدة فهم مشتركة.

وأفضل ما قيل لجمع شتات الأفكار والعقائد في هدف مشترك هو قول البنا الشهير " فلنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه "

إلا أن هذه المقالة يبدو أنها كانت شعاراً يخفي رغبة لدى المؤسس في توحيد الناس جميعاً تحت قبة فكره ومنهجه وانضوائهم جميعاً في حزمة الإخوان المسلمين دون أن يعذرهم فيما اختلفوا فيه مع الإخوان، حيث يقول المؤسس في رسالة المؤتمر الخامس":يعتقد الإخوان أن الحزبية السياسية قد أفسدت على الناس حياتهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم ومزقت روابطهم وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر "

أن التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هذه الانقسامات وزعزعة سلطان الحكام هو ما تستلزمه الحياة الحزبية ويحرمه الإسلام الذي يدعو للوحدة والتعاون.

وقد طالب الإخوان جلالة الملك حل هذه الأحزاب جميعاً حتى تندمج في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام .

والإخوان يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تحل هذه الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عامة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.

فهذه الأحزاب جميعاً ليس أمامهم إلا منهج الإخوان المسلمون، ونهيب بالأعيان والكبراء والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه الظاهرة الفارغة التي لا غنى عنها ويتوحدوا تحت راية القرآن الكريم.

فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر أن يحاط بهم أو يسقط في أيديهم، ويضطرون للعمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء .

والعلاج الحاسم أن تزول هذه الأحزاب جميعاً مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون "

انتهى كلام المؤسس ولا يخفى ما في هذا الخطاب من استعلاء مغمور بمظنة احتكار الحقيقة وهو يبتعد عن فكرة الصواب والخطأ في الاجتهاد السياسي والسلوك الدعوى إلى فكرة الحق والباطل فمن أراد الحق فليس أمامه اجتهاد أو رأي أو سلوك إلا الدخول في زمرة الإخوان المسلمين ومن أراد الباطل فعليه تدور الدوائر، وكأنه يدعو الناس جميعاً الدخول في دين الله أفواجاً.

إلا أن أحدهم قد يقول أنها نظرية سياسية جديدة يطرحها المؤسس ليس لها علاقة بالحق والباطل أو زعم احتكار الحقيقة، وإنما هي تهدف لتوحيد فرقاء الأمة وشتات الآراء في ائتلاف وطني واحد يجمع المتنافسين على سدة الحكم برؤاهم جميعاً يتبارون داخل هذا الائتلاف بدلاً من نظرية التحزب التي أفسدت الحياة السياسية حسب رؤية المؤسس.

إلا أنّ هذا القول مردود عليه، أنها كانت نظرية سياسية مبتكرة كما يقول أحدهم إلا أنها نظرية مبتورة وغير واضحة المعالم ومشوهة نظرياً ناهيك عند تطبيقها، فهل ستكون الهيئة الوطنية

العامة تلك - حسب رؤية المؤسس- ستكون بالانتخاب أم بالتعيين أم أن تشكيلها قائم فعلاً وهو تشكيل جماعة الإخوان المسلمين .

وإن كانت بالانتخاب فهل ستكون في انتخابات عامة يشارك فيها كل المواطنين لانتخاب ممثليهم داخل الهيئة الوطنية العادلة أم أنه سيقصر الانتخاب فقط على المنضمين لهذه الهيئة من فئات الشعب المختلفين ليشكلوا مجمعاً انتخابياً وحيداً يختار ممثلي الأمة كما هو الحال في الاتحاد الاشتراكي الذي أنشأه الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر؛ فيتكوّن من الهيئة قاعدة انتخابية ونواب ممثلون .

أم أن هذه الهيئة ستتشكل بواسطة الملك بمرسوم وهو الذي دعاه المؤسس لحل هذه الأحزاب جميعاً وإنشاء الهيئة الوطنية التي سينضم إليها كل الأحزاب دون انتخابات.

والسؤال الأهم هو بمن ستتشكل الحكومة في كل الأحوال هل بالانتخاب من داخل الهيئة الوطنية أم يمكن الاستعانة بغير أعضاء الهيئة وهل يشترط أن يكون عضواً بالهيئة البرلمانية الوطنية أو يكفيه أن يكون فقط من قواعد وكوادر الهيئة .

وهل هذه الهيئة استنساخ لنظرية الحزب الواحد والآراء المتباينة كما هو الحال في الحزب الشيوعي الذي كان يهيمن عل الحياة السياسية في مطلع القرن السابق فيما عرف بالاتحاد السوفيتي قبل تفكيكه في أواخر ذات القرن والذي أثبت فشله بجدارة، وأثبت فشل نظرية احتكار الحكم لصالح نظرية سياسية وحيدة.

إنني لا أعيب على المؤسس عدم إلمامه بأنماط النظم السياسية الحديثة أو القديمة ومدى مطابقتها للشرع الإسلامي ولا أقدحه فيه إذ أنه ليس فقيهاً دستورياً فهذا الفرع من العلم يتخصص فيه من وقفوا حياتهم يسبرون أغواره، ولا جرم على المؤسس إن وضع بذرة لنظرية سياسية مبتكرة يقوم على تطويرها المتخصصون بعد ذلك لتتوافق مع النظام العام للمجتمع ولا تصادم الشريعة الإسلامية ولعلَّ هذه النظرية بعد اكتمالها وتجربتها تشكل نموذجاً كاملاً يحتذى الناس به إلا أن الأخذ على المؤسس في هذا المقام هو نفيه المطلق للآخر بقوله: " فهذه الأحزاب جميعاً ليس أمامهم

إلا منهج الإخوان المسلمين" وهو بذلك يعصف بمن أراد أن يفسر كلامه على النحو المتقدم كما وأنه يقصي كل المناهج إلا منهج الإخوان المسلمين على الساحة السياسية كما وأنه يصادر الآخر الذي لا ينضوي تحت عباءة الإخوان المسلمين؛ ليعمل فقط تحت رايتهم، كما أنه سفّه من مناهج غيره بزعم أنها مظاهر فارغة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى

فإن دعوة المؤسس للأعيان والكبراء والهيئات والأحزاب بالانضمام لجماعته يحفها إغراء بالزعامة فيهم والرئاسة داخل الإخوان.

فهل جعلت الجماعة ورئاستها رشاوى للمنافسين السياسيين ليضعواأحزابهم ويترأسوا بدلاً منها جماعة الإخوان المسلمين أو فرعاً فيها، وما هي القواعد التي تعين بها جماعة الإخوان هؤلاء الوافدين إليها كرؤساء لأحزاب سابقين أو سياسيين أو أعيان أو كبراء في كوادرها.

وما هي الحدود الدنيا للأفكار السياسية والمفاهيم الإسلامية والطموحات الشخصية التي ترشح صاحب حزب مغمور لرئاسة الجماعة .

إلا أن المؤسس بذلك المنهج يخالف السنة النبوية ومنهج الرسول (ص) الذي قال لمن أراد أن يكون الأمر بعد النبي إن هو حمى النبر وقاتل معه حيث إنه لم يؤثر عنه عهداً لرؤساء القبائل بالرئاسة على المسلمين إن هم اتبعوه وحموه من قريش، وقد جاؤوا ليضعوا حمايتهم لمصلحةالدعوة وشخص النبي لقاء الرئاسة لهم بعد وفاة النبي مؤكداً (ص) أن حمايته وحماية دعوته ليس لها جزاء إلا الجنة .

إلا أننا في هذا المقام ننعى على المؤسس بشدة تقديسه لمنهجيه دعوته بحسبانها عنوان الحقيقة وتسفيه ما عداها من طرائق للإصلاح، ذلك أن منهجه نتاج اجتهاد بشري يقبل الخطأ والصواب وليس شرعاً أو ديناً منزلاً من عند الله.

وهذا الفهم من المؤسس لم يكن عليه أحد من سلف هذه الأمة وعلمائها الذين كانوا ينظرون لاجتهادهم عل أنه صواب يحتمل الخطأ وأن اجتهاد غيرهم خطأ يحتمل الصواب.

أما المؤسس فهو لا يرى ثمة خطأ في اجتهاده قط وكأنه يحتكر الحكمة وحده حتى أنه اعتبر جماعته جماعة المسلمين فعلاً بقول غير مباشر، وقد لمّحَ بذلك تعريضاً فقال: " إن التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع الانقسامات وزعزعة سلطان الحكام هو ما تستلزمه الحياة الحزبية ".

فإذا كانت المعارضة – مجرد المعارضة – هي خروج عن جماعة المسلمين التي هي النظام الحاكم في البلاد كما تستلزمه أصول الفهم وأصول مفهوم الدولة، "وليست الجماعة هي الإخوان المسلمين" فقد خرج المؤسس فعلاً عن الجماعة التي هي النظام الحاكم كما خرج ويخرج عصبته باعتراضهم على سياسة النظام، ويخرج الإخوان المسلمون كل يوم عن جماعة المسلمين معترضين على الحكام منذ تأسيس الجماعة وحتى يومنا هذا متعصبين لرأيهم ومسفهين لغيرهم.

فهل كان يعني المؤسس بالخروج عن الجماعة شق عصا الوحدة الوطنية التي تتمثل في معارضة جماعة الإخوان المسلمين والاختلاف حول منهجهم الإصلاحي ووجوب الالتقاء والالتفاف حول قبة الإخوان المسلمين – هذا ما ترشحه الألفاظ والكلمات في سياقها المشار إليه – وهو قول مردود عليه بما سلف.

لما كان هذا

فإن ما رسخ في عقيدة الإخوان من خطاب المؤسس هذا وحتى ساعتنا هذه هو ذات المعنى المتقدم "الاستعلاء على الآخر والإيمان باحتكار الإخوان المسلمين للحقيقة وأن أفعالهم هي عين الحكمة والصواب وأن غيرهم على باطل وأن الخلاف معهم مناهضة للإسلام وأن الخروج عنهم أو مجرد انتقاد أفكارهم أو تصرفهم خروج عن الحق ومروق عن الحقيقة " وقد كان ما زرعه المؤسس قنبلة موقوتة في تاريخ الدعوة انفجرت في أزمنة وأماكن متعددة.

وأول ما انفجرت هذه القنبلة انفجرت في وجه الإخوان المسلمين أنفسهم ففي صيف 1953م كتب مفكر الجماعة وفيلسوفها " سيد قطب " ممهداً لحل الأحزاب: أنه لا وجود لمسميات " أحزاب " ولكن ما في الوجود هما حزبان حزب لله، وحزب للشيطان تتعدد وجوه ومسميات حزب الشيطان ولكن تبقى كلها جميعاً حزباً واحداً هو حزب الشيطان.

وعلى إثر ذلك وذاتَ أسبوعٍ نشر هذا المقال في جريدة الجمهورية الذي عبر فيه قطب عن مفهوم منهج المؤسس في رفض الآخر.

قرر مجلس قيادة الثورة حل جميع الأحزاب السياسية والإبقاء على جماعة الإخوان المسلمين وإحلال ما يسمى " هيئة التحرير " مكان الأحزاب السياسية.

لم يخفِ الإخوان المسلمون سعادتهم بذلك القرار، وهللوا له باعتباره انتصاراً لفكرة مؤسسهم وطريقاً إلى إنشاء النظام الأمثل الذي دعا إليه المؤسس ولم تمضِ شهور قليلة حتى استحكم الخلاف بين قيادة البلاد المتمثلة في رئيسها جمال عبد الناصر، وبين قيادة جماعة الإخوان المسلمين التى أرادت تطويع ناصر تحت قيادتها حسب مفهوم المؤسس وأبت مجرد المشاركة في الحكم فكان الصدام الدامي الذي قوض جماعتهم.

حيث توالت الأحكام العسكرية عل الإخوان وأودعوا السجون ولم يكن بالساحة السياسية صوت غير صوتٍ واحدٍ، هو صوت هيئة التحرير" المؤسسة السياسية الوحيدة في البلاد - فلم يسمع لها صوت لمعادلة الأحداث أو لانتقاد الإجراءات التعسفية ضد الإخوان أو التنديد بالظلم الواقع عليهم.

وحذا الاتحاد الاشتراكي حذو هيئة التحرير فلم يتردد في جنبات الحياة السياسية المصرية صوت واحد معارض لسياسات القمع ضد الإخوان فكان أول من اصطلى بنار وحدة الحياة السياسية في هيئة واحدة هم الإخوان أنفسهم.

وسواء كان الضحية هم الإخوان أو غيرهم فالمبدأ واحد وهو لزوم وجود الرأي والرأي الآخر في الحياة السياسية حتى تنضج الأفكار وتعتدل الموازين لأن احتكار الرأي دون الآخر هو بوابة الطغيان وأن

الحكم المطلق فساد مطلق سواء كان من هيئة التحرير أو من قبة الإخوان المسلمين وسواء كان صادراً من رتبة عسكرية أو من عمامة دينية.

هذا من ناحية

وفي مقابل ذلك فإن تاريخ الدعوة بعد ذلك لم يشهد رواجاً أو انتشاراً إلا بعد أن تخلى المرشد الثالث/ عمر التلمساني عن فكرة مصادرة الأحزاب كفراً بالمنهج الإقصائي الذي زرعه المؤسس حيث انخرط الإخوان مع حزب الوفد الخصم التاريخي للمؤسس والإخوان والمناهض لفكرهم، ثم تحالف مع حزب العمل في الحياة السياسية وانتشروا بذلك بواسطة الشباب الذين جمعهم التلمساني فخاض هؤلاء الفتية السياسة بعيداً عن فكرة الإقصاء التي نادى بها المؤسس فكان النجاح حليفهم.

فلما اندلعت ثورة يناير 2011م

كان الإخوان المسلمون قد أرسوا بفكر التلمساني الإصلاحي قاعدة شعبية وزخماً إصلاحياً مكنهم من الفوز للإعادة بانتخابات الرئاسة 2012م حسبما أعلن وقتئذ، إلا أنّ أئمة الإرشاد في ذلك الوقت كانوا ينتمون إلى الفكر القطبي - وهو الفكر الذي تبنّى ما زرعه المؤسس من استعلاء على الآخر والإيمان باحتكار الحقيقة.

فكانت الإعادة في الجولة الثانية بين مرشح الإخوان / محمد مرسي، ومرشح النظام السابق / أحمد شفيق.

فاستعان الإخوان بقطبين رئيسين لعبور الجولة الثانية بسلام أحد هذين القطبين الجماعة الثورية الوطنية، ومنهم عبد المنعم أبو الفتوح الذي سبق وفصلته الجماعة اعتراضاً منها على سلوكه بترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة دون إذن مسبق، حيث ائتلفت جميع القوى من الثورية والليبرالية وشباب ما سمي بـ 6 إبريل واليساريين والإسلاميين المنشقين عن الإخوان ورجال ونساء وشباب وفتيان التغيير لتأييد مرشح الإخوان المسلمين / محمد مرسي، ضد / أحمد شفيق، على

وعد موثق من مرسي بالمشاركة من الإخوان وليس بالمغالبة، وأنه سيكون رئيساً لكل المصريين وليس ممثلاً لجماعة الإخوان المسلمين بوعود مكتوبة ومطبوعة ومسجلة.

أما القطب الثاني الذي ارتكن إليه الإخوان لعبور معركة الإعادة فقد كان حزب النور السلفي الذي كان يمثل العمق الإسلامي بانتشارهم في القرىوالريف وبين جمهور المتدينين فكان لهم أعمق الأثر في نفوس البسطاء المتدينين ضد ممثل نظام مبارك لنصرة الدين والشريعة التي يمثلها محمد مرسي حسب دعايتهم في حينه.

وبعد إعلان نجاح مرشح الإخوان ضد منافسه تنكرت مؤسسة الرئاسة الإخوانية وأئمة مكتب الإرشاد لمن مد إليهم يد العون وغسلوا أيديهم من الالتزام والتعهد بالاصطفاف الوطني وعادوا إلى منهج الإقصاء الذي غرسه البنا فكان الإقصاء الأوّل بمجرد إعلان النجاح هو للفريق الثوري ولشباب التغيير الذي شكّل العمق الوطني الليبرالي لصالح مرشح الإخوان فلم يكن لأي منهم دور مطروح في إدارة البلاد أو مناقشة الآراء واستأثر الإخوان بالقرار والتنفيذ باسم الإخوان وبواسطة الإخوان ولصالح الإخوان وبواسطة اتباعهم الخاضعين لهم.

فلما أراد الإخوان إقرار مشروع للدستور وقف الفريق المتقدم من القوى الوطنية والليبرالية ضدهم فاستعان الإخوان لتمرير الدستور بالعمق الإسلامي لحزب النور حتى اجتازوا المرحلة وتم إقرار الدستور.

وفور إقراره تنكر الإخوان لحزب النور وأقصوه من إدارة البلاد واستأثر الإخوان بكل مفاصل الدولة لصالحهم ولأتباعهم الخاضعين لتوجهاتهم، بل واحتسبوا حزب النور ضمن فلول النظام السابق والليبراليين حين انتقد بعض سلوكهم - وهو الأكثر يميناً من الإخوان أنفسهم.

ولم يكد يمر عام على حكم الاخوان حتى بدت ملامح ذلك الحكم تكرس كل قرارتها نحو إقصاء كل الآخرين من القوى والأحزاب السياسية وأهل الخبرة من مفاصل الدولة وإدارة البلاد واستأثروا بحكم كل روافد البلاد وحدهم ولم يكونوا قد نجحوا وحدهم والجماعة ليست أهلاً لذلك إذ أن مصر أكبر وأعمق من الجماعة المحدودة.

وفي أوّل ذكرى لتوليهم الحكم في 2013/6/30م احتشد ضدهم في الشوارع والميادين كلّ من تنكروا لهم وكلّ خصومهم التقليديين وكلّ من اكتسبوا عداوتهم في هذه الفترة القصيرة من حكمهم.

فاحتشد ضدهم مطالبون بعزل رئيسهم كل من لم يكن من الإخوان المسلمين حيث شهد ميدان التحرير وكل الجسور والشوارع والميادين المؤدية إليه، كما شهدت كل ميادين عواصم المحافظات وساحات المدن والقرى حشوداً من كل الأطياف السياسية على اختلاف أعمارهم وتوجهاتهم يطالبون بإسقاط الرئيس / محمد مرسي، وانتخابات رئاسية مبكرة.

فانفجر اللغم ذاته الذي زرعه المؤسس - والقائم عل إقصاء الآخر أو تبعيته للجماعة - والذي سبق انفجاره في وجه جماعته في الخمسينيات انفجر مرة أخرى في وجه الجماعة في القرن التالي، حيث تدخل الجيش وأقصى مرسي ونظام حكمه الذي أراد إقصاء الأمة وأحزابها فانعزل الإخوان بعد أن كانوا ملء السمع والبصر وأضحى قادة وأفراد التنظيم يواجهون اتهامات جنائية بالتحريض على القتل والحرق والتخابر لصالح روافدهم من جماعة حماس.

ولو أن الإخوان كانوا قد تحصنوا بالجماعة الوطنية لوقف الجميع معهم ضد الخصوم التقليديين ولكنهم أرادوا إقصاء الجميع فعلقوا وحدهم جراحهم وخرجوا من المشهد السياسي إلى السجون في مشهد يتكرر كل حين.

قد يرى البعض أن ما حدث من الإخوان هو شكل من قصور الفهم في الإدارة أو قد يرى البعض أنه غرور بالقوة والاستهتار بالآخرين، إلا أن الحقيقة بالإضافة لذلك كله.

إن منهج المؤسس قائم على أن من ينصر الإخوان ناصر للحق الذي يمثلونه وللنور الذي يحملونه وحدهم وليس على الإخوان من دين يؤدونه له إنما هو مسخر بقدر الله لنصرة دين الله الذي تمثله جماعة الإخوان المسلمين.

فإن أراد المشاركة معهم بالرأي أو النصيحة أو الحكم فليس عليه بعد ما قدم إلا الانضواء تحت قبة وتوجيهات الإخوان لتشكيل الجماعة الوطنية التي رائدها منهج وقرار الإخوان فإذا أصر على أن

يكوّن لنفسه تشكيلاً آخر فهو عدو للحق يتنكب طريق الصواب فيجب محاربته وإبعاده وإقصاءه والاحتماء بالجماعة والجماعة فقط ضد هذا الخصم صديق الأمس.

هذا ميراث وحدوية الفكرة السياسية عند البنا وهي اللغم الثاني الذي انفجر في وجه أتباعه من الإخوان بعد ثمانين عاماً من إرساء منهجه.

لا تعترض فتنطرد أنهم لا يحبون الناصحين

فمنهجية النفي والإقصاء ليست قاصرة فقط على " الآخر" من الأحزاب والهيئات غير المعترف بهم إلا إذا دخلوا منظومة الإخوان.

ولكن النفي السياسي والمجتمعي يمتد ليشمل كل من خالف قيادة الجماعة الرأي أو نحا غير نحوهم من المناهج الإصلاحية ولو كان يوماً في صفوف الجماعة ولو كان يوماً من مريديها ومحبيها المعطائين لها والباذلين حياتهم في سبيل أغراضها.

يقول المؤسس في ختام رسالة التعاليم التي بسط فيها واجبات الأخ العامل في الإخوان.

أيها الأخ الصادق.

هذه مجمل لدعوتك وبيان موجز لفكرتك - وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات

" الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شريعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمنيتنا ".

فخذ بنفسك بشدة بهذه التعاليم وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغايتك، كان جزاؤك العزة في الدنيا، والخير والرضوان في الآخرة، وأنت منا ونحن منك وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك وإن تصدرت بيننا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب.

فاختر لنفسك ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

ثم يستشهد المؤسس على كلامه بقوله تعالى من سورة الصف: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُاللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ"(14) أ. هـ

وهذا الذي بلغه المؤسس في نزاهة منهجه وحكمته وصواب رأيه بأن ألبسه ثوب الدين وخلع لباس الدين عمن تركه كان غلواً في تقديس اجتهاده حتى أنه اعتبر أن من أيد جماعته فإنه من" ينصر الله " أو من " أنصار الله " ومن قعد وتركها فمثله كمثل طائفة بني إسرائيل القاعدين عن نصرة نبي الله عيسى في مواجهته مع أعدائه الكافرين بدين المسيح.

فمنهجه هو الإسلام إذاً وما عداه هو عبث بل هو كفر يعرض صاحبه لحساب الله الشديد يوم القيامة.

وهذا العرض التقديسي للمنهج الذي ينعت بالكفر كل من خالفه جعل من الإخوان أفراداً شديدي العنصرية لمن هو " إخواني " وشديدي الرفض لمن هو "غير إخواني " وأصبح لديهم معيار "عضوية الجماعة " هو معيار الولاء والحب والمعاملة التجارية والاجتماعية من زواج وصداقة ومصاهرة كما هو معيار التعيين في الوظائف والفصل منها وهو معيار القربى السياسية والراحة النفسية؛ فأضحت الجماعة ديناً جديداً لأتباعهم داخل الدين الذي جاء به محمد (ص) ومن خرج منها كمن شاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين ففي نحره سهامهم وعليه منهم العزلة والفرقة والحرب السياسية والاجتماعية

يقول مرشد الإخوان الأسبق " مصطفى مشهور " في كتابه " الجندية طريقالقيادة " ، "والذي ينشق عن جماعة الإخوان المسلمين ويخرج منها يجب أن يكون كالغصن الذابل الساقط من الشجرة والذي لا يصلح غرساً ولا وتداً".

إلا أن الأحداث أثبتت أن من أنشق عن جماعة الإخوان المسلمين وخرج من منظومتها كان أكثر المبدعين في العلوم الإسلامية والإنسانية والدعوية والأدبية ولم يظهر في تاريخ الجماعة من إبداع من داخلها إلا كتابات المحنة لفيلسوف الجماعة المرحوم/ سيد قطب.

فلما وجدت قيادات الجماعة أن المنشقين عنها قد أضحوا ملء السمع والبصر وإعجاب الناس سعوا لتهشيم ذلك الغصن الوارف الظليل حتى لا يصلح غرساً ولا وتداً فلا ينتفع به أحد حتى يذبل ويموت.

ففضيلة الشيخ/ محمد الغزالي، قد لاقى من أفراد الجماعة وقيادتها صنوفاً من التكفير والاتهام بالزندقة والرياء هو والشيخ الجليل/ سيد سابق، وقد حكى طرفاً من مأساته مع الجماعة فضيلته في كتابه " ملامح الحق " بعد انشقاقهما عنها.

وقد أبدع سعيد حوى في كتابه " الأساس " ولم يذبل ولم يمت بعد انشقاقه عن الجماعة، وكان الشيخ الباقوري علماً من علوم الدين والبيان رغم الحملة الشنعاء التي شنها الإخوان المسلمون في تاريخهم الطويل عليه وعلى سيرته - رحمه الله تعالى - ودائماً ما ينعتون من خرج عنهم وأثبت نجاحاً أنه يعشق التغريد خارج السرب وهم يعنون بذلك السرب المقدس " جماعة الإخوان ".

والقبول الشخصي والحضور الذهني وقوة التأثير لم تفارق الزعيم " مختار نوح " منذ أن طرح نفسه كممثل للشباب في انتخابات نقابة المحامين برفقة الأب الرّوحي لجيل الإخوان الوسيط" عمر التلمساني " المحامي القدير والمرشد المجدد، ورغم أن زعامة نوح قد شقت للإخوان سبيلاً معبداً إلى أغلبية عضوية نقابة المحامين يسارية النزعة اليبرالية الفكر علمانية التوجه حيث أبدع نقابياً متميزاً كما أبدع سياسياً قديراً في مجلس الشعب.

إلا أن قوة تأثيره لم تختبر إلا بعد " انشقاقه " من الجماعة حيث تألق محللاً سياسياً ومعلماً اجتماعياً يلتف حوله المريدون من كل الأفكار يضعون عند أعتابه اجتهادهم رغم المحاولات " المستميتة "من قيادة الجماعة لتهشيم الرجل وتكفيره وعزله وإسقاطه... ولايزالون.

وإن أي مؤرخ منصف للحقبة السياسية التي أعقبت ثورة يناير **2011**م لا يمكن أن يغفل ثروت الخرباوي بأسلوبه الرشيق في كتبه الأشهر" قلب الإخوان " و " سر المعبد " و " أئمة الشر ".

فهذه الكتابات هي التي خلعت عمامة القدسية عن رأس الجماعة، ونزعت ثوب الحكمة المزيف عن قيادتها القطبية الحالية التي ترى " أن الغاية الشريفة تبرر الوسائل الوضيعة الخسيسة ".

وهذا هو الانطباع الذي تركته كتبه لدى النخبة المثقفة وكل من طالعها والذين كانوا يظنون- خطأ - أن الجماعة الآن هي امتداد لمشروع التلمساني في الإصلاح.

وكذلك أضحى مئات المنشقين عن الجماعة ملء السمع والبصر ليتشكل منهم الساسة والمحللون والقادة والناشطون أمثال: د / أحمد كمال أبو المجد " أستاذ القانون الدولي " ود/ محمد كمال عبد العزيز " أستاذ القانون المدني " والمحاضر في معاهد القضاة ولا يكاد يخلو حكم من أحكام النقض من الاستشهاد بمؤلفاته ومنهم أيضاً / عادل عيد وأحمد رأف، ود/ سالم نجم ، ود/ مصطفى رسلان ، والمفكر المبدع/ محسن القويعي، من أبناء البحيرة الذي دعا له أحد قادة الإخوان عند دفنه قائلاً: " اللّٰهُمَّ أعطه أجر من مات على الإخوان " ليؤكد بذلك الدعاء أن من خرج عن الإخوان كأنه خرج عن الإسلام الصحيح ، وكأن فكر الإخوان دين داخل الدين الأم.

ترى هل ساهم هذا المنهج الإقصائي عند المؤسس في زيادة شعبية الإخوان وحب الناس لهم وإقبالهم على جماعته.

أم كان لغماً مفخخاً صنع من الأصدقاء، أعداء وجعل من المسلمين - بلا حق - كفاراً، وجعل القطة تتوحش ضد أبنائها لتفترسهم وتستذل في مواجهة أعدائها أو تستأنس لهم.

****

أشد الألغام فتكاً

العنف المرجأ في منهج الإخوان

إذا كان المؤسس يرى - كما سبق - أن الحكم هو من أركان الإسلام وقعود الإخوان عن المطالبة به لأنفسهم جريمة إسلامية.

وإذا كان المؤسس لا يرى أملاً في النظام الحزبي فيوجب حل الأحزاب وانضواء الجميع تحت قبة ولواء الإخوان المسلمين من الأحزاب والهيئات والكبراء والسياسيين.

فكيف يمكن لهذه الجماعة أن تتوسد السلطة بغير المنظومة العامة التي اختارها المجتمع لتداول السلطة السلمية بعيداً عن العنف، كيف السبيل لدى المؤسس للوصول لسدة الحكم دون انتخابات حزبية وفوز حزبي ومنافسات حزبية؟ يجيب المؤسس في رسالة المؤتمر الخامس فيقول:

-الإخوان والقوة

ويتساءل الناس - هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم وهل يفكر الإخوان المسلمين في ثورة عامة أما عن القوة، فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء ولابد أن يعملوا في قوة وهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة هي قوة العقيدة والإيمان ثم يأتي بعد ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعانى جميعاً.

إلا أن الإخوان حين يستخدمون القوة لابد أن يراعوا نظرات ثلاثة: -

- هل يكون استخدام القوة في كل الظروف والأحوال.

- والنظرة الثانية هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكيّ.

- والنظرة الثالثة هي الموازنة بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة.

وأقول للمتسائلين أن إخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك.

ثم يقدمون على استخدام القوة في عزة وكرامة ويحتملون نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح أما الثورة فلا يفكر فيها الإخوان المسلمون ولا يعتمدون عليها ولايؤمنون بنفعها ونتائجها.

إلا أنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فسيؤدي ذلك حتماً إلى الثورة ليست من عمل الإخوان ولا من دعوتهم.

أيها الإخوان المسلمين

في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسياً وروحياً بالإيمان والعقيدة وفكرياً بالعلم والثقافة وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحر وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد فإني فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله القائل: ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة.

انتهى قول المؤسس

وعلى هذا النحو

صار شعار الإخوان المسلمين " وأعدوا " شعاراً يحمل مصحفاً يحتضنه سيفان ولا شك أنه يشير لمعنى القوة العملية لبلوغ السلطة باسم القرآن لإنفاذ أحكامه.

إلا أننا من جانبنا يجب أن نسأل المؤسس على من ستطلقون الرصاص ومن هم الأعداء الذين نرهبهم بالسيفين المتعانقين...؟

وعلى نحر من يوجه نصل السيف..... ؟؟

فإذا كانت الحكومات التي لا تنفذ أوامر الله وشرعه وتعلن أنه لا إلهإلا الله وتقيم الشعائر هي حكومة مسلمة وأفرادها مسلمون وجنودها مسلمون، فقد حرم قتالهم أو استخدام القوة ضدهم أو إرهابهم ووجب على الجماعة وأفرادها ومؤسساتها أن تتعاون مع هذه الحكومة على البر والتقوى

وأن تنصحها وتجافيها إذا ما اعتدت أو ظلمت وليس للإخوان قتال هذه الحكومة أو رفع السيف ضدها لمجرد معصية وأعضاؤها مسلمون.

إن هذه السطور لم تعد كمبحث فقهي في أمور هي من المسلمات أو لتردد آيات - لا شك - أن المؤسس وأئمة الإرشاد أوعى بها من غيرهم وهم يديرون كبريات الجماعات في العالم الإسلامي!!.

هل يحتاج المؤسس لجماعة الإخوان أن نتلو عليه قوله تعالى:" **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93) ".**

هل يحتاج أئمة الإرشاد أن نذكرهم بقوله تعالى: " **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**[٥] "

إن صوت النبي (ص) في خطبة الوداع لا يزال يتردد صداه على مسامع الدنيا " أيها الناس - إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ".

وعشرات الآيات والأحاديث التي تحرم قتل النفس، أو التحريض على ذلك فساداً في الأرض وفي غير قصاص، وتنعت المتقاتلين من المسلمين بالكفر حين يلتقيان يحرص كل منهما على قتل صاحبه.

فإن كان الذين تقاتلونهم بقوتكم التي تعدونها لبسط وهيمنة سلطان القرآن بالسيف إن كانوا مسلمين فأين تذهبون بهذه الآيات النورانية والأحاديث النبوية التي تحرم القتال بين المسلمين أم أنكم ترون أن من نطق بالشهادتين وعصى الله حاكماً أو محكوماً فهو كفر تستحلون دمه.

إننا نريد من أئمة الإرشاد وورثة منهج المؤسس وأتباع البنا إجابة صريحة عن هذا السؤال النظري على من ستطلقون الرصاص للتمكين لشرع الله حسب تصوركم وتصور المؤسس؟؟

على الكفار الذين نطقوا بالشهادتين وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وتصدقوا من أموالهم، ثمَّ أتوا معاصي يتوبون منها فهم عندكم كفار حلال الدم وهم على النحو أم على المؤمنين الذين عصموا منكم دماءكم بمجرد نطق الشهادتين وأن عصوا الله في جوانب شريعته وتعاملوا بالربا ولم يجلدوا الزاني، وإذا لم تتمكنوا من الخلوص للحكام الكافرين مباشرة ولم تتمكنوا من قتلهم إلا

بقتل جنودهم وأعوانهم الذين يتترسون بهم، فهل قتل أولئك الجنود في منهجكم حلال ومن هؤلاء الجنود والأعوان من ينكرون المعاصي ولا يأتونها ويتطهرون منها، فهل قتل هؤلاء والأعوان والجنود شرعاً لمجرد الخلوص للكفار العاصيين لأمر الله رغم نطقهم بالشهادتين؟

فإذا كان رأي الإخوان المسلمين على مذهب أهل السنة والجماعة بأنّ المعصية وحدها لا يكفر بها صاحبها وأن مجرد نطق الشهادتين عصمة لدم المسلم ولو أتى الكبائر - ويوكلون أمره لله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

إذا كان هذا الذي قال به كل علماء الأمة هو مذهب الإخوان، فقد وجب عليهم مراجعة فكرة استخدام القوة المرجأة هذه لحين تمام الاستعداد واكتمال عناصر القوة والتخلي عن الفكرة الانقلابية للوصول للحكم وإعلان خطأ المؤسس فيما قال بشأن استخدام القوة على النحو المتقدم والاعتذار والتوبة علناً، والاستغفار سراً عن كل فعل أفرزته منهجية الإمام هذه منذ قالها حتى يومنا هذا، أما إذا كان رأيهم بخلاف عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الشأن ويقولون أن من عصى الله بذنب فقد أحل دمه وهو مذهب الخوارج وأن المعصية وحدها التي يقترفها الحاكم أو أي مسلم رغم نطقه بالشهادتين وإقامة شعائر الإسلام إلا أنه بتلك المعصية يكفر ويجب قتاله.

فليعلن أئمة الإرشاد صراحة كما صارح المؤسس الناس أن منهج الإخوان هو استخدام القوة المرجأة لحين استكمال عدة العقيدة والترابط والسلاح وليعلنوا أن المجتمع الذي سينطلقون لقتاله هو مجتمع كافر حلال الدم وأن ما بحوزته من أموال هؤلاء الكفار هي غنائم وأن بنات الكفار وأزواجهم سبايا وجوارٍ، وأنهن يصبحن ملك يمين الأخ الإخواني حين الظفر بالنصر على أعدائه أعداء الإسلام أو عند أسر الأعداء في المعركة.

وأطالب من الإخوان هذه الشفافية والصراحة ليهلك من هلك من بينه ويحيا من حيا من بينه، إلا أن جماعة الإخوان المسلمين أشد جبناً من هذه المواجهة التي سبق وأعلنها سيد قطب بأن قال: "إنه

ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيها هي شريعة الله والفقه الإسلامي".

لقد كان سيد قطب جريئاً قوياً في إعلان ما يعتقده رغم فساد هذا القول وخطأه إلا أن أئمة الإرشاد وأتباع البنا وتلاميذ قطب يستحلون الكذب والمراء بإعلان أنهم جماعة من المسلمين وفي عقيدتهم أنهم هم جماعة المسلمين والتي يجب على الجميع اتباعها والتطهر من كل فكر يخالفها والبراءة من كل منهج يناهضها ويتعاملون مع الحكام وأعوانهم على أنهم كفار أو مرتدين يهادنونهم إلى حين استكمال قوة السلاح وتهيئة المناخ للانقضاض عليهم واستخلاص الحكم من أيديهم وإعلان دولة الإخوان التي هي دولة الإسلام وما عداها غير ذلك فهو كافر مستحل الدم.

ولا أجد مبرراً لإعلان المؤسس دقيق الفهم عميق الفكر فقيه المنهج بالاستعداد بالقوة المسلحة للقتال إلا أنه سيقاتل كفاراً حلال الدم من أهل وطنه وجيش بلاده وأبناء دينه الذين يشهدون لله بالتوحيد إلا أنّهم في عقيدته كفارٌ بذنوب أو كفارٌ بمعاونة آخرين من الحكام الكافرين في توسيع لدائرة الكفر كما أورده وفهمه سيد قطب حتى بسط رداء الكفر على الجميع إلا الفئة الذين في خياله بحسب بيانه في مقدمة كتابه " العدالة الاجتماعية في الإسلام " والذي أهداه " إلى الفتية الذين آراهم في خيالي يأتون من بعيد يبعثون هذا الدين جديداً، كما بدؤوا يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ".

وهو يعني جماعة الإخوان المسلمين

فهل غاب الإسلام عن حاضرنا حتى يبعثه الإخوان من جديد؟

ومن هم هؤلاء الأنبياء الذين يأتون بهذا الدين الجديد؟؟

إلا أن سيد قطب لم يأتِ بفهمٍ جديدٍ، وقد استقاه من خلفية منهج المؤسس وكان قطب في هذا الرأي في كامل الوعي أنه على منهج الإخوان المسلمين في تكفير الأمة، وأنه لم يشذ عن منهج البنا بهذا القول حيث أن الخلفية التكفرية لهذا المنهج تؤدي حتماً لهذه النتيجة الصريحة المفجعة التي صدم بها سيد قطب في صراحة جمهور المسلمين.

كان البنا يواري ويداري هذه الخلفية في عرض أقل صراحة وأقل تحديداً وتمييزاً من كلمات سيد قطب المدوية " إن المسلمين اليوم لا يجاهدون ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون أن قضية وجود الإسلام والمسلمين اليوم هي التي تحتاج إلى علاج ".

بل إن غلو سيد قطب المستقاة من منهج البنا بلغت به أن يدعو الإخوان المسلمين إلى: " اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد، تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور".

وهذا النهج وهذا الفهم ليس من الإسلام في شيء ولم يؤثر عن علماء الأمة وعن أهل السنة والجماعة شيئاً مما أورى به المؤسس وصرح به سيد قطب ولم يفتِ منهم أحداً بذلك الرأي الشاذ في الفقه.

وقد أورد الإمام ابن تيمية حديث النبيّ صلى الله وعليه وسلم المتفق عليه: " من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنّ من خرج من السلطان فقد مات ميتة جاهلية ".

فخلص ابن تيمية من ذلك أن طاعة أولي الأمر على هذا النحو واجبة على كل مسلم وأن الخروج عليه معصية ما نطق الحاكم بالشهادتين، كما استدل من الحديث الذي أورده صحيح مسلم:

"خيار أئمتكم الذي تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ".

قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننباذهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم. وفي رواية " لا ما صلوا ".

وفي حديث مسلم " يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من راضى وتابع قالوا أفلا نقاتلهم قال لا ما صلوا ".

وقد أكد ابن تيمية بهذا الفهم أنّ الخروج على الحاكم فتنةٌ أشدّ من معصيته، ولم يقل بكفر الحاكم أو وجوب قتاله وقتل جيشه وأعوانه.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء.

وقد أجمع الأئمة الثلاثة على هذا الفهم مالك في الموطئ والشافعي في الأم وأحمد في مسنده من الحديث عن عبيد الله بن عدي " أنّ رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله (ص) وهو في مجلس يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله (ص) قائلاً: أليس يشهد ألا إله إلا الله قال الأنصار: بلى يا رسول الله، ولا شهادة لها، قال: أليس يشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لها، قال: أليس يصلي؟ قال: بلى ولا صلاة له قال (ص): أولئك الذي نهانا الله عن قتلهم ".

يقول الحافظ بن حجر العسقلاني

أن مقتضى ذلك أنه لا يجوز الخروج على الحاكم ما دام فعله يحتمل التأويل وطاعة أولي الأمر واجبة سواء بايعه الناس أم أنكروا بيعته، فإن مفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من الطاعة في أمور خلافية.

هذا هو ما كان عليه علماء الأمة من فهم وفقه سياسي لم يكفروا حاكماً بمعصية ولم يأذنوا بالخروج عليه ولم يأمروا بقتله أو بقتال جيشه أو اغتيال أعوانه حتى ولو كان هذا الحاكم قد كفر كمن قال بخلق القرآن مما يخرج به عن الملة في فتوى للإمام أحمد بن حنبل إلا أنه " أي الإمام أحمد " لم يأمر بقتل الخليفة المأمون القائل بخلق القرآن ولم يأمر بإعداد اثني عشرة مقاتل يتولون الخلافة بعد المأمون.

وعلى هذا

فإنّ منهج المؤسس الذي أباح كل ذلك على هذا النحو قد خرج على منهج أهل السنة والجماعة وفتح باباً للفتن على مصراعيه وأعلى من شأن القوة وجعلها فيصلاً حاكماً في خلافه السياسي مع الحكام المسلمين وارتضى أن تكون الغلبة للأقوى مرتكناً إلى حديث ضعيف أنه: " لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة" وهو حديث رواه الترمزي وقال أنه حديث مرسل غريب فيه ضعف في سنده وهو

يناقض معنى الآية الكريمة: " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ".

وكان المسلمون يوم حنين اثنا عشر ألف مقاتل مجهزون وبينهم رسول الله (ص) ومنوا بهزيمة قاسية بخلاف وجهة المؤسس السياسية.

إن صح الحديث سنداً - وهو ليس صحيحاً - فإن المعنى لابد أن يفهم بمدلول الآية الكريمة في سورة الأنفال: " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ۗ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) ".

فماذا يقول المؤسس إذا كان الإخوان اثني عشر ألف مقاتل، وأعداؤهم أكثر من ضعف هذا العدد.

وماذا نفعل بهذه الآية الكريمة هل نصادرها ونصادر عقولنا ومنطق الأشياء وموازين القوة من أجل إنفاذ منهج المؤسس، ليس هذا فقط.....

ولكـــن

إن صح الحديث فيجب أن يفهم من قول النبي (ص) فيجب أن يفهم من قول النبي إن قاله:

" ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة " أي يمكن أن يغلبوا لأسباب أخرى كفرق كفاءة السلاح والعتاد والخطط الحربية وغير ذلك من وسائل القتال، كما يمكن أن يهزموا بالغرور والاستعلاء على الآخرين.

إن أخطر ما في قول المؤسس أنه بالإضافة للمحظور الشرعي الذي وقع فيه أنه ينقل الصراع إلى موازين القوة ويحتكم إلى القوة للوصول إلى السلطة وعند الاحتكام للقوة فإن الأقوى ولا شك هو الذي يدوس أعداءه ويشردهم وينكل بهم.

المنهج بين الاستنفاد والاستنزاف

أستطيع أن أقول أن منهج المؤسس على هذا النحو أو في نسخته القطبية - الأكثر تحديداً - قد قدم لأعداء الأمة أجل خدمة على مدار قرن من الزمان إذ استنفد طاقة الحركة الإسلامية من ناحية واستنزف طاقة الحكومات من ناحية أخرى فمنذ مقتل القاضي الخانذار ورئيس الوزراء النقراشي

والجماعة في صراع بئيس مع الحكومات المتعاقبة ولم يستطع أحد أن يخرج من دوامة الصراع المحلى الذي لا يكاد ينطفئ حتى يستعر.

لقد حدد سيد قطب في تفسير قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123) ".

إن أولويات الحركة الإسلامية هي تحرير الأمة من الجاهلية وإستنقاذ العباد من عبادة العباد في المواجهه المباشرة مع الحكام وجنودهم الخاطئين.

فلم يجد أتباع هذا الفكر إلا مجموعة من الجنود في رفح السيناوية يجلسون في انتظار أذان الإفطار في صيام رمضان، يمسكون بأيديهم مجموعة من التمرات فرحين بنعمة الصوم والطاعة يتمم بعضهم بدعاء وآخر باستغفار وثالث بأذكار وبين أيديهم زجاجة ماء وكومة من طعام.

وفي الوقت الذي شرع فيه الجنود يستهلون أذكارهم انقض عليهم " الإخوة المجاهدون " يمطرونهم بوابل من الرصاص - لا شيء إلا لأنهم كفار من جنود الحكام، حتى قتلوهم - قتلوهم جميعاً.

فأوجد هذا المنهج عدواً قريباً يسهل النيل منه.

كما وأن هذا المنهج أفرغ طاقة الشباب الجهادية ضد أحد الجنود يجلس في حراسة كتيبة أو رقيب يقبع على ظهر دبابة أو مجندين مسرحين بعد أداء خدمتهم يتوقون للعودة إلى الديار، ليصبح أولئك حلال الدم لأنهم من جنود الطغاة الكفار.

كما وأن هذا المنهج - وخاصة في نسخته القطبية - قد أوجد عزلة نفسية لمن اعتنقه ينتظر بفارغ الصبر اللحظة يقتل فيها أعداء الله من أتباعالحكومات ويقتل في سبيل الله، فينظر لمؤيدي وأعوان الحكام نظرة الفريسة التي حان قطاف رؤوسها، ابتغاء مرضاة الله.

وفي مقابل ذلك أوجد ذلك المنهج حالة التربص التي عليها الحكومات لجموع المتدينين والضربات الأمنية الاستباقية ضد شباب الحركة والتي تستنزف طاقة الحكومات ضد أبناء الوطن والتي تستحكم بها العداوة بين الطرفين ويزداد غلواء وسعير الكراهية في الشعب الواحد حتى يتم

تصنيف أحدهم أنه إسلامي وكأن غيره ليس بذلك ممن يشهد بالتوحيد لتتمزق أوصال الأمة في استقطاب بين مؤيد ومعارض لذلك الفريق أو ذلك السلوك.

فأي هدية يمكن تقديمها لأعداء الوطن أجل من هذا.

لقد بلغ شعار الكراهية وغلواء الخصومة أن أعلن البعض عن غبطته وسعادته وفرحته هو وإخوانه في السجون بهزيمة الجيش المصري في يونيه 1967م.

فما بالك بمشاعر من هم دونه في الحكمة والإدراك لأولويات الخصومة، ألم يهلل المعتصمون في ميدان رابعة جهلاً وغباء حين أعلنت منصتهم أن بارجتين تفقان قبائل الساحل تستعدان لقتال الجيش المصري المنقلب على د / مرسي ولإعادة الشرعية.

فهلل الجميع - الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر.

وكأنهم لم يسمعوا قول شوقي - مُخطِئ من ظنَّ يوماً أنّ للثعلب ديناً.

فغاية الأعداء هو تشرذم الأمة وإغراقها في بحور الدم بين فرق متناحرة؛ لك أن تتخيل معي إلى أي مدى سيكون دعم الإخوان للأمريكان المحتلين لبلادهم بحجة دحر الانقلاب إن فكرت أمريكيا دخول مصر يومها.....؟!

كانت منصة الاعتصام الإخوانية في ميدان رابعة العدوية بمنهجية المؤسس السابقة معملاً لتفريخ انتحاريين وموقداً لإشعال وقدح زناد الكراهية ضد جيش مصر وشرطتها وشحن نفوس الشباب لقتل وسفك دم أفراد الجيش والشرطة واغتيال المؤيدين لعزل الرئيس مرسي بحسبانهم كفاراً أبوا استمرار حكم الإسلام متمثلاً في رئيسهم مرسي فجاءت الأحداث التالية لفض الاعتصام منفلتة من معيار الاثني عشر مقاتلاً الذين حددهم " تحكماً " المؤسس الذي يتألف من جموع المعتصمين شراذم عنقودية يطيحون قتلاً في أبناء الجيش والشرطة على النحو الذي حصرته إحدى المحطات الإخبارية على النحو التالي :-

- ١٩ يوليو/ تموز ٢٠١٢

← هجوم مسلح على كمين للجيش في مدخل الشيخ زويد، ومقتل مجندين من القوات المسلحة.

- ٥ أغسطس/ أب ٢٠١٢

← مقتل 16 جندياً مصرياً في هجوم مسلح على جنود بالقرب من معبر "أبو سالم" بمحافظة شمال سيناء، وهي من أكثر الأحداث دموية إبان عهد مرسي، وعرفت باسم " أحداث رفح الأولى "

- ٨ أكتوبر/ تشرين الأمل ٢٠١٢

← هجومان مسلحان، الأول على سيارة بريد وسط العريش، ومقتل أمين شرطة وبدوي .

- ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٢

← هجوم مسلح على قوة شرطة بطريق جسر الوادي شمال سيناء ومقتل3 من قوات الشرطة.

- ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٣

← هجوم على سجن بورسعيد العمومي عقب إحالة أوراق ٢١ شخصاً أدينوا في أحداث " ستاد بورسعيد " إلى المفتي، وفي الهجوم أطلق مسلحون النار تجاه السجن وأقسام شرطة، فيما قام آخرون بإطلاق النار في محيط ميناء بورسعيد. وأسفرت الأحداث عن مقتل ضابط وأمين شرطة ونحو 52 آخرين.

- ١٦ مايو/ ايار ٢٠١٣

← هجوم على سيارتي أجرة في طريق العريش - رفح، في محافظة شمال سيناء، واختطاف 7 مجندين، وتحرير قوات الأمن لهم بعد أيام من الحادث.

- ٢٤ يوليو/ تموز ٢٠١٣

← إلقاء قنبلة عل مبنى مديرية أمن الدقهلية، ما أسفر عن تفجير الدور الأول من قسم أول المنصورة ووقوع إصابات دون الإبلاغ عن حالات وفاة .

- **٢٩ يوليو/ تموز ٢٠١٣**

← **هجوم مسلح على مبنى الحماية المدنية بالعريش بشمال سيناء، ما أسفر عن مقتل مجند وإصابة آخرين.**

- **١٣ أغسطس/ آب ٢٠١٣**

← **ثلاثة تفجيرات بعبوات ناسفة، الأول بمنطقة غرناطة على ساحل بحر العريش التي تتمركز بها قوة من الجيش، وآخر في محيطمنطقة قسم ثاني العريش، والثالث بالقرب من قسم ثالث العريش بمنطقة الفواخرية، ولم تسفر التفجيرات عن أي خسائر بشرية.**

- **١٥ أغسطس/ آب ٢٠١٣**

← **مسلحون يشنون هجوماً على نقطة تفتيش للجيش في العريش بشمال سيناء، ما أسفر عن مقتل سبعة جنود وإصابة خمسة آخرين.**

- **١٩ أغسطس/ آب ٢٠١٣**

← **هجوم مسلح استهدف سيارتين كانتا تقلان أفراداً بالشرطة، في مدينة رفح بمحافظة شمال سيناء، ما أسفر عن مقتل 25 مجنداً، وعرف الهجوم باسم " أحداث رفح الثانية ".**

- **٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٣**

← **محاولة اغتيال وزير الداخلية المصري، اللواء محمد إبراهيم، عبر تفجير سيارة مفخخة، أسفرت عن مقتل شخص وصابة ٢٢ آخرين.**

- **٤ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٣**

← **هجوم مسلح على مركبة عسكرية، في مدينة الإسماعيلية، شمال شرق القاهرة، ومقتل ضابط وجندي في الهجوم.**

- **٧ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٣**

← **تفجير بسيارة مفخخة استهدف مبنى مديرية أمن جنوب سيناء، في محافظة جنوب سيناء، وأسفر عن مقتل خمسة جنود، وصابة 50 فرداً من الشرطة.**

- **١٠ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٣**

← **تفجير بسيارة مفخخة، استهدف نقطة تفتيش للجيش في شمال سيناء، أودى بحياة 5 جنود**

- **١٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٣**

← **هجوم شنه مسلحون على منشأة عسكرية في محافظة الإسماعيلية، أدى لمقتل جنديين من الجيش، وإصابة أربعة آخرين.**

- **١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٣**

← **إطلاق نار على قوات الشرطة المتواجدة بقسم ثالث العريش، ومقتل ضابط وإصابة مجند.**

- **٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٣**

← **تفجير بسيارة ملغومة في منطقة الخروبة بالقرب من مدينة العريش بشمال سيناء، ما أسفر عن مقتل 10 جنود، وإصابة 35 آخرين، معظمهم من قوات الأمن.**

- **٢٤ ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٣**

← **تفجير استهدف مقر مديرية الأمن في مدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية، وأسفر عن 14 قتيلاً، بينهم قيادات أمنية رفيعة، فضلاً عن أكثر من 130 مصاباً، وخلف دماراً هائلاً بمبنى المديرية.**

- **٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٤**

← **تفجير بعبوة ناسفة على طريق الشيخ زويد، بمحافظة شمال سيناء، أسفر عن مقتل ضابط بالقوات المسلحة، أثناء قيادته سيارة نقل جنود عسكرية، وإصابة 3 أشخاص آخرين.**

- **23 يناير / كانون الثاني ٢٠١٤**

← **مقتل خمسة من أفراد الشرطة وإصابة اثنين آخرين في هجوم شنه مسلحون على كمين للشرطة بمحافظة بني سويف، جنوب القاهرة.**

- ٢٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٤

← تفجير بسيارة مفخخة أمام مبنى مديرية أمن القاهرة، أدى إلى مقتل 4 أشخاص، وإصابة 76 آخرين، فيما وقع تفجير آخر قرب محطة لقطارات الأنفاق بمحافظة الجيزة، وأسفر عن مقتل مجند، وإصابة ٩ آخرين.

- ١٢ فبراير/ شباط ٢٠١٤

← وزارة الداخلية المصرية تقول إنّ ضابط شرطة ومجندين قتلوا برصاص مجهولين، وذلك أثناء تأدية عملهم بطريق الإسماعيلية السويس الصحراوي.

- ١٢ مارس/ آذار ٢٠١٤

← الجيش يعلن مقتل ضابط في الجيش المصري وإصابة ثلاثة مجندين إثر قيام ملثمين كانا يستقلان دراجة بخارية بإطلاق النار على حافلة تابعة للقوات المسلحة أمام مستشفى الزيتون العام بالأميرية بالقاهرة.

- ١٤ مارس/ آذار ٢٠١٤

← مقتل 6 من أفراد الشرطة العسكرية في هجوم على نقطة تفتيش في منطقة مسطرد بمحافظة القليوبية، شمال القاهرة.

← وقال الجيش المصري إنه فكك قنبلتين زرعتا في المنطقة، وحمل تنظيم الإخوان المسلمين المحظور مسؤولية الهجوم على نقطة التفتيش، لكن التنظيم نفى مسؤوليته عن الهجوم.

- ١٩ مارس/ آذار ٢٠١٤

← وزارة الداخلية المصرية تعلن مقتل خبيريّ مفرقعات بالجيش المصري خلال عملية مشتركة للجيش والشرطة قرب مدينة القاهرة.

← وقالت الشرطة إنّ اشتباكات عنيفة اندلعت بين القوات التى داهمت موقعاً تعتقد أنه "وكر للإرهابيين " في مدينة قليوب وبين مسلحين آخرين.

- ٣٠ مارس / آذار 2014

← مقتل عسكري مصري وجرح ثلاثة آخرين إثر هجوم على حافلة كانت تقل عناصر أمنية بالعريش، شمال سيناء، حسب بيان للجيش المصري على موقعه على موقع التواصل الاجتماعي، فيسبوك.

- ٢ إبريل/ نيسان ٢٠١٤

← وقوع ثلاثة تفجيرات بالقرب من جامعة القاهرة، مما أسفر عن مقتل العميد طارق المرجاوي، المسؤول الرفيع بجهاز مباحث الجيزة، وإصابة خمسة على الأقل، وبعد نحو ساعتين، وقع تفجير ثالث في محيط جامعة القاهرة أيضاً.

- ١١ إبريل / نيسان ٢٠١٤

← مقتل شخصين في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة المصرية في محافظة الغربية بدلتا مصر، وقال مصدر أمني إن القتيلين كانا ضمن ستة أشخاص " حاولوا - وهم على متن دراجتين بخاريتين - إشعال النار في نقطة مرور على طريق المحلة - طنطا " بينما شهدت محافظات مصرية عدة مظاهرات مناهضة للسلطة الحالية وداعية لإسقاطها.

- ١٤ إبريل / نيسان 2014

← إصابة شرطيين في انفجار استهدف نقطة مرور قرب فندق شيراتون في مدينة الجيزة، وقالت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية أن الانفجار استهدفنقطة المرور القريبة من قسم شرطة الدقي وفندق شيراتون.

- ١٨ إبريل / نيسان ٢٠١٤

← مقتل الرائد محمد جمال الدين مأمون، من قوة الإدارة العامة لمرور الجيزة، وإصابة ثلاثة آخرين في انفجار قنبلة في نقطة مرور في ميدان لبنان بمحافظة الجيزة.

- ٢٣ إبريل / نيسان ٢٠١٤

← مقتل العميد أحمد زكي ، إثر استهداف عبوة ناسفة سيارته في مدينة 6 أكتوبر في القاهرة الكبرى، كما قتل ضابط آخر برتبة ملازم أول خلال حملة أمنية في مدينة الإسكندرية الساحلية.

- 13 سبتمبر / أيلول ٢٠١٤

← اغتيال ضابط بالجيش المصري في هجوم على نقطة شرطة عسكرية.

- ٣٠ يناير/كانون ثاني ٢٠١٥

← عشرات القتلى والمصابين في هجمات على أهداف للجيش والشرطة في سيناء.

- ٢١ يناير/كانون ثاني ٢٠16

← مقتل 5 من أفراد الشرطة المصرية في هجوم بشمال سيناء.

- ٢٢ أكتوبر/تشرين أول ٢٠١٦

← اغتيال ضابط بالجيش المصري قرب منزله بإحدى ضواحي القاهرة.

- ٢٥ نوفمبر/تشرين ثاني 2٠١٦

← مقتل ١٢ مجنداً في هجوم بشمال سيناء

- ١٩ إبريل / نيسان ٢٠١٧

← مقتل شرطي وإصابة أربعة في هجوم بالقرب من دير سانت كاترين بجنوب سيناء.

- ١٤ مايو/أيار ٢٠١٧

← مقتل عسكريين مصريين، بينهم مقدم، في هجومين منفصلين بشمال سيناء.

- ١٨ يونيو / حزيران 2017

← مقتل ضابط شرطة وإصابة ٤ في انفجار عبوة ناسفة بالعاصمة المصرية.

- ٨ يوليو / تموز 2017

← مقتل ٢٣ وإصابة 32 من الجيش المصري في هجمات بسيارات مفخخة لتنظيم الدولة الإسلامية شمال سيناء.

- ٩ أغسطس/آب ٢٠١٧

← مقتل ٤ رجال شرطة مصريين في هجوم مسلح بشمال سيناء.

- ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠١٧

← مقتل 18 شرطياً في هجوم على قافلة أمنية بمدينة العريش شمال سيناء.

- ١٣ أكتوبر/تشرين أول ٢٠١٧

← مقتل ستة مجندين وإصابة أربعة في هجوم بمدينة العريش شمال سيناء.

- ١٥ أكتوبر /تشرين أول ٢٠١٧

← مقتل ستة جنود في هجوم على حاجزين للجيش شمالي سيناء.

- ٢٠ أكتوبر/تشرين أول ٢٠١٧

← قتلى في مواجهات بين الأمن المصري ومسلحين في الواحات.

....

معشر السادة أتباع "البنا"

ما هو رد فعل حاكم وحكومة تريدون الوثوب على كراسيهم وإزاحتهم من سدة الحكم وتأبون الانخراط في منظومة التغيير السلمي بتبادل السلطة عن طريق الأحزاب والاقتراع بينما تعدون لهم العدة من قوة الساعد والسلاح وتعملون ليل نهار على تأليب الناس عليهم باعتبارهم كفاراً ومرتدين لا يطبقون شرع الله رغم أنهم يشهدون بالتوحيد.

هل تنتظرون من هذا الحاكم أن يعطيكم الأمان ويوفر لكم سبل تقويضه وتقويض دعائم حكمه تمهيداً لعزله أو قتله وحبسه هو ومن عاونه ؟؟؟

فإذا ما استوقفكم وقدمكم للمحاكمة قلتم أن هذه الدار ليست دار السلام وإنما هي دار حرب وعلينا أن ندافع عن أنفسنا ضد من بغى علينا وظلمنا لمجرد إيماننا بالله.

فأي منطق هذا وبأي لغة تتحدثون؟؟

إنكم تختلقون حالة حرب تصنعونها بأيديكم ثم تصرخون.

إنكم تستصنعون حالة اضطهاد مزعومة ليشفق عليكم الناس ويلعنون من بغى عليكم في الوقت الذي يمكنكم فيها إيقاف هذه الخصومة النكدة بأن تراوحوا هذا المنهج الملغوم بخطوة واحدة.

إن الحالة الموصوفة على هذا النحو ما هي إلا صراع سياسي على السلطة يظل محموداً ومقبولاً ما دام في الإطار السلمي بالمنظومة العامة في تداول السلطة عن طريق الأحزاب والاقتراع.

إما أن يكسى ذاك الفريق ثوب الحق وما عداه هو الباطل ليصبح الصراع بين إيمان وكفر وعقيدة وشرك وجنة وجحيم فهذا الذي يريده الإخوان من منهجهم ليمسي الشرف والمجد حليفهم ويلحق الخزي والعار من خالفهم ليبررون حمل السلاح حماية للدين.

إن الغاية النبيلة لابد أن يسعى إليها مريدوها بوسائل شريفة وليس من الشرف إعداد القوة وحمل السلاح لقتال بني وطنك مسلمين أو غير مسلمين مسالمين من أجل المناصب، فالله رب العالمين

لن يحاسبنا عن نتائج أعمالنا بل إن حرمة الدم هي أشد عند الله من حرمة الكعبة التي هي أعز وأجل من ارتياد المناصب والإمساك بزمام السلطة.

يروي الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا أن رسول الله عيسى عليه السلام لما رأى تآمراً وكيداً على شخصه ودعوته من أبناء إسرائيل وصداً عن النور الذي يحمله إليهم ويعرفونه سألهم من تظنون أنفسكم.

أجابوا - بكل فخر - وقالوا له: أبونا هو إبراهيم.

قال لهم يسوع :" لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعلمون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله... هذا لم يعمله إبراهيم أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذلك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب ".

و لقد استحق المتآمرون من بني إسرائيل هذا اللقب بجدارة " أبناء إبليس" الذين يتآمرون للقتل بالكذب والخديعة.

والمهمة التي كان عليها بنوا إسرائيل قبل وبعد رسالة عيسى عليه السلام كانت هي قيادة البشرية روحياً إلى البر والهدى.

ولكنهم عمدوا إلى إشاعة الخراب والموبقات بين الشعوب ليظل شعبهم هو المميز والمختار من الله ويستحق الآخرون اللعنة وعذاب الاستئصال من الله، كعاد وثمود وفرعون وهامان فباء سعيهم إلى خيبة واستحقوا هم اللعنة وتولت عنهم القيادة الروحية للبشرية إلى غيرهم.

ومن ثم

فإن الذين يتصدون للدعوة إلى طريق الهداية وجب عليهم التخلق بتمام مكارمها ليكونوا القدوة التي من أجلها بعث الأنبياء والذي يقول خاتمهم (ص): " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".

والإسلام - كسائر رسالات السماء - يعتمد في إصلاحه على تهذيب النفس قبل كل شيء، فهو يكرس جهوداً ضخمة للتغلغل في أعماقها وغرس التعاليم في جوهرها حتى تستحل جزءاً منها،

وهذا الإصلاح لا تستطيعه قوانين ورقابة الأرض جميعاً - مهما تشددت عقوبتها - وما خلدت رسالات الأنبياء وكونت حولها جماهير الإنسانية إلا بالقدوة الصالحة للإنبياء وأتباعهم فلم تكن تعاليمهم لافتات معلقة في الهواء فتسقط في معترك الحياة، ولم تكن ألواناً مفتعلة تبهت على مر الأيام...

بل خلطوا مبادئهم بطوايا النفس، فأصبحت هذه المبادئ قوة تهيمن على وساوس الطبيعة البشرية وتتحكم في اتجاهاتنا فتصون الحياة وتسعد الأحياء وبينما تثير الفوضى والأغراض الدنيئة النفس المعوجة في أحكم النظم وأقوم الشرائع فإنّ النفس الكريمة ترفع الفتوق في الأحوال المختلة والنظم الفاسدة ويشرق نبلها من داخلها فتحسن المسير وسط الأنواء والأعاصير.

والقاضي الجائر يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة تحقيقاً لهوى متبع أو مصلحة ذاتية أو مجاملة عل حساب الحق والقاضي النزيه يكمل بعدله نقص القوانين التي يحكم بها.

ومن هنا...

كان إصلاح النفس الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة وإصلاح البشرية " إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ".

وشهوة الحكم والسيطرة والعلو في الأرض مهما امتد العمر ببني الإنسان تظل مسيطرة عليهم يقول النبي (ص): " يشيب ابن آدم وتشب معه خصلتان - الحرص وطول الأمل ".

فإذا ما استحكمت الشهوات من النفس ونمت فيها الرذائل وفش ضررها وتفاقم خطرها انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه وأصبح ادعاؤه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق، وما معنى الإفساد مع الانتساب لله.

وتقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم يقول النبي الكريم (ص): " ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان ".

ويقول (ص): " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه؟ ".

وعلى هذا..

فقد وجب على الدعاة أن يكونوا " أشرف الناس طباعاً، وأزكاهم نفساً، وأكثرهم اعتصاماً بالصدق والفضيلة على شدة الفقر ووحشة الغربة وفتن الحياة ذلك أن المحافظة على حقوق الله وحقوق العباد تتطلب خلقاً لا يتغير باختلاف الأيام بين نعمي وبؤسي.

وذلك هو جوهر الأمانة التي يقول عنها النبي: " لا إيمان لمن لا أمأنة له، ولا دين لمن لا عهد له ".

وبينما حرمت الخيانة والغدر بين آحاد الناس فإن حرمتها على من يتدسرون الحديث باسم الدين تكون أشد، يقول النبي (ص): " لكل غادر لواء عند أسته، يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة ".

والتآمر والغدر ينزع الثـقة ويثير الفوضى في المجتمع، ويمزق الأواصر في البلاد ويرد الأقوياء، إلى ضعاف واهنين ذلك أن الله يأبى أن تداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة ويكره أن تـنطوي دخائل النفس على هذه النيات المغشوشة، ويوجب الشرف والثـقة على الفرد والجماعة حتى يصان المجتمع من انفراط عقده وحتى لا يتحول النصر إلى هزيمة.

يقول تعالى: **" وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)".**

وعلى هذا..

فإن الوصول إلى الغايات الشريفة لا ينبغي أن يتأتى إلا بذات السبل الشريفة وإلا فينسل البنيان من قوته بنقض عروة واحدة من عرى الأمانة والصدق التي انتحلها البعض لبلوغ غايتهم دون أن يلتزموها.

ذلك هو الدين الذي لا ينفك عن الخلق القويم، وغير ذلك خيانة للأمة وللناس " كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب ".

فإذا ما ارتدى ثلة من الناس - مهما كثروا - ثوب الفضيلة والدعوة إلى الله وهم ينتحلون المؤامرات ويحيكون الأكاذيب ويتلونون لجلب مصلحة في سوق المنفعة وهم يعلنون الطهر ويدعون الزود عنه، فقد استحق عليهم وصف نبي الله عيسى فيما أورده الإصحاح الثامن منإنجيل يوحنا " أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تعملون ".

ولن ينصلح لبشر حال حتى يصلحوا من أنفسهم التي بين جنوبهم " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغرون ما بأنفسهم"

لم تكن السجون والزنازين مكاناً للإصلاح والتهذيب والتأديب ولكنها كانت مرتعاً للجدل الفكري العقيم، والذي ينتهي بمشاحنات وسباب ولكمات وإصابات بين " الإخوة " الذين دخلوها بغية رفع شأن الدين والخلق القويم.

لقد كانت الأحداث قبل وبعد انتخابات الرئاسة تسير وفق هواهم جميعاً على اختلاف صنوفهم الفكرية.

وإزاء وقوف " الشرطة " تحمي المتظاهرين حول القصر المهيب في الاتحادية وتأبى ضربهم أو فضهم تجنباً لوقوعهم " كبش فداء " إرضاء للرأي العام بعد أداء مهمتهم انطلق كوادر الإخوان المسلمين وأنصارهم من الجماعات الجهادية في بروفة تجريبية لفض الاعتصام حول القصر والقيام بدور الشرطة الغائب حماية للرئيس وللشريعة الإسلامية التي يمثلها الرئيس / محمد مرسي، وحماية لواقع التمكين الجديد الذي تمخّض عن كفاح عشرات السنين في كهوف الغربة وظلمة الزنازين وأعواد المشانق، ولسان حالهم يقول: " من يحمي الإخوان وحكمهم إلا الإخوان المسلمون ليقوم على تدريبهم واعدادهم للقتال الشعبي عناصر" حماس " ذراع الإخوان العسكري ؟

ولم يكن غريباً في هذا السياق أن يعلن المستشار النائب العام " المعين من قبل الرئيس / مرسي " عن حق المواطنين في القبض على الخارجين عن القانون.

وهذا الإعلان هو نذير حرب أهلية على أبواب المحروسة، والطامة الكبرى في هذا المشهد هو انقسام الجيش بين العناصر الدينية والطائفية والمذهبية الموالين لقيادتهم بعيداً عن القيادة المركزية للقوات المسلحة.

هذا هو المصير المحتوم الذي كانت تخطط له الإدارة الأمريكية بتحالفها المريب مع الإخوان لصعودهم للحكم والذي انساق إليه الإخوان بشغف شديد.

هذا هو الواقع الكارثي الذي كان يخيم على الأجواء في مصر قبل **2013/6/30**م.

هذا هو الذي عليه " العراق " وعليه " ليبيا " وعليه " سوريا " و " السودان " فلابد أن يذوقه المصريون كما تجرعه غيرهم.

ومن ثَمَّ...

فقد التقت المؤامرة الصهيونية الأمريكية مع الرغبة الإخوانية المحمومة في الوصول إلى الحكم ليس تأييداً للإسلام السياسي وليس رعاية للمستضعفين في العهود السابقة، وإنما إحياء لاستقطاب ميت وإثارة لنعرات غائبة عن الثقافة الاجتماعية المصرية وخلق طائفية لا وجود لها في مصر منذ آلاف السنين.

لقد كانت الأحداث تسير بذهول إلى هذا المصير المحتوم والذي بدأته قيادة الإخوان بنقض عروة واحدة من عرى الثوابت السياسية تطبيقاً للواقع الذي تبنوه أنه لا بأس من امتطاء الوسائل غير الشريعة للوصول إلى غاياتهم القديمة لاعتلاء منصة الحكم.

****

إخلاء غزة من أبنائها لصالح إسرائيل

إلا أن تجذير الطائفية والاقتتال الشعبي لم يكن هو الدافع الأوحد للإدارة الأمريكية لحرصهم على وصول رئيس إخواني إلى الحكم، فالمنوط بالرئيس/ مرسي، وقيادة الإخوان الشعبية ما هو أبعد من ذلك بكثير وما هو أقرب من ذلك على وجه السرعة.

فالصداع المزمن للقيادة الإسرائيلية من أبناء غزة واستكمال خطط الاستيطان اليهودي حتى رفح الإسرئيلية يحتاج إلى تفريغ سكان غزة من أهلها وتوطينهم في رفح المصرية وهو القرار الأصعب الذي لا يقدر عليه رئيس غير الرئيس الإخواني، ما كان يقدر عليه الرئيس/ حسني مبارك، وما كان يمر بخاطر أي رئيس لا يمتلك غرور القوة الشعبية الذي تمتلكه القيادة الإخوانية.

ومن ثُمَّ فقد وصلنا إلى المشهد الأهم في التفاهمات الأمريكية الإخوانية وهو المهر الحقيقي الذي سيقدمه الإخوان للإدارة الأمريكية والإسرائيلية لقاء إجراء انتخابات رئاسية نظيفة يفوز بها مرشحهم ليتحدث باسم الشعب وعقلية الإخوان وشروط الأمريكان وطموح إسرائيل.

ذلك هو الاتفاق الخؤون بين مرسي وأوباما على " تهجير " سكان غزة من الفلسطينيين إلى سيناء ومن الدعوة لإعادة اليهود المهجرين قصراً من مصر – على زعم العريان إلى بلادهم ووطنهم مصر ليتم استبدال شعار جماعة الإخوان المسلمين الشهير " الله غايتنا " ويحل محله " الحكم غايتنا "وأمريكا حليفتنا " فمن يقدر علينا.

لم يكن حسني مبارك ولا أي رئيس قبله أو بعده يستطيع أن يفكر في العرض الإسرائيلي بتمويل "قطري " و " أمريكي " يقتطع به شبراً من الأرض المصرية لصالح الفلسطينين أو غيرهم لأن أي رئيس عاقل يؤمن أن بتر حكمه ونهاية نظامه أقرب من التنازل عن شبر من الأرض.

بينما كان السيناريو المتفق عليه يسير على النحو التالي:

في زخم الدعوة لإنقاذ إخواننا الفلسطينيين ومنحهم حق العبور من منافذ رفح في مطلع عام **2014**م عقب عدوان شديد الضراوة على سكان غزة كانت ستنطلق الدعوات الإخوانية في أرجاء

البلاد تحت شعار حديث النبي (ص) " المسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم " وكان " البرلمان الإخواني " الذي سينتخب عام 2013م في خضم هذه الدعاية " الإخوانية " سيشجب ويستنكر ويلعن العدوان الإسرئيلي على إخوان الدم والعروبة والدين في غزة ويعلن فتح الممرات للناجين من نيران العدو وإيوائهم بخيام مؤقته في رفح المصرية والصحراء المتاخمة لها.

وعلى الفور ستعلن " قطر " تمويلاً قدره عشرة مليار دولار لتسكين المهجرين من غزة في سيناء أثناء زيارة الأمير لهم وتفقد أحوالهم المعيشية الصعبة يخصص هذا التمويل لإنشاء مساكن إيواء بدلاً من الخيام المؤقتة، وشيئاً فشيئاً تقام الأسواق وتوهب الجنسية المصرية للمهجرين الفلسطينيين من إخوان حماس وتتحول رفح إلى سوق مفتوحة مزار للتجار المصريين وينساح الغزاويون في القرى والنجوع المصرية ببطاقات هوية مصرية.

ولا بأس من بيانات إدانة وشجب أمريكية ودولية لأفعال إسرائيل " المفرطة في استخدام القوة " دون محصلة بقرارات محددة من مجلس الأمن لإدانة العدوان، وستكون الدعوة عامة في المساجد من فوق المنابر " تبرع بجنيه واحد تنقذ طفلاً فلسطينيًا ".

وستنشر الملصقات والبوسترات وسينشط شباب وفتية الإخوان بأوراق الدعاية التي تحمل صور الأطفال والنساء والعجائز المقطعة أوصالهم والمصابين بالحروق والقتلى من آثار العدوان الإسرائيل " الغاشم " على غزة مطلع 2014م

وستقوم قناة الجزيرة بدور إعلامي رائد في تتبع " الناجين من جحيم غزة " ليحكي كل قصته التي تشيب من هولها الولدان وتنفطر القلوب مصحوبة بكل صنوف التأثير الصوتي والمرئي.

وسيأتي النشطاء من أنحاء العالم وعلى رأسهم رئيس الوزراء التركي إلى خيام المهجرين في سيناء ويلتقي بالضحايا ويعلن تأييده لقرار مجلس النواب المصري الشجاع بإستقبال إخوة الدم والدين من الفلسطينين والتبرع بمليار دولار بإسم الحكومة التركية لصالح الضحايا.

وفي زخم القبول والرفض لهذه المؤامرة التي لا تخدم إلا إسرائيل وارتفاع أصوات بعض المعارضين في الداخل سيتهم المنظرون من أبواب الدعاية الإعلامية الإخوانية المعارضين لفكرة استيطان

الفلسطينين في الشريط الحدودي برفح أنهم قد انتزعت من قلوبهم الرحمة وأنهم من عملاء إسرائيل الراغبين في قتل مزيد من الفلسطينين الأبرياء العزل وأنهم معادون القضية الفلسطنية والعروبة وللإسلام الذي يحض على التعاون على البر والتقوى وسيكون / محمد مرسي وقتئذ وحكم الإخوان المسلمين هو مبعوث العناية الإلهية في هذا التوقيت الحرج وستكون" ثورة يناير " التي أتت بهم هي القدر الإلهي الذي أنقذ الله به الأبرياء الفلسطينيين وأن شيئاً من ذلك العدوان الغاشم لو حدث في عهد مبارك ما وجد إخواننا مكاناً يأويهم وفي خضم ذلك كله يكون قد انساح سراً في دروب وأزقة وشوارع مصر أعضاء جماعة " حماس " الإخوانية لتدريب الكتائب الشبابية الإخوانية استعدادا ليوم الفرقان الذي سيلتقى فيه جند الحق مع جند الشيطان من أبناء الجيش المصري لإعلاء راية الدين وإزاحة الطاغوت والسيطرة على قيادة القوات المسلحة وإعلان مصر " إسلامية إسلامية "، ولو بعد حين حيث تندلع حرب الشوارع في أنحاء البلاد وعرضها حتى ينتصر الحق الذي يمثله الرئيس/ مرسي وجماعة الإخوان.

****

إنهاء " سيناء " يا سادة

إلا أن الرياح قد أتت بغير ما تشتهى البوارج الأمريكية الحربية المرابطة وبغير مؤامرة الحرباء لصالح إسرائيل؛ فقبل أن تندلع حرب الشوارع في مصر اندلعت ثورة البركان ضد الإخوان لم تكن الحشود في الميادين احتجاجاً على نقص الوقود والسلع والخدمات الحياتية وفشل الإدارة، ولكنها سيناء أيها السادة، تلك التي أغرق فرعون موسى على مشارفها وكأنها تأبى عليه أن يطأها سيناء التي عزل ملك مصر فاروق على إثر فشله في الذَّودِ عن حياضها.

....

الإخوان وأنصار بيت المقدس

أصبحت جماعة أنصار بيت المقدس مثار العديد من التفسيرات حول طبيعة النشأة وعلاقتها بجماعة الإخوان المسلمين، فالظروف السياسية التي أعقبت ٣٠ يوليو **2013**م والعمليات المسلحة التي قامت بها أنصار بيت المقدس للرد على عزل محمد مرسي من السلطة أو لمقاومة السلطة التي قامت بعزله فيما بعد، دفعت لهذا الاتهام، الذي حاولت جاعة الإخوان المسلمين نفيه أكثر من مرة؛ ولكنه كان متأخراً وجاء على استحياء، إلا أن أصبح هذا الاتهام مطروحاً بقوة وصدقته العديد من الشواهد التي نتحدث عنها في ثنايا العلاقة.

هناك تباين في الأفكار بين منهج أنصار بيت المقدس وجماعة الإخوان المسلمين، فالجماعة الأولى كانت تكفر الإخوان ومحمد مرسي عندما كان في السلطة؛ ولكنها في الوقت ذاته دافعت عنه عندما عزل عنها كما ردت على ما حدث لأنصاره الذين أصروا على مقاومة السلطات، ولكن السؤال، عن أسباب توحد القبيلتين رغم أنهما مختلفتان كما ذكرنا ؟ وضعت أنصار بيت المقدس

فيما بعدبعد عزل محمد مرسي من السلطة نفسها في خانة من يدافع عن الإخوان؛ وكان ذلك من خلال استخدام القوة رغم أنهم كانوا يكفرونهم في الماضي القريب قبل العزل مباشرة، واضطرت جماعة الإخوان المسلمين لقبول مثل هذا التعاون بعدما تم عزل محمد مرسي من السلطة رغم أنهم ضد طريقة أنصار بيت المقدس في التغيير، ولكن الظروف السياسية فرضت على الإخوان غض الطرف عن هذا الخلاف الشرعي أو حتى السياسي، ووقوف أنصار بيت المقدس في خانة من يدافع عمّن كانوا يكفرونهم في السابق.

هذه المعادلة تحتاج مزيداً من التفسير والتعليق والبحث لتوضيح أن العلاقة بين الإخوان وأنصار بيت المقدس علاقة طارئة مرتبطة بالأحداثأكثر منها بالأيدلوجي؛ فالاختلافات بين هذين التنظيمين أكبر وأعمق مما يتصوره البعض، ولكنهما كانا يتعاملان مع بعضهما البعض بمبدأ أكلت يوم أكل الثور الأبيض؛ فعندما سقط الإخوان اضطرت أنصار بيت المقدس للدفاع عنها من باب أنها تدرك أن القضاء على الإخوان يعني القضاء عليها فيما بعد، وحاولت جماعة الإخوان المسلمين احتواء هذا التنظيم عندما كانوا في السلطة وفتحوا حواراً معه بل والأدهى من ذلك أنهم قبلوا إعادة محاكمة بعض قياداته ولم يصدق مرسي على بعض أحكام الإعدام التي صدرت على بعض قياداته، لأنه يعد هذا التنظيم– رغم تطرفه - يمثل جزءاً من رصيده باعتباره يحمل نفس مشروعه الإسلامي، وإن كانت تصريحات الإخوان مخالفة لذلك؛ ولكن الوقت أثبت خلافه على كل الأحوال، اعتبر " مرسي " أن هذا التنظيم يحمل هم الدعوة إلى الله ويسعى لتطبيق ما تسعى الجماعة إلى تطبيقه، وإن كان كل منهما يختلفان في الطريقة.

اضطرت جماعة الإخوان المسلمين أن تصمت قليلاً أمام العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها جماعة أنصار بيت المقدس بعد عزل محمد مرسي من السلطة؛ فلم نسمع عن شجب وإدانة عبر البيانات الرسمية للجماعة على الأقل في العمليات المسلحة الأولى بعد عزل محمد مرسي من السلطة في ٣ من يوليو، ظناً من الجماعة أن هذه العمليات تثير الفوضى في البلاد؛ وربما تساعد في عودة مرسي للسلطة مرة أخرى؛ أو تعطي الفرصة لقيام ثورة ثالثة بعد يناير ويونيه، خاصة وأن

الإخوانَ مصرون بتظاهراتهم على عودة مرسي لمكانه مرة أخرى أو سقوط النظام السياسي الذي قام على خلفية عزله، لأن ذلك قد يعطيهم فرصة العودة للعمل السياسي مرة ثانية.

التعاون بين أنصار بيت المقدس والإخوان رد فعل طبيعي لعزل مرسي من السلطة؛ ولعلّ تصريحات محمد البلتاجي، أحد قيادات الإخوان المصورة، شاهدة على إقرارهم للعنف ولو بشكل ضمني، وظهر ذلك عندما وجه لعضو المكتب التنفيذي لحزب الحرية والعدالة، سؤالاً عن أعمال العنف التي تجري في سيناء؛ وكان وقتها باعتصام رابعة العدوية، فرد: سوف يتوقف العنف في سيناء؛ في نفس اللحظة التى يعود فيها مرسي للسلطة مرة أخرى.

حاول محمد البلتاجي تصحيح موقفه فيما بعد من خلال تصريح آخر مصور أذاعته شبكة رصد على الإنترنت التابعة للجماعة، فقال: إن اتهامه بعلاقته بالعمليات المسلحة التي تجري في سيناء من واقع تصريحه السابق للتليفزيون الألماني، بمثابة فبركة إعلامية مخابراتية، وأن ما يدور في سيناء، لا علاقة لجماعة الإخوان المسلمين به، وأن جماعة الإخوان المسلمين لم ولن يستخدموا عنفاً في يوم من الأيام ؛ لكن حالة الغضب الموجودة في سيناءوغير سيناءهي رد فعل للانقلاب العسكري، وعندما يتوقف الانقلاب العسكري سوف يتوقف معه كل مظاهر الغضب في سيناء، وغير سيناء، ليس باعتبارنا الفاعلين له ولكنه رد فعل طبيعي.

هذه التصريحات تؤكد أن الجماعة لم تكن مشغولة بشجب هذه العمليات العسكرية وبإظهار الموقف الشرعي منهاً؛ وإنما اكتفت فحسب بالتصريح بأن عودة محمد مرسي للسلطة سوف تساعد على توقفها، بل قال القائل بأنها سوف تتوقف في نفس اللحظة التي يعود فيها مرسي للسلطة؛ وذهب البعض بأن المجموعات المسلحة تحركت بأمر من جماعة الإخوان المسلمين، وأنها سوف تتوقف بأمر آخر؛ وذهب البعض الآخر بأن المصالح متفقة بين كلا التنظيمين؛ وهو ما جعل جماعة الإخوان تغضُّ الطرف عن شجب هذه العمليات، بل ذهبت للبحث عن مبررات لها؛ فمثلت بذلك حاضنة للعنف وساعدت هذه التنظيمات بشكل مباشر على المواجهة المسلحة مع الدولة بكافة أجهزتها، حتى وإن عادت بعد ذلك وشجبت بعض عمليات العنف ولكنه كان متأخراً؛ ربما

يكون ردَ وتصحيحَ البلتاجي لتصريحه السابق عن سيناء للتليفزيون الألماني لم يكن كافياً لنفي العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين وبين ما يدور على أرض سيناء، وتتحمل الجماعة جزءاً من وزر هذه العمليات لأنها مثلت حاضنة لهذه التيارات، وإن تكن فاعلة بشكل حقيقي لهذه العمليات، كما أنها وفرت بيئة خصبة لهذه التيارات ولم تكن إدارتهم لهذا الموقف بنفس المستوى المرجو أو الذي كانت عليه الجماعة فيما سبق؛ وبخاصة في التسعينيات من القرن الماضي عندما خاضت الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد حرباً ضد الدولة؛ بل الأدهى أننا وجدنا البلتاجي ينفي علاقته بما يدور في سيناء؛ ولكنه لم يشجبه بل ختم كلامه وتعليقه بأنه رد فعل منطقي!

الإخوان في تسعينيات القرن الماضي كانوا لا يكتفون بنفي علاقتهم بأحداث العنف، بل كانوا يهاجمون من يستخدم العنف ويتبرؤون منه ويؤصلون لذلك بمواقف شرعية واضحة، وهو مالم يحدث من الجماعة إزاء العنف الذي حدث بعد عزل مرسي وعلى أحسن تقدير يمكن أن نقول إنهم لم يقفوا نفس موقفهم السابق في التسعينيات بنفس الحماسة.

من الملاحظات المهمة في هذا الشأن أن جماعة الإخوان المسلمين لم تقم بإدانة أي عملية مسلحة لجماعة أنصار بيت المقدس قبل الهجوم على مديرية أمن الدقهلية بمدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية شمال شرق الدلتا، والتي حدثت في ٢٤ ديسمبر **2013**م، واضطرت جماعة الإخوان لإدانة هذه العملية بعد وصف رئيس مجلس الوزراء، وقتها د. حازم الببلاوي للجماعة بالإرهابية، وأنهم كشفوا عن وجههم الحقيقي من خلال بيان ألقاه نائب رئيس الوزراء د. حسام عيسى بمؤتمر صحفي، نقلته وسائل الإعلام كافة وقتها، جاء فيه: قرر مجلس الوزراء، إعلان جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية وتنظيمها تنظيماً إرهابياً في مفهوم نص المادة ٨٦ من قانون العقوبات وكل ما يترتب على ذلك من آثار، أهمها توقيع العقوبات المقررة قانوناً والخاصة بالإرهاب على كل من يشترك في نشاط الجماعة أو التنظيم أو يروج لها بالقول أوالكتابة أو بأي طريقة أخرى أو كل من يمول أنشطتها وتوقيع العقوبات المقررة قانوناً على من انضم للجماعة أو التنظيم واستمر عضواً في الجماعة أو التنظيم بعد صدور هذا البيان، وإخطار كافة الدول العربية المنضمة لاتفاقية مكافحة

الإرهاب للعام ٩٨ بهذا القرار، وتكليف قوات الشرطة والقوات المسلحة بحماية المنشآت العامة، على أن تتولى الشرطة حماية الجامعات وضمان سلامة أبنائنا الطلاب من إرهاب تلك الجماعة.

وهو ما اضطر معه التنظيم لإصدار بيان رسمي لإدانة هذا التفجير ولم يكن يحدث ذلك من قبل في العمليات التي سبقت الهجوم على مديرية أمن الدقهلية، صحيح أن بعض قيادات الجماعة أدلوا بتصريحات تحمل بين طياتها الإدانة لبعض العمليات المسلحة السابقة لتفجير مديرية أمن الدقهلية، ولكن لم يكن بين هذه التصريحات بيان رسمي عن الجماعة وأول بيان رسمي للجماعة جاء بعد ضرب مديرية أمن الدقهلية كما ذكرنا.

مع العلم أن الجماعة كانت تصدر بياناتها بشكل رسمي - رغم سجن المرشد العام - من خلال نائب المرشد جمعة أمين، وأمين عام الجماعة، محمود حسين، وكانوا وقتها خارج البلاد ويديرون دفة التنظيم من الخارج وللمفارقة كانت تصدر رسالة المرشد العام في هذا التوقيت بشكل منتظم يوم الخميس من كل أسبوع، رغم أنه كان على ذمة بعض القضايا في السجن، وبالتالي لم يكن هناك عذر للجماعة في عدم صدور بيان رسمي لإدانة هذه العمليات وعدم صدور البيان لا يعني سوى التعاطف والتضامن من الجماعة مع عمليات العنف حتى وإن خرجت تصريحات هنا أو هناك، فمواقف التنظيم السابقة وأهمية الحدث تدعو أن لضرورة إفراد موقف رسمي واضح وسريع في الوقت نفسه، رغم أنه لم يكن هناك ما يمنح كما ذكرنا.

انقسم الباحثون بشأن أصول تنظيم أنصار بيت المقدس دون أن تكون هناك رؤية حقيقية يمكن البناء عليها، أو على الأقل استندت إلى معلومات يمكن أن تفيد في رصد تنظيم أنصار بيت المقدس؛ فزاد الأمر ضبابية بعدما نجح التنظيم الوليد في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية داخل مصر وهو الذي نجح في توجيه ضربات موجعة لإسرائيل من خلال استهداف بعض الدوريات الإسرائيلية على الحدود وضرب صواريخ على الجنوب الإسرائيلي، فضلاً عن ضرب خطوط الغاز التي تصل إليه عبر منطقة شبه جزيرة سيناء.

يمكن أن نصف عمليات أنصار بيت المقدس بالمنطق الأمني أنها كانت ناجحة من حيث التكتيك والتأثير بعد العملية، بل يمكن وصف هذه العمليات بالنوعية أيضاء ليس كل العمليات بطبيعة الحال وإنما أغلبها؛ فقد أتيح لأعضائها التدريب على العمل العسكري في شبه جزيرة سيناء والبعض الآخر شارك في الصراع المسلح بسوريا والعراق وأفغانستان وأماكن أخرى خارج البلاد، فهم يمتلكون خبرة تحسدهم عليها التنظيمات المسلحة الأخرى داخل مصر، وقد حدث تعاون بين كل هذه التنظيمات من أجل الوصول إلى هدف مشترك بينها وهو إقامة ما يسمونه الدولة الإسلامية.

عدم وجود معلومات كافية عن تنظيم أنصار بيت المقدس، دفع الجميع أن يقع في فخ القراءة الخاطئة أو غير المتأنية، وبالتالي التوقع غير الصحيح لاستراتيجية العمل العسكري الذي تقوده هذه الجماعة، وعلاقاتها بباقي الجماعات الأخرى الموجودة على الساحة وبخاصة جماعة الإخوان المسلمين والتي تعد أكبر جماعة من حيث عدد أتباعها وأقدمها تاريخياً فنشأتها تعود لنهاية العشرينيات من القرن الماضي، كما ساعد عدم فهم التنظيم وتحركاته التي اتسمت بالغموض تارة، وعدم إطلاع الناس على أفكاره تارة أخرى، وآليات العمل التنظيمي لديه، على عدم دقة ما كتب عنها؛ وهو ما ساعد في تضارب التحليلات السياسية إزاء هذه الجماعة الوليدة التي لا يعلم الكثير عنها شيئاً بعدما برزت للمشهد السياسي بعد ٣٠ يونيه، إلا من خلال ما تذيعه عن نفسها عبر التسجيلات المرئية عقب تنفيذ عملياتها العسكرية، وهو ما يؤكد التناقض بين العديد من التفسيرات التي خرجت عن بعض المحللين سواء للشأن الأمني أو السياسي، وعدم دقتها، إزاء تنظيم نشأ فجأة، وملأ بل وأصبح ملء السمع والبصر بسبب عملياته المسلحة التي حطت في كل مكان.

استطاعت جماعة أنصار بيت المقدس أن تخطف الأضواء من تنظيم القاعدة على الأقل داخل مصر وإن كانت قد أعلنت مبايعتها لتنظيم القاعدة، وكان ذلك واضحاً من خطابها والاستدلال عبر التسجيلات المرئية بخطاب قيادات القاعدة؛ فخطابها خلال هذه التسجيلات يدل على الولاء

الشديد للقاعدة ورموزه وقياداته، بل نجد أمير تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري تارة يثني على دورهم والعمليات التي يقومون بها، وتارة أخرى يدعوهم لتنفيذ عمليات أخرى، وبدت بيانات الجماعة علامة دالة لما ذهبت إليه التسجيلات المرئية.

اتسع نطاق عمليات أنصار بيت المقدس ليشمل المحافظات المصرية كافة، في غضون لحظة تاريخية وصفها هذا التنظيم بأنها انقلاب على المشروع الإسلامي الذي كان يمثله الإخوان المسلمون في الحكم، واستخدامهم لتقنيات أمنية حديثة في العمليات العسكرية تؤكد سمة التواصل مع تنظيم القاعدة صاحب الخبرة الأكبر، فالعلاقة بين التنظيمين ليست فكرية فحسب وإنما علاقة عضوية وتنظيمية أيضاً، على اعتبار أن القاعدة حالة أو فكرة يتجمع حولها الجهاديون في العالم، مع العلم أن كثيراً من قيادات القاعدة مصريون هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن بعض الجهاديين في مصر وسيناء على وجه الخصوص زاروا مناطق الصراع المسلح والحرب الدائرة في الخارج وتواصلوا مع قيادات القاعدة ومعسكراتهم بشكل مباشر، دربوا وتدربوا على أيديهم، وبالتالي فالتواصل مستمر وقد ازداد مع الوقت وأخذ صورة مختلفة، مع توحد الهدف الذي يجمع هذه التيارات من جهة والعدو الواحد لهذه التيارات من جهة أخرى، وقد تتداخل التيارات الإسلامية مع بعضها البعض، فكل منها يتآكل أمام أفكار الآخر حتى تصبح الرقعة العامة التي تجمع هذه التيارات واحدة ولا تصبح هناك فوارق كبيرة أو مساحات اختلاف، وهذا ما حدث لحظة عزل الرئيس محمد مرسي من السلطة؛ البعض أرجح ذلك لتوحد الخطاب بين كل هذه التنظيمات، حتى وإن كانت هناك تباينات وفروق ولكنها تبدو بسيطة والبعض الآخر يرى أن لحظة الخطر دعت بعض هذه الجماعات إلى الشعور بعدم الاتزان النفسي والعقائدي، وهو ما دفعها لتبني ما كانت ترفضه في السابق، العودة مرة أخرى للحديث عن أنصار بيت المقدس يفتح الباب لمحاولة قراءة عمليات هذه الجماعة التي شكك البعض في نسبتها، في حين ذهب آخرون لأبعد من ذلك بأن وصفوها بأنها وجه جديد للإخوان أو ذراع عسكرية لهم، في حين الحقيقة تختلف عن هذا

وذاك، ولا يعني ما أذكره نفي هذا الكلام ولا إثباته، فأدوات البحث تفرض علينا أن نتعرض للأحداث والتواريخ من أجل التأكيد على ذلك أو حتى نفيه.

فبعد أن كانت عمليات أنصار بيت المقدس مقتصرة على شبه جزيرة سيناء ولم يشهد أنها قامت بعمليات خارج سيناء حدث لها تحول دراماتيكي دفعها لتنفيذ عمليات عسكرية في المحافظات المصرية كافة؛ فبدلاً من أن تفتح نار غضبها تجاه إسرائيل أصبحت توجه كتلة غضبها تجاه القوات المسلحة المصرية والشرطة الداخلية، متمثلة في قيادات الداخلية الذين يتم قنص بعضهم من مواقع عملهم أو أثناء وجودهم في الشارع لتأدية أعمالهم، أو من خلال تفجير أقسام الشرطة ومديريات الأمن؛ فأفراد الأمن أصبحوا هدفاً لجماعة أنصار بيت المقدس وليست القيادات فحسب، بل أصبحوا الهدف الأول والأهم؛ فتحولت من جماعة نشأت على فكرة الدفاع عن القدس كما هو واضح من اسمها، أنصار بيت المقدس، إلى التفرغ لمحاربة النظام السياسي في مصر بعد ٣ من يوليو، وقالت ذلك عبر تسجيل مرئي لها نشر على أحد المنتديات الجهادية: إنها لم تكن راغبة في خوض حرب " داخلية " وإنما فرضت عليها فرضاً.

وأظن أن هناك طوائف أخرى تدخل في خانة الاستهداف مع القوات المسلحة والشرطة الداخلية مثل الإعلاميين والقضاة ورجال الدين؛ فهؤلاء جميعاً ينطبق عليهم وصف المرتدين والطغاة الذي أطلقته الجماعة على المختلفين معها، ولكن المعركة وطبيعة الظرف دفعت التنظيم لوضع خطة للاستهداف، قد ترى أن هؤلاء وغيرهم من " المرتدين " قد يكونون في مرحلة متأخرة من الاستهداف وليست متقدمة.

فما بين تصديق ذلك ومقاربته بالواقع يمكن أن نقول: إن خط التنظيم الواضح في تكفير المجتمع كان نواة حقيقية في الحرب ضد الدولة والتي بدأت تأخذ أبعاداً جديدة بعد عزل، محمد مرسي، من السلطة في يوليو 2013م ، حتى وإن كان الشعار الذي ترفعه هذه الجماعات يبدو مغايراً

لمنهجها الجديد في محاربة النظام السياسي في مصر وليس في إسرائيل على خلفية الإطاحة بالرئيس المنتخب آنذاك؛ ومن هنا تخيل هذا التنظيم وغيره من التنظيمات الأخرى أنّ ثَمّةَ حرباً على الإسلام والمشروع الذي يحمله الإسلاميون على أكتافهم وليس مجرد صراع سياسي، مما دعاهم لضرب هؤلاء المخالفين ظناً منهم أن ذلك يفتح الطريق أمام إقامة الدولة الإسلامية بمصر، فضلاً على أنهم تشبعوا بفكرة أن ما يجرى إنما هو حرب على العقيدة فهبوا مدافعين عنها بأرواحهم وبذلوا الغالي والنفيس من أجلها، قاتلوا وقتلوا.

فالقاعدة الذهبية التي تشرح العلاقة بين التكفير والتفجير توضح أن التكفير سبب للتفجير، وأن الأخير نتيجة طبيعية للتكفير؟ فما من أحد يقدم على تكفير أحد من الناس إلا ويتجه لقتله وتفجيره فيما بعد معنوياً ومادياً؟ فدائماً التفجير يسبقه تكفير ولا يمكن أن يقدم شخص على التفجير إلا إذا وصل لمرحلة التكفير سواء للأفراد أو المجتمع، وغالباً التكفير يليه تفجير كنتيجة وسبب في المحطة التالية مباشرة، ومن يصل للمحطة الأولى فلا بد وحتماً يصل للمحطة الثانية شاء أم أبى، ولعلّ دلائل التجارب الإسلامية تدل على ذلك عبر التاريخ، ولذلك عندما حاولت بعض الجماعات الإسلامية أن تتخلى عن العنف، فأول ما صنعته أنها تراجعت عن فكرة التكفير، فقطع ذلك الخط أمام ممارستها للعنف، فالتكفير هو المعين وهو المغذي الحقيقي لعنف لجماعات الدينية المسلحة.

أصابت كثيراً من الجماعات والتنظيمات الدينية لوثة التكفير بعد ثورة ٢٥ يناير، عندما خفت يد الأجهزة الأمنية عنهم وبدؤوا يشعرون بالحرية دون محاسبة، سواء في الحركة أو في عرض أفكارهم.

غالباً ما يسبق تكفير المجتمع تكفير الحاكم المعين والذي يقود في النهاية لتكفير المتجمع بأكمله أفراداً ونظاماً سياسياً وحاكماً؛ وعليها تبني التنظيمات الجهادية أحكامها الخاصة، فينتشر العنف كما تنتشر النار في الهشيم.

تظلُّ قضية تكفير الحاكم قضية جدلية مختلفاً عليها داخل التنظيمات الإسلامية، وهذا الاختلاف يفسر تباين وجهات نظر كل منهما وموقفه من استخدام العنف؛ فهناك من الجماعات

الإسلامية من كفرت الحاكم، وبالتالي حملت السلاح على هذا الحاكم من منطلق كفره، كما أن هناك جماعات أخرى لم تذهب لحد رميه بالكفر وأخرى سكتت عن الأمر فلم تكفره ولم تنظر إليه على أنه قديس في ذات الوقت، حتى داخل إطار الجماعة الواحدة تعددت الرؤى الفقهية تجاه الحاكم نفسه وربما يكون ذلك سبب الخلاف الشهير داخل الجماعة الإسلامية بين الشيخ كرم زهدي، رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية ونائبه د. ناجح إبراهيم، بعد قيام ثورة 25 يناير عندما صدر عنهما قراران، أحدهما بفصل صفوت عبد الغني، عضو شورى الجماعة وعصام دربالة، رئيس مجلس الشورى، بسبب تكفير كل منهما للحاكم، وإن كان البعض يرى أنه مجرد خلاف سياسي أكثر منه خلاف فقهي حول قضية تكفير الحاكم من عدمه، وبالتالي وحسب منطق مسؤولي التنظيم وقتئذ، فإن ذلك يدفع من كفروا آخرين في المستقبل ربما بعد جيل أو جيلين لاستخدام العنف والخروج على من صدر في حقه فتوى بالكفر، وكان منطق هؤلاء، أن من يحمل السلاح يبحث عن الحجة الشرعية التي يراها متوافرة في مثل فتوى تكفير الحاكم المعين، وبالتالي سوف يخرج من هذه الأجيال من يحمل السلاح على الحاكم ربما يكون بعد جيل أو اثنين، وإن لم يكن من داخل التنظيم ولكنه من خلال البحث عن الفتوى في الأدبيات أو أمهات الكتب التي تؤصل للفكر الشرعي للتنظيم، وما زال التنظيم يحمل بين أعضائه وقياداته من يرى تكفير الحاكم وآخرون لا يرون تكفيره وهم قلة قليلة، ولكن التنوع ما زال موجوداً داخل الحركة الإسلامية، وهناك من الجماعات الأخرى، والتي ذهبت لتكفير أهله وجيرانه وكل من لا يكفره، وهذه جماعات نشأت في الأساس على مبدأ التكفير، وصل بعضها لتكفير المجتمع كله، وبالتالي عاملوا هذا المجتمع على هذا الأساس، بأنه لا يجوز أكل ذبيحة الكافر وغيرها من الأحكام.

الجماعات الإسلامية لديها إشكالية تتلخص في أنها تتأثر بما يحدث في المجتمع سريعاً، وهو ما يجعل لها ردود فعل غالباً ما تكون سبباً في القضاء عليها فيما بعد، وغالباً ما تتأثر الجماعات الإسلامية ببعضها البعض فتفاجأ بتيار ديني سلمي يتحول للعنف لمجرد ما يراه هذا التيار أنه انتهاك لحرمة الله ويحدث ذلك أيضاً عندما يدخل في معركة مع السلطة محاولاً مشاركتها أو منازعتها الحكم

فيترتب على الأمر مواجهة غالباً ما تدفع هذه التنظيرات ضريبتها من سجن واعتقال وتعذيب وربما قتل، وتكون البداية تكفيراً، ثُمَّ مصادمة ومصارعة وتفجير بعد ذلك، وبالتالي نجد جماعات كثيرة تساق لاستخدام العنف بطريقة التكفير؟ فالتكفير حديقة خلفية للعنف؟ والعنف نتيجة مؤكدة للتكفير .

وهناك نوعان من التنظيمات الدينية؟ هناك من مارس العنف بناء، على أفكار قام بتأصيلها منذ اللحظة الأولى لإعلان هذه التنظيمات، وهناك من استدرج لاستخدام العنف فبدأ يؤصل له ويشرعن لأفكاره الجديدة داخل السجن بعدما تورط في استخدام العنف.

كثير من الجماعات الإسلامية بدأت سلمية، ولكنها اتجهت للتكفير فيما بعد ثُمَّ قامت بتأصيل هذا الفكر، وبالتالي وجدت نفسها مطالبة بإقامة شرع الله فمن كفرتهم أو رمتهم بالكفر بناء على أحكام شرعية قامت بتأويلها .

من هذه التنظيمات، الجماعة الإسلامية التي نشأت في نهاية السبعينيات من القرن الماضي على يد مجموعة من الطلاب داخل الجامعات المصرية، فرغم أن الجماعة بدأت سلمية فإنها جنحت لاستخدام العنف فيما بعد؛ فكتبت الميثاق الذي أصلت فيه للعنف وشرعنة هذا الفعل من داخل السجن بعد القبض على قياداتهم الذين حبسوا في قضية الاعتداء على مديرية أمن أسيوط عام ١٩٨١؛ فالمثير للدهشة أن الجماعة كتبت البحوث التي أصلت فيها للعنف بعد أن مارسته وليس قبل، مثل بحث الطائفة الممتنعة وغيره .

من الطبيعي أن يكون هناك تباين بين الجماعات الإسلامية_وما أكثرها في مصر!_، سواء من حيث الأفكار أو الوسيلة التي تستخدمها لتحقيق هدفها، وحدت هذه الجماعات خطابها بعد عزل الرئيس محمد مرسي من السلطة، عملاً بالمثل الشعبي المصري، (أنا وابن عمي على الغريب)، متخيلة أن هناك صراعاً من قبل العلمانيين ضد الدولة الإسلامية، وهو ما اضطر الجميع للحديث تحت لافتة واحدة واختلط الحابل بالنابل، فتبنت جماعة الإخوان المسلمين خطاب الجهاديين

الذين اعتلوا منصة رابعة العدوية، فتارة كانت تكتفي بأن هذه الأفكارتخص أصحابها، وتارة أخرى تغضُّ الطرف وقد كان ذلك كثيراً، ولا شك أن هذا أضر بتيارات دينية لم يكن خطابها يتبنى العنف ولا يدعو إليه.

العجيب أن الجماعات التي لها موقف واضح من العنف، دائماً لا تترك باقي تيارات الإسلام السياسي الحركي في حالها، فما بين الوقت والآخر توجه لهذه الجماعات اتهاماً بأنهم تركوا الجهاد ذروة سنام الإسلام، ويبدو أن فكرة التكفير أسهل لدى هذه التيارات من مجرد دعوة الآخرين لفكرتهم والتبشير بها، فالعواطف تحركهم أكثر نحو الهدم متخيلين أنه مصدر قوتهم؛ فتجدهم يفشلون في الدعوة لأفكارهم، ولذلك يركزون أكثر في نقد غيرهم .

تحاول هذه الجماعات أن تسلط نار غضبها وانتقادها لباقي الجماعات التي لا تشاركها في منهجها الفكري والتنظيمي والحركي، لأنها ترى أن هذه التنظيمات خطر عليها، فتمدد هذه الأفكار يجعلها في موقف حرج وربما يحرض الآخرين لمحاربتهم.

على كل الأحوال، هناك صراع حول انتصار الأفكار بين هذه الجماعات، وهو ما يجعل بعض التيارات ترفع السلاح في وجه بعضها البعض بهدف الانتصار لفكرتها، كما أنها تمارس هذا الصراع ضد من تسميتهم بالطغاة الكافرين والفاسقين وتعبر عن ذلك في بياناتها، وهو مايدفع المجتمع بأسره ناحية العنف، لأن ذلك ببساطة يدفع أجهزة الأمن للرد بعنف على هذه التنظيمات، وهي معذورة في ذلك للدفاع عن نفسها وعن مؤسسات الدولة، فيصبح المشهد ملبداً بالعنف .

وقد وجدنا جماعات وتيارات دينية تكفر بعضها البعض؟ وهناك من يكفر المجتمع بأكمله بمن فيه ويعلن الحرب على هذا المجتمع، ومن هؤلاء جماعة الإخوان المسلمين أو التكفير والهجرة أو التوقف والتبين، وغيرها من التنظيمات التي كانت تعتقد في نفسها الإيمان بينما كانت تعتقد في غيرها الكفر البواح.

النشأة والتكوين..

نشأ تنظيم أنصار بيت المقدس على أرجح الأقوال بعد ثورة يناير **2011**م ، وإن كان يمثل امتداداً لتنظيمات أخرى كانت موجودة في شبه جزيرة سيناء قبل هذا التاريخ بتاريخ، ثم تحولت هذه التنظيمات إلى أن ظهرت بصورتها الحالية التي نتحدث عنها الآن؛ فرغم المراجعات الفكرية والفقهية لبعض الجماعات في نهاية التسعينيات من القرن الماضي فإن جماعات كثيرة رفضت المشاركة فيها، وظلت أفكارهم حية تعيش وتتكاثر حتى خرجت من داخلها جماعات أخرى بثوب مختلف، ولكنها كانت امتداداً لها على كل الأحوال.

أفكار الجهاديين لم تمت رغم سنوات السجن الطويلة لهذه القيادات على خلفية قضايا أدينوا فيها أو اعتقال، وما عانوه من بلاء امتد لعشرات السنوات مع بعضهم، كما لم تتأثر أفكار بعضهم بالمراجعات التي طرحتها بعض التنظيمات الجهادية في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، فكثير منهم ظلَّ علىأفكاره القديمة، وخرج بعد ذلك معبراً عنها بعد أن صدر بحقه عفو رئاسي من الرئيس محمد مرسي وقتها، أو من خلال إعادة محاكمة خاصة.

فكثير منهم صدرت بحقه أحكام من محكمة عسكرية، لم تعطِ له فرصة المرافعة والدفاع عن نفسه ولم يكن بمقدوره الطعن على الحكم الصادر بحقه، ولكن يبقى في النهاية أن هؤلاء أتيحت لهم فرصة جديدة لمواصلة العمل الجهادي وإعادة الإنتاج مرة ثانية.

الفرصة الأولى بعد ثورة يناير **2011**م ، والثانية بعد وصول الإخوان للحكم في يونيه **2012**م، وكلاهما أعطى لهذه التنظيمات قبلة الحياة وإعادة نشاطها من جديد كما أعطاها فرصة أخرى لترتيب أوراقها، ودخلت مع السلطة في تفاوض أو دخلت السلطة معها في تفاوض انتهى الاتفاق فيما بعد، وهو ما عجل بقيام ثورة شعبية في ٣٠ يونيه **2013**م أو على الأقل ساعد على استفزاز الشارع بكافة طوائفه وكافة أجهزة الدولة على العموم، والتي كانت لا ترضى على مثل هذه الاتفاقات السرية والتي أبرمت بين شخص الرئيس وممثلي هذه الجماعات، أو عبر وساطات لم تكن أجهزة الأمن أو الأجهزة المختصة حاضرة فيها، والتي كانت ترى أن ما يفعله الرئيس بمثابة

تهديد حقيقي للأمن القومي المصري، ولم يكن السلوك المناسب في التعامل مع الجماعات الإسلامية ولكنه كان يصر على التعامل بهذه الطريقة رغم النصائح التي أسديت إليه.

المتأمل لتنظيم أنصار بيت المقدس يتضح له أن هذا التنظيم نشأ في بيئة أكثر راديكالية وبجوار تنظيمات أخرى كانت لها بصمات واضحة على شبه جزيرة سيناء منذ السبعينيات من القرن الماضي، وظهرت جلية في تفجيرات دهب وطابا وشرم الشيخ، وغيرها من العمليات المسلحة قبل وبعد هذه العمليات، وربما تعامل الأجهزة الأمنية مع أهالي سيناء على خلفية هذه العمليات زاد الأمور احتقاناً وساعد على إيجاد مبرر استطاعت هذه المجموعات من خلاله أن تقنع قطاعاً عريضاً بضرورة العمل المسلح ضد أجهزة الأمن ومن أسمتهم بالمرتدين والطغاة، وكان ذلك بمثابة لهيب النار الذي أمسك بثوب الوطن.

وأرجح التفسيرات: أن نشأة " أنصار بيت المقدس " كانت قبل ٢٥ يناير **2011**م ولكنها بدأت عملها الفعلي بعد الثورة مباشرة وخلال فترة الفوضى الأمنية التي عمت البلاد على خلفية ضرب المؤسسات الشرطية على وجه الخصوص والأمنية على وجه العموم في مصر، ويمكن قبول هذا التفسير إذا اعتبرنا أن هذا التنظيم لم يولد من الفراغ، وإنما كانت له بدايات أخرى في شكل جماعات وتنظيمات قادت العمل العسكري في سيناء لفترة ليست بالقصيرة.

فأول ظهور حقيقي لأنصار بيت المقدس كان في أبريل ٢٠١١ ، عندما أعلنت مسؤوليتها عن ضرب خط الغاز الذي يصل إلى الجارة إسرائيل، ثم تلا ذلك الظهور الثاني في أغسطس من العام ذاته عندما أطلقت صاروخين من طراز جراد على منتجع إيلات السياحي جنوب إسرائيل والذي لم يخلف وراءه أي قتلى، بعد ذلك، ثم حدثت تفاهمات بين جماعة الإخوان المسلمين عندما كانت في الحكم وبين التنظيم بعد ذلك والذي أظهر قوته بضرب خطوط الغاز التي تصل لإسرائيل عبر سيناء من خلال تفجيرها، وإطلاق صواريخ عليها من قلب سيناء؛ وبالتالي كانت هذه العمليات بداية فجر جديد لتنظيم خرج توه بعد مرحلة إعداد لرجاله وإنتاج أيضاً، ليفجر هنا وهناك ويقوم بضرب المقرات الأمنية في كل مكان، ولم تقتصر عملياته بطبيعة الحال على سيناء التي شهدت ولادة

التنظيم لاعتبارات كثيرة، وإنما امتدت لكل المحافظات المصرية في محاولة لإيصال رسالة فحواها أننا أقوياء، وقادرون على إيلامكم في كل مكان، وبالتالي نستطيع توسيع دائرة الصراع وضربكم في القلب، كما أن عمليات أنصار بيت المقدس لم تقتصر على التفجير فقط، وإنما شملت عمليات القنص والاستهداف لضباط الشرطة والجيش معاً.

هذه التفاهمات التي حدثت بين جماعة الإخوان المسلمين وأنصار بيت المقدس دفعت التنظيم لإيقاف عملياته الموجهة ضد إسرائيل، وكان المقابل عدم التصديق على أحكام الإعدام التى صارت في حق أعضاء تنظيم التوحيد والجهاد، وبالتالي عدم تنفيذ الأحكام وهو ما حدث وعلى ما يبدو أن الأحكام كانت قاسية وصادمة لقادة التنظيم عندما كان " مرسي " في السلطة، ولم يصدق الرئيس الأسبق ، محمد مرسي، على هذه الأحكام وقتئذ بإعدام هؤلاء الجهاديين ولم ينفذ أنصار بيت المقدس أي عمليات ضد إسرائيل منذ ذلك التاريخ بما يؤكد العلاقة التي بنيت على عدة تفاهمات كما أسلفنا الذكر، رغم أن التقارير الأمنية جميعها أوصت الرئيس مرسي وقتها بضرورة التعامل الأمني مع أنصار بيت المقدس، إلا أنه فضل التعامل السياسي وسياسة الاحتواء دون غيرها، خاصة وأن جزءاً من ترويج الإخوان لأنفسهم لدى الإدارة الأمريكية بهدف الترشح في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في 2012م ، أنهم قادرون على احتواء التنظيمات الجهادية في سيناء، وغيرها والتي يهدد بعضها أمن إسرائيل من ناحية حدودنا الشرقية، والسيطرة عليهم وكبح جماح العنف لدى هذه التنظيمات وإدماجهم في الحياة السياسية، وهو ما أراد أن يسير على خطاه " مرسي " ولكن بلا رؤية أو خطة جعلت من هذه التنظيمات فيما بعد غولًا من الصعب القضاء عليه، وإن أخذت الأجهزة الأمنية فيما بعد عزله خطوات في إطار مواجهته، ولكن على كل الأحوال حكمت التفاهمات العلاقة بين أنصار بيت المقدس وجماعة الإخوان عندما كانت بالحكم في ذلك الوقت.

قيادات جماعة التوحيد والجهاد هم أنفسهم قيادات جماعة أنصار بيت المقدس؛ هم نفس المجموعات ولكن طرأ عليها تغيير في الاسم فقط، فقد كانت هذه الجماعة تسمى قديماً عندما

نشأت على يد مؤسسها الأول الدكتور / خالد مساعد، التكفير والجهاد، ثمّ تحول اسمها لأنصارالجهاد، وحدث لها تحول جديد فسميت التوحيد والجهاد، ثمّ التحول الأخير أنصار بيت المقدس، ولعل أصحاب هذه الجماعة لجؤوا لهذه التسمية في محاولة لجمع أنصار كثيرين حولهم، فقضية بيت المقدس لا يختلف عليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، كما لا يختلفون على العمل لها مع وضع في الاعتبار القرب المكاني من فلسطين، والذي أعطى للجماعة وقضيتهم زخماً كبيراً عند كثير من الناس، وهو ما ساعد على قيام البناء التنظيمي بالصورة التي رأيناها بعد ٣٠ يونيه 2013م.

على كل الأحوال عدم تصديق "مرسي" على الأحكام التي صدرت في حق جماعة التوحيد والجهاد؛ وهم يمثلون قيادات أنصار بيت المقدس وأعضاءها بعد أن غيرت مسماها كما ذكرنا، فقد مر التنظيم بمسميات مختلفة، كان نواة حقيقية للتعاون الظاهر والخفي في ذات الوقت، وكان هذا بإرادة منفردة من قبل الرئيس آنذاك، وكان ذلك على غير رغبة الأجهزة الأمنية التي كانت ترى ضرورة المواجهة مع من يهددون الأمن القومي المصري أو يرفعون السلاح في وجه الدولة ؛ فليس من المعقول فتح حوار مع من يهاجمون مؤسسات الدولة ويضربونها، وكانت ثمرة ذلك العملية نسر التي قامت بها القوات المسلحة لضرب أوكار هذه التنظيمات، ولكن أوقفها " مرسي " دون أن تستكمل مهمتها أو حتى تستمر لمدة 60 يوماً كما صرّح وزير الدفاع وقتها، مفضلاً التعامل مع هذه الجماعات بسياسة الاستيعاب فحسب دون المواجهة إذا أحسنا الظنَّ؛ ولكنه على كل الأحوال تورط في التعامل مع من يهددون الدولة ويضربون مؤسساتها واستقرارها بشكل أضر بالأمن القومي المصري ودفع ضريبته الشعب المصري فيما بعد من عمليات مسلحة وتفجير وقنص للأبرياء، دون أي جريرة غير أن هؤلاء يعتبرونهم إما مرتدين أو معينين للطغاة.

كان خطف ٧ من الجنود المصريين في مايو2013م النواة الحقيقية لبداية التفاوض بين جماعة الإخوان المسلمين التي كانت على رأس السلطة آنذاك وبين أنصار بيت المقدس، حتى تبنت الأخيرة مطالب جماعة الإخوان المسلمين عندما مرت بمحنة العزل السياسي، وبدأت تدافع عنها حتى وإن

لم تطلب منها ذلك وصممت جماعة الإخوان عن هذا الدفاع ووجدناهم يعبرون عن ذلك في أغلب التسجيلات المرئية التي كانوا يصدرونها عقب كل عملية أمنية يقومون بتنفيذها، وأشهرها محاولة اغتيال وزير الداخلية عندما قال منفذ العملية الانتحاري الرائد / وليد بدر، في التسجيل المرئي الذي خرج فيما بعد، إن هذه العملية رداً على ما حدث من قبل الجيش والشرطة تجاه فض اعتصاميّ رابعة العدوية والنهضة.

ونقلت أنصار بيت المقدس عبر التسجيل المرئي صوراً لقتلى فض الاعتصامين في رابعة العدوية والنهضة، والمعارك التي دارت رحاها بين الأجهزة الأمنية وهؤلاء المعتصمين.

ويبدو أن إرادة رئيس الجمهورية - آنذاك - التي فرضها على الأجهزة الأمنية، وكان محورها احتضان هذه التيارات وعدم مواجهتها أمنياً رغم أنهم كانوا يرفعون السلاح في وجه الدولة؛ جعل هذه التيارات الجهادية تشعر بقوتها ويترسخ لديها عامل مهم يتلخص في أن العنف سبيل مهم للحصول على ما تظنه حقاً لها، وهو ما دفعها فيما بعد لشن هجمات على قوات الأمن، وبررت ذلك عبر عشرات التسجيلات المرئية بأنه نتيجة لما تقوم به أجهزة الأمن ضد أبناء عوائلنا في سيناء، ومن هنا أوقف " مرسي العملية نسر في أغسطس 2012م ، والتي شنتها القوات المسلحة ضد أوكار التيارات الجهادية وبخاصة أنصار بيت المقدس وغيرها ممن تورطوا في ممارسة العنف أو من تأكدت أجهزة الأمن أنهم قد يمارسونه، في محاولة للإفراج عن المجندين السبعة المخطوفين

وهذا يؤكد ثمة علاقة كانت قائمة بين التنظيمين؛ تنظيم الإخوان في السلطة آنذاك وتنظيم أنصار بيت المقدس في سيناء، والذي كان متهماً بخطف الجنود السبعة أو ضمن المشاركين في الخطف، على اعتبار أنه ضمن تشكيل مجلس شورى المجاهدين الذي يضم تيارات جهادية شتى.

تعامل الرئيس محمد مرسي مع هؤلاء، الجهاديين واحتضنهم ظناً منه أنه قادر على احتوائهم وتحقيق ما يريدونه مقابل أن يحققوا له ما يريده، فيستطيع أن يصنع الرضا الأمريكي في الوقت بأن نفسه تبتعد هذه التنظيمات عن تهديد أمن إسرائيل، وهو مطلب أمريكي تسعى لتحقيقه للحليف الاستراتيجي في المنطقة.

من أخطاء مرسي أنه حاول أن يفعل ذلك وهو لا يدري أو لعلّه يدري أنه يهدد الأمن القومي المصري، بل وفعل ذلك بعيداً عن أعين أجهزة الأمن التي لم تكن على رضا بما يحدث من تعامل مؤسسة الرئاسة وقتها مع التنظيمات الجهادية، وكانت تسدى للرئيس النصيحة؛ بأن التعامل مع هذه التنظيمات بهذه الطريقة يمثل خطورة حقيقية على الأمن القومي المصري على المدى القريب والبعيد، ولكن إرادة " مرسي " كانت سابقة لأي نصيحة كانت تقدم له، ولذلك أوقف العملية نسر التي شنتها القوات المسلحة ضد معاقل هذه التنظيمات في **2012**م على خلفية خطف الجنود السبعة على طريق العريش.

وجهة نظر أجهزة الأمن يمكن اختصارها في ضرورة المواجهة مع من يحملون السلاح ضد الدولة وليس التفاهم معهم والذي يعني أن الدولة في موقف ضعيف، حتى لا يغري ذلك آخرين برفع السلاح في وجه الدولة، وما أكثر الجماعات الدينية في البيئة المصرية! وكان هذا بمثابة خط أحمر لأجهزة الأمن التي تعي خطورة هذه التنظيمات؛ فالتفاهم قد تكون نتيجته تمدد هذه التنظيمات، وهو ما حدث بالفعل، ومعاناة الدولة من هذه التنظيمات بعد ٣٠ يونيه جزء من سياسة التعامل غير الحكيم للرئيس وقتئذ، والذي يفسر بسوء الظن وهو ما أدى إلى تهديد الأمن القومي المصري.

محمد مرسي لم يتعامل مع هذه التنظيمات بسياسة العصا والجزرة، ولم يكن مطروحاً لديه مواجهتها في وقت من الأوقات، وهو ما أدى إلى تقوية بنيانها في عهده بعدما أعطاها الأمن وعقد معهم أحلافاً ومواثيق، فعاشت أفضل مراحلها في عهده دون مطاردة أو حتى مجرد تهديد.

أتاحت التفاهمات التي حدثت بين جماعة الإخوان المسلمين وبين أنصار بيت المقدس، تقوية رباطة جأش التنظيمات الجهادية، وفي مقدمة هذه التنظيمات من حاول " مرسي " أن يتحاور معهم وهم أنصار بيت المقدس التي نجحت في الاستفادة من فترة الهدنة والاتفاق الذي أبرم معهم، والذي تؤكده بعض الشواهد السياسية أنهم استغلوه بالانشغال بتدريب أعضائهم والالتفات إلى تربية كوادر جديدة والتمدد الرأسي كمّاً وكيفاً، خاصة وأن أجهزة الأمن لم تكن تتعقبهم وإلا ما أصبح للاتفاق أي ضرورة استمرت هذه التنظيمات على هذا الحال حتى بدأت تنفذ عملياتها ضد

القوات المسلحة والشرطة في تغير استراتيجي بتكتيكاتهم بعد عزل محمد مرسي من السلطة، وقد وصفهم خصومهم في السلطة الجديدة بالمرتدين والطغاة، فكانت عملية سبتمبر عام 2013م والتي حاولت من خلالها اغتيال وزير الداخلية اللواء / محمد إبراهيم، وبالعودة إلى التواريخ، نكتشف أن هذه العملية جاءت رد فعل للتنظيم على عزل " مرسي " من السلطة وفض اعتصاميّ رابعة العدوية والنهضة؛ بما يحمل إجابة لعدد من علامات الاستفهام التي تجيب عن سر العلاقة بين تنظيم الإخوان والذي يمتد عمره الفعلي منذ نهاية العشرينيات من القرن الماضي وتنظيم أنصار بيت المقدس الذي أعلن عن نفسه بعد 2011م بشكل واضح، وإن كان موجوداً قبل هذا التاريخ في صور أخرى دمجت في كيانات جديدة لتعبر عن شكل ورؤية مختلفة للمشهد السياسي والجهادي في المنطقة.

استفادت التنظيمات الجهادية من فترة الهدنة التي أعطاها لهم الرئيس الأسبق، محمد مرسي، على خلفية الإفراج عن الجنود السبعة المختطفين في تكوين مجلس شورى واحد للمجاهدين تنبثق منه التيارات العامة في العمل المسلح، ولذلك كنا نسمع عن مجلس شورى المجاهدين أكناف بيت المقدس ومجلس شورى المجاهدين أنصار بيت المقدس، وإلى غيرها من المسميات التي كانت تؤكد أنّ هناك غطاءً نجحت هذه التنظيمات في الاجتماع تحت مظلته بهدف التنسيق والدعم إزاء العمليات المسلحة التي تواجه بها إسرائيل أو أجهزة الأمن المصرية.

لم يكن خطأ الإخوان المسلمين الوحيد تبنيهم لوجهة نظر التيارات التكفيرية بعد ٣٠ يونيه من خلال توفير غطاء مارست من خلاله هذه التنظيمات العنف؛ حتى وإن تبرأت الجماعة من أفعال الجماعات الجهادية فيما بعد، تارة من خلال التصريحات الصحفية التي أدلى بها قياديون هنا أو هناك دون خروج بيان رسمي موقع من قبل الإخوان أو تأخر صدور هذه البيانات رغم صدورها في قضايا أقل أهمية، وكأنها ترضى أو توافق على ما تقوم به هذه الجماعات، ترفض فعلها علناً وقد قصرت في ذلك أيضاً، ولكنها تقبل ما تفعله سرّاً؛ وكأنها لا تريد أن تتحمل تبعات ما تقوم به الجماعات الجهادية، ومعروف أن جماعة الإخوان المسلمين تواصلت مع هذه الجماعات أثناء

وجودها في السلطة كمحاولة لدمجهم في الحياة السياسية والاتفاق معهم على عدم تنفيذ عمليات مسلحة بحجة تنفيذ مطالبهم والتي تتحدد في إقامة الدولة الإسلامية التي يحلمون بها والإفراج عن سجنائهم بشكل تدريجي؛ وبخاصة المتهمون في تفجيرات طابا ودهب وشرم الشيخ وبعضهم حصل على أحكام بالإعدام.

وقعت جماعة الإخوان المسلمين في أخطاء أخرى على مر تاريخها رسخت من خلاله لفكرة العنف لدى أتباعها، ولكنها للأمانة فرضت في المقابل طوقاً في الجهة المقابلة على أنصارها لحمايتهم من هذا العنف، درست الشيء ونقيضه في محاضن التربية.

من الأخطاء الاستراتيجية التي وقعت فيها الجماعة في تدريس المناهج التربوية، أنها قامت بتدريس كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية لصاحبه المرحوم / منير محمد الغضبان، مراقب الجماعة الأسبق بسوريا كان يدرس هذا الكتاب للمراحل التربوية، منتسب ومنتظم، وهاتان المرحلتان تأتيان بعد مبايعة التنظيم بعد أن يتلقيا قسطاً من التربية، وتليان مرحلة، محب ومنتظم، وعلى كل الأحوال تم تدريس الكتاب لأعضاء الجماعة في بدايات العلاقة التنظيمية لأفراد الصف الإخواني، ومن خطورة ما تركه تدريس هذا الكتاب على النشء أنه وصف من مارسوا العنف بأنهم جزء من قيادات الحركة الإسلامية وكأنه اعتراف ضمنيّ بأفكار هؤلاء.

لقد سمي " الغضبان " في كتابه سالف الذكر، تنفيذ حكم الإعدام على، شكري مصطفى، زعيم تنظيم التكفير والهجرة بأنه كان مجزرة في حق المعارضة الإسلامية في مصر، كما سمي تنفيذ حكم الإعدام على خمسة من تنظيم الفنية العسكرية بالمجزرة أيضاً وكأنه يقر أفكار هؤلاء ويدافع عنهم معتبراً ما حدث لهم بأنه مجزرة، ولعلّ الاستشهاد يكون أوضح بالنقل.

ولعلّ، شكرى مصطفى، ذاته تراجع عن أفكاره حسب رواية بعض تلامذته الذين نقلوا عنه عندما أقدم على تنفيذ حكم الإعدام، وهو كان يظن أنه على حق وأنه سوف يفلت من تنفيذ الحكم، متخيلاً أنه ما دام على الحق فالله كفيله وأن الحكم لن ينفذ عليه، تراجع عن أفكاره قبل تنفيذ الحكم ونظر لأصحابه قائلاً: "راجعوا أنفسكم على ما أنتم عليه ".

يقول "الغضبان": ولهذا نرى المحاولات اليائسة التي يقوم بها أعداء الإسلام لإنهاء الحركة الإسلامية عن طريق قتل قياداتها إعداماً أو اغتيالاً، والذي يلحظ الحاكمين وهم يواجهون الحركة الإسلامية رغم اختلاف مشاربهم ونوازعهم يلتقون جميعاً على قتل هذه القيادات؛ ففي مصر مثلاً، كان اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا هو الهدف الرئيسي الذي لا ترضى إنجلترا بدونه بديلاً، وقد التقى هدفها مع هدف الملك فاروق في ذلك، وحين قامت الثورة المصرية كانت ترى في هذا الاغتيال ظلماً كبيراً حتى إنها شكلت محكمة لمحاكمة قتلة الإمام الشهيد، غير أنها عندما رأت قوة الحركة الإسلامية سلكت الطريق نفسه الذي سلكه قبلها فاروق، فأقدمت على إعدام الدفعة الأولى للإخوان المسلمين والمكونة من ستة من قادة هذه الجماعة، وعلى رأسهم، عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، ورغم مرور عشر سنوات عل هذه المجزرة كان سيد قطب، رحمه الله، من البقية الباقية من القيادة المفكرة للجماعة، ومنذ أن رأى الحاكم الطاغية القوة الفكرية تجتاح الأرض المصرية، كان الاتحاد السوفيتي هو الذي يصر هذه المرة عل الإقدام على إعدامه وسط استياء العالم الإسلامي؛ لذلك لم يتراجع الطاغية عن موقفه ولم يرضَ غير الإعدام له مع زملائه، وجاء خلفه يدعى الديمقراطية وإعادة الحرية وعامل كل زعماء المعارضة بالسجن عنده حين رأى خطرهم، أما المعارضة الإسلامية فلم يكن من حل لها عنده إلا الإعدام وقد أقدم على مجزرتين في عهده.

الأولى: إعدام خمسة ممن اتهموا بحادثة الكلية الفنية، وكان يقصدالكلية الفنية العسكرية.

الثانية: إعدام مجموعة شكري مصطفى وإخوانه.

ولم يشهد عهد الحكام المتعاقبين إعداماً إلا لقادة الاتجاه الإسلامي.

انتهى الاقتباس من كتاب المنهج الحركي الذي قامت جماعة الإخوان المسلمين بتدريسه لأبنائها في أسر الجماعة المخصصة لتربية أعضائها، وتمثل حلقة الوصل بين قيادات التنظم وأعضائه، على مدار الفترة من 2005 إلى 2010م والتي كانت ترى فيها الجماعة أنها مرحلة ابتلاء وبالتالي كان يستلزم معها تدريس كل ما يدعم فكرة الاستمساك بالمشروع الإسلامي الذي يعاني اضطهاداً

وحرباً، وزرع لدى نفوس أبنائها الاضطهاد، ولأن " الغضبان " كان يعمل فى قسم التربية بالجماعة، فقد كان يلمس ما تحتاجه الشخصية الإخوانية على مدار مراحل التكوين.

فالجماعة لم ترفض ما جاء في الكتاب بل إنها قامت بتدريس ما فيه للنشئ الصغير ولا أدري كيف تقوم بتدريس مادة كتاب تتغزل في قادة العنف وجاعات التكفير!.

ومما يؤخذ على الكتاب والجماعة في الوقت ذاته، أنه كان شمولياً في الوصف والعرض؛ فقد وصف قتل شكري مصطفى، زعيم تنظيم التكفير والهجرة وأتباعه بأنه كان بهدف القضاء على المشروع الإسلامي، كما ذكرنا، وهو ما يعني خلطاً شديداً بين فكرة الإسلام الوسطى التي تروج الجماعة لنفسها أنها تدعو إليها وبين الفكر المتطرف، والذي رسخت الجماعة له بين النشء بحكم ظروف التربية، وبالتالي حدث الخلط بين أصحاب التصور الوسطى للإسلام في مقتل بأن وضع " الغضبان " المشروع الإسلامي في سلة واحدة مع من كفر المجتمع وطالب بالخروج عليه.

والخطأ ليس فيما كتبه " الغضبان " ؛ فقد كان يفتقر إلى التصنيف الواضح والمميز للإخوان عن غيرهم من الحركات الإسلامية الأخرى، فقد كان غريباً عن مصر وأجنبياً، ولم يدرس البيئة المصرية فهو سوري ينتمي إلى بلاد الشام، تأثر كثيراً بما حدث في سوريا من مجازر للإخوان على يد حافظ الأسد؛ وإنما فيمن أقروا مثل هذا الكتاب كمنهج للتربية وتركوا هذه العبارات تتسلل إلى الفكر الشبابي وتخترق عقولهم وربما تكون سبباً في اتجاه بعضهم للعنف فيما بعد أو انتمائهم لتنظيمات أخرى جهادية، وكان يجب على الجماعة إعلان رفضها لبعض ما ورد في مادة الكتاب وعدم السكوت عنها، كما كان يجب على الجماعة إعلان اختلافها مع بعض.

أفكار سيد قطب وعدم الاكتفاء بقولها إنه كان أديباً وأفكاره فهمت خطأ؛ حتى تعطي مبرراً لإعادة قراءتها مرة ثانية سواء من قبل أعضاء الجماعة أو التنظيمات الأخرى، كان يجب على التنظيم أن يخرج بأوراق يعلن فيها تبرؤه من أفكار بعض قياداته حتى يحافظ على التنظيم الأكبر من السقوط في بئر العنف على المدى البعيد.

يحكي المرحوم / فريد عبد الخالق ، عضو مكتب الإرشاد أن الشيخ / عبد الفتاح إسماعيل، أحد قادة تنظيم **1965**م مع سيد قطب، أن "إسماعيل" جثا على ركبتيه من كثرة التعذيب في اتجاه "عبد الخالق " وقال له، " آسفين احنا كذبنا عليك يا أستاذ احنا جبنا سلاح من السودان ".

ولعل هذه الشهادة تغيب عن كثير من الناس، ولكن بعدها اندمج الإخوان المسلمون في العمل السياسي في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، وحدثت بعدها بسنوات أخطاء من التربية التي انحرفت يساراً ويميناً؛ وأكبر خطأ في ذلك الخلط بين العمل الدعوي والجهادي، والذي رسخ لمفاهيم كان لها أثرها بأن أصبح التنظيم بمثابة العباءة التي أفرخت جهاديين كونوا تنظيمات مسلحة بعضها ناصب الإخوان العداء فكرياً رغم أنهم كانوا جزءاً منها، والإخوان لم يضبطوا إيقاع هذه المجموعات فيما بعد رغم أنها كانت جزءاً منها، وعندما خرجوا عنهم تعاملوا معهم بعداء، دفع هذه التيارات أن تأخذ موقفاً نفسياً من طرح الجماعة، فأخطأت الجماعة مرتين، مرة بعدم القدرة على احتواء هذه التيارات، ومرة أخرى بدرجة عداء الجماعة لهذه المجموعات، وهو ما دفعها لعدم تقبل الطرح الوسطي للإسلام بعيداً عن المفهوم المقاوم للدين عندما كانت تطرح نفسها معبرة عن الإسلام الوسطي.

على كل الأحوال، بدأت أنصار بيت المقدس تبحث عن مبرر حقيقي لعملياتها، فكان ذلك واضحاً من خلال عملية تفجير مديرية أمن جنوب سيناء والتي حدثت في **7** أكتوبر عام **2013**م ، والتي راح ضحيتها شخصان من بينهما شرطي وإصابة ٥٠ آخرين، وأسرفت الجماعة في الكشف عن مبرراتها على لسان منفذ العملية / محمد حمدان من خلال تسجيل مرئي نشرته على المنتديات الجهادية؛ نرصد ما جاء في هذا التسجيل من خلال ثنايا الحديث عن أشهر العمليات المسلحة التي قامت الجماعة بتنفيذها في المحور الخاص بذلك.

ويمكن تلخيص الفكرة الأساسية بأن الإخوان لم يكونوا بعيدين عن العنف، ربما يكونون قد تورطوا فيه وربما أصابهم ما أصاب التنظيمات الأخرى، ولذلك قد يكون مصير الجماعة التي عاشت سنوات طويلة كمصير كل التنظيمات التي لجأت للعنف؛ فكلما اقتربت مساحة العنف من هذه الجماعات كانت بداية النهاية لهذه التنظيمات.

****

الشعار والمنهج

عرفت شبه جزيرة سيناء بتمدد التيارات الدينية فيها؛ فهي بيئة خصبة لنمو هذه التيارات سواء السلمي منها والتي أغرقت في السلمية أو الأخرى التي جنحت لاستخدام العنف المسلح، يعود ذلك للطبيعة الجغرافية للمنطقة الملاصقة للجارة إسرائيل، وللطبيعة البيولوجية لأهلها الذين عاشوا عزلة شعورية ومكانية أثناء الاحتلال الإسرائيلي وربما بعد التحرر أيضاً، ما زال يسيطر هذا الشعور على هذه البقعة حتى هذه اللحظة، وهو ما دفع الجزيرة إلى أن تكون بيئة خصبة للأفكار المتطرفة بحيث نمت فيها وترعرعت، نظراً لخصوبة البيئة كما ذكرنا وتطرف المحافظة وغياب التنمية فيها من جانب آخر.

فعلى كل الأحوال كانت سيناء بيئة حاضنة للتيار الصوفي العام منذ زمن بعيد، حتى هاجر إليها بعض المطلوبين أمنياً لفترة سمحت لهم بنشأة أول بذرة للعمل الجهادي، وربما ساعد على ذلك وجود منطقة صحراوية استطاع هؤلاء الجهاديون أن يختبئوا فيها بعيداً عن أعين أجهزة الأمن، فضلاً عن الطبيعة القبلية التي كانت قادرة على حماية من يلوذ بحماها من باب نصرة الضعيف مهما كانت جريمته، وكانت تستفيد بعض القبائل من قلة التواجد الأمني في بعض مناطق المحافظة بل أغلبها نظراً لطبيعة المكان من ناحية والاتفاقيات الدولية التي حددت حجم التواجد الأمني فيها من ناحية أخرى، حيث مثل عائقاً كبيراً في السيطرة الأمنية بشكل كامل أو ربما أتاح لهذه التيارات أن تتوارى بشكل أو بآخر في ظل التواجد الأمني المحدد والمقنن حسب الاتفاقيات الدولية، ولا شك أن الطبيعة القبلية لعبت دوراً هي الأخرى في وجود هذه الجماعات وفي حماية أفرادها بنازع الحمية التي تفرضها حسب التقاليد العرفية.

وفي ذلك يردد بعض الجهاديين أن سيناء قديماً استقبلت، سيد قطب، صاحب تفسير في ظلال القرآن، قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه، وكان ذلك بصحبة بعض قبائل سيناء، بعدها تبنت هذه القبائل فكرة التغيير بالقوة حتى وصلت الحال إلى ما هي عليه الآن، ومعروف للجميع أن قطب

اجتهد في وصف المجتمع بالجاهلي وقرر خروجه على النظام السياسي وقتها وحاول الانقلاب عليه، وربما كان ذلك واضحاً من خلال كتابه معالم في الطريق، وضع قطب في هذا الكتاب المعالم اللازمة لاستعادة الحاكمية، وإن كان قد ركز في جميع كتاباته بشكل عام على مفهوم الحاكمية، والتي أخذتها التنظيمات الدينية فيما بعد وكان منطقها حول ممارسة العنف أو الخروج على المجتمع بسلطته السياسية والشعبية.

فالعنف الموجود في سيناء ليس كله خروجاً على القانون وإنما جزء كبير منه، وربما يكون القطاع الأبرز له علاقة بالأفكار التي نمت وترعرعت، ثُمَّ أخذت شكلاً شرعياً ودينياً في الصراع الذي ما زال ممتداً حتى هذه اللحظة.

تطور ذلك إلى ما هو ثابت من عمل الدكتور / خالد مساعد، أحد قيادات جماعة الجهاد المصرية حيث أنشأ تنظيمه الجديد، التكفير والجهاد، قبل أن يتحول إلى أنصار الجهاد، ثُمَّ التوحيد والجهاد، بسبب النفور من كلمة التكفير، فرغم تغيير الاسم فإن فكرة التكفير ما زالت حاضرة لدى هذا التنظيم الذي تحور في صورته الثالثة حتى كانت نواة جماعة أنصار بيت المقدس فيما بعد، ويبدو أن الاسم الجديد مكن التنظيم القديم الجديد من كسب أنصار جدد من خلال قتال اليهود واستخدام لغة العداء ضد إسرائيل، وبخاصة أن أغلب أعضاء التنظيم من سيناء وهي منطقة ملاصقه لإسرائيل فانتقال الاسم من جماعة التكفير والجهاد إلى التوحيد والجهاد، ثمَّ في نهاية المطاف أنصار بيت المقدس، فجمع أنصاراً كثيرين حول هذا التنظيم، فقضية فلسطين لا يختلف الإسلاميون على نصرتها والعمل لها وإن كانت الطريقة تبدو مختلفة بين كل منهما؛ ولكن يمكنك من خلال قضية القدس تجميع الجهود وقد يتفقون جميعاً في ضرورة الدفاع عنها والاستعداد لملاقاة العدو في سبيل تحرير أراضيهم، مع العلم أن أنصار بيت المقدس لم يكن الوريث الشرعي لجماعة التوحيد والجهاد فحسب، وإنما تلقت الأنصار والحواريين الذين تربوا بحكم البيئة في حضن تنظيمات أخرى وبخاصة التيار السلفي العام، فبقليل من التأثير إزاء المناخ العام الداعي للجهاد ظهرت جماعة أنصار بيت المقدس بالقوة التي شاهدناها عليها بعد **30** يونيه.

بطبيعة الحال من السهل تجميع الناس حول قضية القدس؛ فهذا يبدو أسهل بكثير من إقناعهم بكفر المجتمع ووجوب قتاله؛ فتحت شعار القدس يتجمع الأنصار وبالتالي يكون من السهل إقناعهم بالقتال فيما بعد وتكفير المجتمع من خلال وصفه بالمرتدين والكفار، وهى العبارات التى كانت تستخدمها أنصار بيت المقدس عبر البيانات والتسجيلات المرئية.

وربما وجود العنصر الشبابي سبب رئيسي لتأثير البيئة في الانضمام لهذا التنظيم؛ فأغلب العمليات التي تم تنفيذها لشباب كانوا في مطلع الثلاثينيات من أعمارهم وبعضهم في أواخر العشرينيات، ومنهم من لم يبلغ العشرين من عمره بما يدل على أن البيئة كان لديها عامل مهم في الانتماء والانضمام لأنصار بيت المقدس بخاصة في الأونة الأخيرة.

على كل الأحوال، حاول التنظيم الجديد قطع الطريق أمام مراجعات بعض التيارات الجهادية التي رأت بأنه لا ضرورة من محاربة الشرطة المصرية، فضلاً عن تأصيل ذلك من الناحية الشرعية، فكان البديل البحث عن عدو آخر يجتمع على قتاله الأنصار الجدد، ومن هنا كان الاسم الذي لم يواكب كثيراً الفعل خاصة بعد عزل، محمد مرسي، من السلطة في 3 يوليو عام 2013م ، فرغم أنها حولت اسمها إلى أنصار بيت المقدس فإن أغلب عملياتها كانت ضد الشرطة المصرية والقوات المسلحة وليست ضد إسرائيل، اللّٰهُمَّ إلا ما ندر.

"يا قدس إنا قادمون "، شعار أنصار بيت المقدس التي اختارت أن تقاتل إسرائيل في إعادة تكوينها الجديد، فظللته بعلم أسود ومصحف وفي الخلفية خريطة كتب عليها بشكل دائري قوله تعالى: "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، يخرج من الشعار سلاح آلي، كتبه عليه كلمة التوحيد، لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، على خلفية سوداء.

فالشعار يحمل شكل العلم الأسود والذي يحمل كلمة التوحيل والشهادة معاً كصورة مقاربة للعلم الذي كان يحمله الرسول (ص) في غزواته، كما قال لنا بعض الجهاديين في لقاءات خاصة معهم إزاء تفسير العلم وشكله ورمزيته، وربما كان ذلك السبب وراء تسمية المعارك والتفجيرات التي قامت بها بالغزوات مقارنة بغزوات الرسول (ص) ومحاولة إلصاق وصف الكفر بالطرف الآخر، فما

كانت معارك الرسول (ص) إلا ضد الكفار الذين ناصبوا دعوته العداء بل وحاربوها في كل مكان، وبالتالي قامت هذه الجماعات باستدعاء العلم الذي كان يرفعه الصحابة في معاركهم وغزواتهم؛ وبالمقاربة شبهوا من كان يحاربهم الرسول (ص) الكفار واليهود، بمن يحاربونهم اليوم من المسلمين، سواء في الجيش والشرطة أو المختلفين معهم عموماً.

تقول أنصار بيت المقدس عن الهدف من تنفيذ بعض عملياتها في سيناء وغيرها من المحافظات المصرية الأخرى: " لكف بأس المعتدي واسترداد الحقوق "، ووضعت ما حدث من فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة والحرس الجمهوري والمنصة، سبباً لهجماتهاالمتوالية ولعل التسجيلات المرئية والبيانات أوضحت ذلك بشكل جلي دون مواربة.

ترى نفسها أنها ما قامت إلا لحفظ ضرورات الأمة وحماية دينها ونصرة أبنائها واسترداد ثرواتها وصيانة أعراضها، وترى في نفسها أيضاً أنها لم تنزلق لتحقيق أهدافها في ألاعيب السياسة وفخاخها، وإنما لجأت إلى الواضح من الدين في ضرورة الجهاد إعلاء لدينه ونصرة لشريعته.

اختزلت أنصار بيت المقدس أهدافها في شعار وعلم استدعته من التراث الإسلامي، وخلطت بين منهج الرسول (ص) ومنهجها في محاولة لإعطاء صفة شرعية لما تمارسه من تفجيرات وقتل على الهوية.

منهج أنصار بيت المقدس منهج سلفي جهادي أخذوا من علماء وفقها، السلف ما يؤيد ما ذهبوا إليه؛ كما أنهم أولوا النصوص الشرعية بما يحملهم على استخدام العنف، وخلطوا في ذلك بين العنف والجهاد، وبطبيعة الحال استفادوا من أفكار / سيد قطب، وتعريفه للحاكمية وهم ليسوا أغراباً في ذلك فأغلب التنظيمات الجهادية مثل " قطب " لها معيناً لم ينضب.

ولعل الأحداث السياسية التي حطت على مصر بعد ٣ يوليو **2013**م وما تلا ذلك من مواجهات بين جماعة الإخوان المسلمين وأجهزة الأمن، شكل إلهاماً حقيقياً لمنهج هذه التنظيمات في اتجاه العنف، فرغم أنها تركت ممارسة العنف ضد أجهزة الأمن وبدأت مرحلة جديدة في جهاد

الإسرائيليين، فإنها تراجعت عن ذلك ووجهت جل أعمالها ضد أجهزة الأمن مرة أخرى بدعاوى أفردنا الحديث عنها سابقاً.

ولعلّ إشكالية هذه التنظيمات أنها دفعت غيرها لأن تسير في نفس منهجها أو لا ندري على غيرها من دفعها؛ فعندما تقف جماعة الإخوان المسلمين على مسافة قريبة معها وتخرج هذه التنظيمات عبر بيانات تؤكد فيها أن ممارسة السياسية والآليات الديمقراطية نتيجته معروفة وأن الحل الوحيد في الجهاد، فتنبري للدفاع عن الإخوان والجماعة لا ترد وإنما تسعد بهذا الدفاع تبرره تارة وتغض الطرف عن بعض الممارسات تارة أخرى، وقد تعلن أنها ضد العنف ولكنها لم تخرج بتصريح واحد تهاجم فيه الجماعات التي ظهرت بعد ٣٠ يونيه بدءاً من أنصار بيت المقدس وانتهاء بجماعة الذئاب المنفردة وجند الإسلام والفرقان، ومروراً بجماعة أجناد مصر وأنصار الشريعة في أرض الكنانة.

****

أشهر العمليات العسكرية لأنصار بيت المقدس

كثيرة هي العمليات التي قامت بها جماعة أنصار بيت المقدس، نحاول من خلال هذا البحث أن نرصد استراتيجيتهم من خلال خطابهم في بعض التسجيلات المرئية التي خرجت تعليقاً على تنفيذ هذه العمليات وإعلان مسؤوليتها عنها؛ كمحاولة لتفسير هذا الكيان وعلاقاته بباقي الكيانات الأخرى والقوة التي تكمن خلفه وتأثيره المستقبلي.

ولا يمكن التعرض لتنظيم أنصار بيت المقدس دون التطرق للجهاز الإعلامي الذي يتولى تصوير عملياته العسكرية ونشرها فيما بعد، فهناك علاقة كبيرة بين محاولة قراءة خطاب هذه الجماعة عبر التسجيلات المرئية الصادرة عنها وبين قراءة الشكل الإعلامي الذي يمثل غلافاً لهذه العمليات، فهم يقومون بإيصال رسائل للنظام السياسي وأجهزته الأمنية والرأي العام من خلال الجهاز الإعلامي الذي ينقل قناعات التنظيم التي تكشف بلا شك عن أصوله الحقيقية وعلاقاته بباقي التنظيمات الجهادية.

مرت عمليات أنصار بيت المقدس بعدة مراحل؛ تمثلت المرحلة الأولى في المواجهة مع إسرائيل، تلتها مرحلة المواجهة مع القوات المسلحة في سينا، ثمَّ انطلاقها لتنفيذ عمليات في المحافظات المصرية كافة بعدما كانت تقتصر في تنفيذ هذه العمليات داخل سيناء، تلك المحافظة التي نشأت على أن أراضيها وتعتبر مصدر قوتها كما أنها تعرف دروبها جيداً وتستطيع إدارة معاركها على أراضيها ضد أجهزة الأمن.

العمليات التي تم تنفيذها في شكل هجمات على إسرائيل والتي نفصل القول فيها فيما بعد، فقد كانت عبارة عن إطلاق صاروخي جراد على مدينة أم الرشراش " إيلات " في الجنوب الإسرائيلي، وقد عبرت عن ذلك من خلال تسجيل مرئي أطلقت عليه غزوة التأديب لمن تطاول على النبي (ص) الحبيب وسبيل الرحمن وسبيل الشيطان، تلا ذلك تفجير خطوط الغاز في يوليو **2012**م والتي وصلت إلى ١٤ مرة، ثم وجدنا الجماعة تقوم بشن هجوم على إسرائيل بسبب الهجوم على بعض

أعضائها من خلال طائرة بدون طيار والتي استهدفت بعض قيادات الجماعة الذين نفذوا عمليات ضدها، ثم تفرغت بعد ذلك لضرب أجهزة الأمن في مصر بعد ذلك ولسان حالها يقول العدو القريب "القوات المسلحة والشرطة" أولى من العدو البعيد "إسرائيل" ؛ ومما يذكر أيضاً أن الجماعة قامت بتنفيذ عملية في ٢ فبراير 2014م على إسرائيل حيث أطلقت صاروخاً على مدينة إيلات الإسرائيلية.

فهذه الجماعات ترى أن محاربة العدو القريب أولى بكثير من محاربة العدو البعيد، بدعوى أن الله عز وجل تحدث في أغلب آيات القرآن الكريم عنهم على اعتبار أنهم أشد خطراً من الكافرين الأصليين.

تستشهد هذه الجماعة في ذلك بأن خليفة رسول الله (ص) أبا بكر الصديق قدم محاربة المرتدين على فتح القدس التي فتحها من بعده عمر بن الخطاب؛ فهؤلاء يرون ضرورة تحرير القدس ولكنهم في ذات الوقت ذاته يرون أن تحقيق ذلك لن يحدث إلا بعد التخلص من أصنام المنافقين، أو من يطلقون عليهم الأعداء القريبين الذين يتحكمون في العالم الإسلامي ويعتبرونهم استعماراً داخلياً وهو أولى بالمحاربة من الاستعمار الخارجي ممثلاً في اليهود وأعوانهم.

على كل الأحوال، مرحلة المواجهة الأخرى على أرض سيناء بدأت باختطاف الجنود السبعة في مايو 2013م بهدف الضغط على الرئيس السابق / محمد مرسي؛ من أجل عدم التصديق على حكم الإعدام الصادر بحق ١٤ من قيادات جماعة التوحيد والجهاد، وهم أئمة الجهاديين وشيوخهم في سيناء وأعضاء التنظيم الذي تحول بدفته في مرحلة تكوين جيني جديد وسمى نفسه فيما بعد بأنصار بيت المقدس، واحتفظ بعلاقات متوازنة مع تنظيم القاعدة ومع الدولة الإسلامية في العراق والشام رغم تباين رؤى كلا التنظيمين واختلافهم، ويبدو أن تأخر أنصار بيت المقدس في إعلان مبايعتهم للخليفة إبراهيم والمكنى بأبي بكر البغدادي وراءه أن التنظيم في مصر لا يريد أن يخسر تنظيم القاعدة الذي يمثل له سنداً قوياً، وقدم دعماً لوجستياً له، وربما حالة عدم الحسم هذه مقصودة على الأقل في ظل الاختلاف الواضح بين القاعدة والدولة الإسلامية، والذي دفع الأخيرة

للتهجم على نفسها المتحدث باسمها أبو محمد العدناني والذي وصل لحد وصف أيمن الظواهري بالرجل الخرف وأنه خرج عن أي مضامين إسلامية في تحركاته مطالباً إياه بمراجعة نفسه.

كان الهدف من اختطاف الجنود السبعة الضغط على "مرسي" من أجل الإفراج عن معتقليها؛ وكذلك عدم التصديق على حكم الإعدام كما ذكرنا الصادر في حق قيادات جهادية، وظهر في التسجيل المرئي الذي أصدرته الجماعة على خلفية اختطاف هؤلاء الجنود، ظهر أحد الجنود المختطفين وهو يوجه الشكر لأنصار بيت المقدس ويوجه نداء في ذاته الوقت للرئيس / محمد مرسي بضرورة الإفراج عن معتقلي أنصار بيت القدس والتوحيد والجهاد وهم من كانوا متهمين بالقتل واعترفوا بذلك، وبعضهم كان ينتمي لجماعة التوحيد والجهاد والتي قادت العمل العسكري لفترة ليست بالقصيرة في سيناء.

تلا ذلك استهداف مدرعات القوات المسلحة بعد عزل "مرسي" مباشرة من السلطة، وتوالت العمليات العسكرية للجماعة حتى إسقاط مروحية عسكرية في ٢٦ يناير **2014**م وعمليات أخرى نفصل فيها القول ونستعرض أهمها، متخيلين أن القضاء على أنصار بيت المقدس قد يأخذ وقتاً يخلف وراءه بطبيعة الحال خسائر مادية وبشرية ليست قليلة؛ وإن كنا نظن أن اجترار هذه الأفكار ليس بالعملية السهلة ولا الهينة.

المرحلة الثالثة تمثلت في العمليات العسكرية خارج أرض سيناء، بهدف توسيع دائرة الصراع، فوجدنا من أهم وأشهر هذه العمليات تفجير مديرية أمن الدقهلية في **25** ديسمبر **2013**م والتي أسفرت عن مقتل قرابة **15**مواطناً وإصابة قرابة **130** آخرين أغلبهم من الشرطة.

قبل هذه العملية كانت هناك محاولة فاشلة لاغتيال وزير الداخلية المصري اللواء/ محمد إبراهيم، في ٨ سبمبر **2013**م ، ولكن الجماعة نجحت فيما بعد في اغتيال مساعد وزير الداخلية اللواء/ محمد السعيد، أثناء مغادرته لمنزله في منطقة الهرم بالجيزة من خلال قنصه، وفروا بعدها هاربين غير أنهم أعلنوا مسؤوليتهم فيما بعد.

من أهم عملياتها أيضاً التي قاموا بها خارج سيناء، استهداف مبنى المخابرات العسكرية بالإسماعيلية في 21 أكتوبر 2013م، وهم المسؤولون عن قنص ضابط الأمن الوطني، محمد مبروك في المكان ما بين منزله وعمله بحي مدينة نصر، والمسؤول عن جمع التحريات الخاصة بقضية التخابر التي اتهم فيها "مرسي" كما أنهم قاموا باقتحام القمر الصناعي بحي المعادي في عملية وصفها البعض بأنها نوعية، حيث تجولوا لوقت بأسلحتهم داخل المبنى وقد قاموا بتصوير هذه العملية في مراحلها المختلفة، وعمليات أخرى أعلنوا مسؤوليتهم عنها وأخرى سكتوا عنها دون أن نعرف لذلك سبباً، إلا أننا نظن أنهم قد يصنفونها بأنها عمليات فاشلة أو أن الخلية التي قامت على تنفيذها قتلت، وبالتالي لم يحدث تواصل بينها وبين القيادات حتى تقوم بمهمة الإعلان عن هذه العمليات، وقد ينتظرون لإعلان مسؤوليتهم عنها ولكنهم قد يختارون توقيت الإعلان بعد أن وجهت لهم ضربات أثرت على فعالياتهم، ولذلك يريدون أن يظلوا في المشهد العام، تارة بنجاحهم في تنفيذ عملية وتارة أخرى بإعلان مسؤوليتهم عن تنفيذ عملية قديمة حتى يظلوا في الصدارة وكثيرة هي العمليات التي تأخروا في إعلان مسؤوليتهم عنها.

لا يمكن حصر كل العمليات التي تقوم الجماعة بتنفيذها نظراً لتصاعد وتيرة الأحداث وتجدد الاشتباكات ووقت صدور الكتاب؛ فتلاحق الأحداث يمنع.

....

وإن عدتم عدنا

من أول التسجيلات المرئية التي كشفت أنصار بيت المقدس من خلالها عن عملياتها وتحركاتها وقد كان التسجيل عبارة عن توعد بتنفيذ عمليات، وقد بدا ذلك من اسمه " وإن عدتم عدنا " وقد حاولوا إظهار قدراتهم اللوجستية من خلاله، كما حاولوا الكشف عن جزء من منهجهم.

رغم أن مدته تقريباً لا تزيد على ثلاثين دقيقة، فإن الصورة لم تكن على قدر كبير من الوضوح مثل باقي التسجيلات المرئية التي خرجت عن التنظيم فيما بعد ولعلّ السبب في ذلك البداية، فلم يكن التنظيم يستخدم هذه التقنية من قبل، كما أن شيوخهم لم يعتمدوها قديماً وهم حديثو عهد بها ونظن أنهم تعلموا أثناء سفر بعضهم لمناطق الصراع بالخارج بخاصة في العراق وأفغانستان وسوريا، ولعل الدولة الإسلامية في العراق تستخدم هذه التقنية بشكل كبير ومتطور أيضاً، وما يؤكد وجود علاقة وصلة بين هذا التنظيم والدولة الإسلامية في العراق والشام أو من أطلقوا على أنفسهم الخلافة الإسلامية، نشر هذه التسجيلات على منتدياتهم ومواقعهم الجهادية التي تبث من العراق أو خارجها ولكن بمعرفة عراقيين وبإشراف الدولة الإسلامية في العراق.

تميز التسجيل المرئي "وإن عدتم عدنا " ذاته رغم رداءة الصورة نوعاً ما بوجود تقنيات تصوير حديثة وكاميرات تصوير ليلية، والهدف منها تسجيل لحظة انفجار خطوط الغاز أو لحظة زرع المتفجرات، وكلاهما كان يحدث في عتمة الليل وقبل بزوغ ضوء الفجر، ويبدو أن تجربة الجهاز الإعلامي للتنظيم لم تكتمل بعد كما وجدناها في العمليات التالية؛ فقد كانت هذه العمليات بداية للتنظيم في طوره الجديد، كما كانت فكرة التصوير نفسها واستخدام هذه التكنولوجيا جديدة هي الأخرى، ولكنهم استطاعوا تطوير هذه التكنولوجيا فيما بعد بما يدل على أنهم تلقوا دورات تدريبية أتاحت لهم التفوق إعلامياً، كما أنهم كانوا يعتمدون على الشباب في ذلك بما يملكون من قدرات تكنولوجية هائلة.

خصص " وإن عدتم عدنا " الذي ظهر في النصف الأول من عام **2011**م لتبرير ضرب محطات وخطوط الغاز وإيصال رسالة ولعلها كانت الرسالة الأولى للتنظيم أن الهدف كما قالوا ليس التخريب وإنما حفظ ثروات البلاد وحقوق العباد وهي ذات الرسالة التي يحاولون التأكيد عليها في كل تسجيل لهم بأشكال مختلفة.

ورغم أن "الجماعة" أعلنت في هذا التسجيل " إنها كانت حريصة كل الحرص ألا يصاب أحد في العمليات التي تقوم بها " فإنها أردفت قائلة عبر التسجيل الذي خرج عبر اللجنة الإعلامية التي

شكلتها والتي أشرفت على هذا التسجيل وغيره من التسجيلات المرئية التي خرجت بواسطتها: "وقد وفقنا الله لذلك " إلا أنهم أعملوا القتل فيما بعد وبشكل عشوائي ضد ضباط الشرطة والقوات المسلحة وأصبح ضحاياهم من الأبرياء سواء مدنيين أو أفراد من الشرطة الداخلية والقوات المسلحة أيضاً، صادف وجودهم في الخدمة الأمنية لحظة الاستهداف وربما لا يعرفون الكثير عن هذا التنظيم ولا طبيعة صراعه مع أجهزة الأمن، غير أن أنصار بيت المقدس وصفوهم بأنهم جزء من جيش الردة وشرطة الطاغوت وأعوانه وزادوا على ذلك بأنهم حذروا المواطنين من المرور أمام أقسام الشرطة لأنها مستهدفة إمعاناً في القتل والاستهداف بشكل عشوائي، بل وجدنا الجماعة توجه نداءات للشعب المصري بضرورة سحب أبنائهم من التجنيد في الجيش أو العمل في الشرطة والجماعة كانت تعتبر هؤلاء الجنود صيداً ثميناً وهدفاً يرجى ضربه في كل مكان وسخرت كل إمكاناتها من أجل ذلك.

حاولت أن تبرئ نفسها في ذات التسجيل المرئي بالقول: " ليس من أهدافنا قطع الغاز على أحبائنا في العريش أو المصانع الموجودة في سيناء " معللة أن الهدف هو ضرب المصالح الإسرائيلية على أرض الفيروز وهو ما لم يكن صحيحاً بديل أن ضرب الغاز صار أربع عشرة مرة وليست مرة واحدة وبالتالي أثر ذلك بشكل كبير على مصالح من أسمتهم " أحبائنا " واتجاه التنظيم فيما بعد لضرب الشرطة الداخلية والقوات المسلحة؛ فالأمر كان كاشف للأفكار التي استندت عليها هذه الجماعة، فلم يكن تحرير فلسطين وضرب إسرائيل هو منهج التنظيم في طور النشأة الجديد بدليل مسماه "أنصار بيت المقدس" وتحوله فيما بعد لضرب الأجهزة الأمنية الداخلية في مصر.

كما بررت إقدامها على هذه العمليات من خلال كلمات لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري التي تكررت فيما بعد في أغلب التسجيلات المرئية لها، بما يدلل على وجود أصل على العلاقة التنظيمية والعضوية وليست الفكرية فحسب وهي علاقة الجندي بأميره، والذي قال فيها: "إن مجرد إمداد إسرائيل بالغاز جريمة حتى وإن كان بأعلى من سعر السوق، فما بالنا أنه يصل لإسرائيل بأقل من سعر السوق، إذاً فهي جريمة مركبة بدأها حسني مبارك واستمر فيها المجلس العسكري الحاكم "

وكان يقصد بالمجلس العسكري أثناء المرحلة الانتقالية التي كان يحكم فيها، وقد خرج التصوير المرئي في هذه الأثناء.

كانت عمليات الاستهداف هذه تتم في المرحلة الانتقالية أثناء حكم المجلس العسكري بعد خلع "مبارك" من السلطة في ١٢ فبراير **2011**م وتوقفت بعد التفاهمات التي أقامتها جماعة الإخوان المسلمين مع تنظيم أنصار بيت المقدس أثناء تولي" مرسي " مقاليد الحكم في البلاد، بهدف عدم تنفيذ عمليات في عهده من خلال تنفيذ رغبات هذا التنظيم ومحاولة إقناعهم أيضاً أن إقامة الدولة الإسلامية تتم عبر مراحل زمنية وبالتال لا يوجد مبرر لجهادهم.

عرض التسجيل المرئي صوتاً آخر للظواهري قال فيه: " أما التحية فهي للأبطال الذين فجروا أنبوب الغاز لإسرائيل للمرة الخامسة، هؤلاء الأبطال الذين يعبرون حق التعبير عن كرامة الشعب المصري المسلم المرابط، الأمر الثاني الذي أود أن أنبه عليه إخواني المسلمين في مصر، أننا لايمكن أن نقف مكتوفي الأيدي للمساعي اليهودية لتهويد القدس في تزايد وتسارع وحكومات البلاد العربية والإسلامية بوضعها الحالي لا يمكنها أن توقف تهويد القدس، بل إن كثيراً منها يساعد على ذلك، ولذلك فلابد لكل حر شريف أن يسعى لإيقاف تلك الجريمة، وإذا كان حسني مبارك زعيم الصهاينة العرب كما ذكرت من قبل، فإنه قد خلف من ورائه رجاله في المجلس العسكري ليكملوا المهمة ".

عرض في نفس التسجيل والمرئي مقطع آخر للظواهري قال فيه: " ولأني أنتهز هذه الفرصة لأحيي الأسود البواسل الذين فجروا أنبوب الغاز للمرة الثالثة عشر، من أسود لا تنامون على الضيم ولا تقبلون بالذل ولا ترضون أن تسلموا ثروات المسلمين لأعدائهم، فامضوا على طريق الجهاد واحتسبوا، واحسبوا ما تلقونه في سبيل الله، الذي لا يضيع أجر العاملين قدوة لكل حر شريف غيور على الإسلام في مصر الإسلام والجهاد ".

واضح أن الظواهري بعث برسائله على فترات ولكنها ظلت حبيسة أو نشرت على المواقع الجهادية، ولكن الجماعة رأت أنه من الواجب جمعها في تسجيل واحد وكأنها تريد إيصال رسالة أننا جزء من تنظيم القاعدة وهي نفس الرسالة التي يريد الظواهري إيصالها لهذه الجماعة أننا نرحب بكم في التنظيم، فما يترك مناسبة إلا وينتهز الفرصة لتوجيه التحية، ولا يخرج تسجيل للجماعة إلا وتحاول أن تنتهز الفرصة هي الأخرى لنقل كلمات مسجلة للظواهري أو قادة القاعدة عموماً.

يؤكد تنظيم أنصار بيت المقدس في نهاية التسجيل المرئي أنهم ماضون في طريقهم للقضاء على إسرائيل وأنهم نجحوا بفعل ضرب خطوط الغاز في إيقاف تصديره لمدة عام كامل، في حين لم تفلح أي محاولات أخرى وباءت كلها بالفشل مثل الأحكام القضائية وغيرها من ضغوط الثوار وقتئذ، بما يؤكد أن المقاومة بأفواه البنادق أعظم تأثيراً وفعلاً من المقاومة بأفواه البشر الذين لم يستطيعوا أن يغيروا شيئاً أمام الإصرار على إخراس الأفواه والبنادق معاً.

وإذا كان هذا منطق أنصار بيت المقدس فلا بد أن نذكر في نفس السياق أيضاً أن هذه الجماعة اتفقت مع "الإخوان" على وقف عملياتها ضد إسرائيل عندما وصل "مرسي" للسلطة مقابل تحقيق مطالبهم بإقامة الدولة الإسلامية، ورسالتهم لها أننا نفعل لكم ما تريدون ولكن عبر مراحل، وبالتالي لا فائدة للعمل العسكري.

حاول " مرسي " تقريب وجهات النظر وإبداء حسن النية من خلال الإفراج عن قياداتهم بعفو رئاسي أو إعادة محاكمتهم بهدف الإفراج عنهم في النهاية، والأدلة على ذلك عدم تصديق الرئيس آنذاك على حكم الإعدام على ١٤ في **2012**م من قياداتهم حتى عزله عن السلطة في **3** يوليو **2013**م.

يذكرنا شعار هذا التسجيل بما كان يردده المتهمون بممارسة العنف في التسعينات من القرن الماضي والتي بدأت بقتل الرئيس الأسبق / محمد أنور السادات في عام 1981م، فعندما كان يسأل هؤلاء المتهمون أثناء التحقيق حول عودتهم للعنف مرة ثانية، كانوا يردون أن العنف الذي نمارسه رد فعل على جرائم السلطة تجاهنا، ويتصدر كلامهم عبارة "وإن عدتم عدنا" فعنف هذه التيارات مرتبط بعنف الدولة وأجهزتها الأمنية، وهذا الكلام غير صحيح على إطلاقه، فإذا كانت التنظيمات الدينية في مصر قتلت لأنها قتلت، فما بال قتل الرئيس / أنور السادات، في أوائل الثمانينيات وقد كان مقتله بهدف إقامة الدولة الإسلامية والانقلاب على السلطة ولم يضطهد هذه التنظيمات، بل عاشت في كنفه لفترة طويلة وقام برعايتها!.

****

غزوة التأديب لمن تطاول على النبي الحبيب

أعلنت أنصار بيت المقدس في 25 يوليو 2012م، مسؤوليتها عبر تسجيل مرئي بثته على موقع اليوتيوب عن عمليات تفجير خط الغاز الذي تصدره مصر لإسرائيل في ذلك الوقت، وتم تفجير هذا الخط قرابة 14 مرة، ثمّ توقف ضرب خط الغاز باتفاق مع القيادة السياسية آنذاك وكان غير معلن، ولم تطلق رصاصة من وقتها رصاصة واحدة، ولم يحدث أي تفجير للخط الذي استهدف الأنبوب 14 مرة حسب تعبير الظواهري قبل أن يتم عزل " مرسي " من منصبه.

في أغسطس 2012م أعلنت أنصار بيت المقدس مسؤوليتها عن إطلاق صاروخين من طراز جراد على منتجع إيلات السياحي جنوب إسرائيل.

قالت إن سبب الإقدام على هذه العملية: "وضلوع بني يهود في التطاول على النبي الحبيب"، وقد تمت أحداث العملية عند النقطة رقم ٤٦ بالقرب من قرية الجايفة بمنطقة خروف جنوب معبر العودة بقرابة 25 كيلو متراً.

كان هدف العملية استهداف دورية من دوريات الجيش الإسرائيلي والإجهاز عليها واستخدموا في ذلك السلاح الشخصي وقاذفاتRPGوقنابل يدوية وأحزمة ناسفة.

تم تنفيذ العملية عبر ثلاثة أشخاص من أنصار بيت المقدس، وأعلنت أنصار بيت المقدس تبنيها بعد ذلك للعملية في 21 من سبتمبر 2012م الموافق 5 من زي القعدة 1433هـ.

تبدو أهمية هذه العملية من كونها أولى العمليات التي قامت بها ضد إسرائيل قبل أن تغير استراتيجيتها فيما بعد، ومنفذو الهجوم كانوا ثلاثة أفراد فقط، قائد المجموعة كان يدعى – عوف –، أما بقية أفراد المجموعة، فهما أحمد وجيه، وبهاء زقزوق.

وكانت خسائر التنظيم كما أفاد أنصار بيت المقدس، ٨ قتلى إسرائيليين، بعد هذه العملية دخلت طائرات إسرائيلية وضربت بعض أعضاء التنظيم عبر طائرة بدون طيار للانتقام من منفذي

العملية، وقد نجحوا في الوصول لبعضهم بمعاونة بعض العملاء لهم التي تمكنت الجماعة من اصطيادهم فيما بعد وقامت بتصفيتهم جسدياً.

الهدف غير المعلن من وراء العملية، القصاص لدماء أهالي سيناء ومذابح فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة، التي أقامهما الإخوان وأنصارهما بعد عزل / محمد مرسي من السلطة في3 من يوليو 2013م، رغم أن الجماعة أطلقت على العملية اسم "غزوة التأديب لمن تطاول على النبي الحبيب"، وقد استخدمت أنصار بيت المقدس لفظ جيش المرتدين وشرطة الطغاة على القوات المسلحة والشرطة الداخلية، وهذه المبررات طرحتها جماعة أنصار بيت المقدس في التسجيل المرئي لتنفيذ هذه العملية وغيرها، ووضعوا علامات استفهام حول حماية الأجهزة الأمنية في مصر للحدود الفاصلة بيننا وبين إسرائيل.

****

غزوة الثأر لمسلمي مصر

من أهم العمليات المؤثرة التي قامت أنصار بيت المقدس بتنفيذها منذ نشأة التنظيم، حيث حاولت معها تفجيرموكب وزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم والتي أطلقت عليها غزوة الثأر لمسلمي مصر وكانت هذه العملية في 5 سبتمبر 2013م وكانت هذه العملية رقم 1 بين نفس العمليات التي أخذت الثأر لمسلمي مصر، وإجمالي هذه العمليات 4.

التسجيل المرئي الذي نشرته الجماعة فيما بعد مدته ثلاثون دقيقة وكأنها تريد أن توضح علاقتها بتنظيم القاعدة والتيارات الجهادية كافة وهي تشدد على هذه العلاقة في أغلب بياناتها، فقدمت لذلك بكلمة مسجلة لأسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة المتوفى، والذي قال فيها: " فالجيوش العربية والقوات العسكرية جميعاً للعواصم الإسلامية قد أصبحت أدوات في يد أعداء الأمة من داخلها أو من خارجها أو من كليهما معاً، فيحرم الدخول فيها وقد بدا ذلك واضحاً أيضاً في حرب غزة الأخيرة حيث شاركت قوى عسكرية عربية في محاصرة أهلنا في غزة من جانب رفح مناصرة لليهود، بينما تقوم جيوش دول الجوارالأخرى بمنع المجاهدين من نصرة إخوانهم المجاهدين في فلسطين".

وكأن أنصار بيت المقدس تريد تبرير العملية العسكرية التي استهدفت فيها موكب وزير الداخلية، وكأنها تبرر أيضاً للرأي العام أقدامها على ضرب رجال الأمن سواء الذين ينتمون للشرطة أو القوات المسلحة وهو ما جعل " بن لادن " يفتي بحرمة دخول هذه الجيوش والعمل فيها التي قال عنها إنها أصبحت أدوات في يد أعداء الأمة.

كلمة أيمن الظواهري التي وضح فيها طبيعة وشكل الصراع وضعتها أنصار بيت المقدس مقدمة قبل إذاعة وصية الرائد في الجيش المصري،وليد بدر، الذي قام بتنفيذ العملية والتي أشار فيها عبر التسجيل المرئي بأن الصراع حتمي وأنه صراع بين الحق والباطل وليس صراعاً سياسياً كما يظن البعض.

قال الظواهري في نفس التسجيل المرئي: " لقد تغافلنا عن أمرين في الصراع أولهما الطبيعة العقدية في الصراع إنه صراع بين الكفر والإيمان، بين التسليم للحاكمية لله سبحانه وتعالى أو التسليم بها لغير الله، وليس صراعا بين أحزاب سياسية تجمعها الرابطة الوطنية، والأمر الثاني الذي تغافلتم عنه هو الطبيعة الواقعية للصراع، هو ليس صراعاً بين أحزاب وطنية والإسلام من جهة مقابلة، ولو كنتم من أول الثورة وجمعتم كل العاملين للإسلام على مطلب تحكيم الشريعة وعلى مطلب مقاومة التطبيع لإسرائيل وعلى مطلب التخلص من القضاء الفاسد والسلطة العسكرية المتأمركة بقايا مبارك، لو كنتم جمعتم الجماهير على ذلك واستمررتم في الثورة حتى تحقيق هذه المطالب، فماذا كنتم ستخسرون؟ فما كنتم ستخسرون شيئاً، بل كنتم ستكسبون رضا الله وثباتكم على عقيدة الإسلام، ماذا كانوا سيفعلون بكم؟ هل كانوا سيمنعونكم من الحكم؟ ها هم قد خلعوكم منه، هل كانت أمريكا ستسخط عليكم؟ ها هي قد سخطت، هل كانوا سيعتقلونكم؟ ها هم يعتقلونكم وهل كانوا سيسفكون دماءكم ؟ ها هم يسفكونها، ويحرقون ويعتدون على المساجد، هل كنتم ستفقدون تأييد الدول لكم؟ ها هي قد اجتمعت ضدكم؟ هل كان العسكر سيعادونكم؟ها هم ينقلبون عليكم، ويضربونكم بالقوة، أنا لا أقول ذلك شماتة بأحد معاذ الله ولكنني أصف الداء لأصل لوصف الدواء.

ولا عجب أن يتم الاستشهاد بكلمة لأسامة بن لادن وأيمن الظواهري، فقد استشهدت الجماعة فيما بعد بكلمة أيضاً لأبي مصعب الزرقاوي، أحد زعماء تنظيم القاعدة أيضاً في التسجيل المرئي الذي نشروه عقب تنفيذ عملية ضرب مبنى المخابرات الحربية بإنشاص الرمل في ديسمبر **2013**م جاء فيها: " ولتعلم الدنيا بأكملها أن منهجنا لا يقبل الرق ولا يرضى أن يباع في سوق المساومات، سنبقى ماضين بعون الله مهما طال الطريق واشتدت اللأواء ومهما تكاثر العملاء، فالقضية أنه رب العالمين والثمن جنة الفردوس، فمن لم يسمعه صرير الأقلام وصدى زئير الكلام فيسمعه صرير السيوف، وإذا تلعثمت الشفاه تكلمت منا الجراح ".

لم يكن غريباً أن يخرج الرائد وليد بدر والملقب بغريب والذي قام بتنفيذ عملية محاولة اغتيال وزير الداخلية ليؤكد صحة منطلقاته التي دعا إليها من خلال تنظيمه وفشل منهج التيارات الإسلامية، بدءاً من منهج جماعة الإخوان المسلمين وانتهاءً بالسلفيين على حد قوله في التسجيل المرئي: " إن الإسلام الذي دعت إليه التيارات الإسلامية عبر الانتخابات الديمقراطية ليس الإسلام الصحيح وإنما إسلام المسخ المشوه ليس فيه من الإسلام شيء سوى اسمه، وليعلم كل مسلم غيور على دينه أن له إخوة موحدين لم يرضوا على هذه المهزلة المسماة بالإسلام الديمقراطي، ولم يلهثوا خلف منصب أو حزب ولم يتنازلوا عن ثوابت دينهم من أجل مصلحة مزعومة أو متوهمة بل كنا وما زلنا ننصح الإخوان المسلمين والسلفيين باتباع منهج الرسول والصحابة والتابعين والبعد عن سبل قد ابتدعها الغرب وأراد أن يدخلها علينا ليفسد بها ديننا ولكن هيهات هيهات، يقول الله تعالى:"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" الصف الآية 8. نبشركم بنصر الله لو اتبعتم صراطه المستقيم ونهجه القويم بقول الله تعالى: " وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج الايه 40)، أما قيادات التيارات الإسلامية فأقول لهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، مصابنا فيكم جلل، لقد لبستم على الناس دينهم ولم تصلحوا لهم دينهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، كفانا مداهنة، لقد داهنتم الجيش فانقلب عليكم وداهنتم الغرب فانقلب، فلم ينصركم وداهنتم العلمانيين المحاربين لدين الله فلم يرضوا عنكم كفاكم عبثاً، قولوا قولة حق تموتون عليها أو تبقون ما بقي في العمر ثمناً لقول الحق أم أن تستمروا في سلسلة التنازلات المقيتة، فالأفضل لكم أن تلزموا بيوتكم خيراً لكم، أما شباب التيارات الإسلامية أقول لهم لقد أعلن الجيش المصري الحرب على ديننا فقتل الكثير من المسلمين وأسر الكثير واعتدى على بيوت الله وقد كان " السيسي " يظن أنكم ستثأرون لدينكم، فقد قام بزيادة تحصين وحدات الجيش والشرطة تحسباً لردة فعل منكم، إلا أنه لم يجد سوى الهتافات والصيحات والصدور العارية فكنتم فريسة سهلة له، قتلاً وأسراً وتعذيباً وتنكيلاً، لماذا تستحون من المواجهة المسلحة، فمن الناحية العقلية، فلابد من مواجهة الحديد بالحديد والنار بالنار، ومن الناحية

الشرعية فقد قالها النبي وهو مستضعف في مكة: أتسمعون يا قريش والله لقد جئتكم بالذبح، ولم يقل صلى الله عليه وسلم إنني جئت مسالماً أو أن دعوتي سلمية أبداً، هذا هو ديننا: " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ".

****

غزوة الثأر لمسلمي مصر 2

كان الهدف من هذه العملية استهداف مديرية أمن جنوب سيناء والمفهوم من جراءضرب هذه المديرية أو توجيه ضربة لهذه المحافظة الهادئة هو توسيع دائرة الصراع مع القوات المسلحة والأجهزة الأمنية في العموم، فمعروف أن الصراع في محافظة شمال سيناء ولم يكن في جنوبها، فمحافظة جنوب سيناء تحوي مدناً سياحية خلابة وسكانها يختلفون تماماً عن الشمال، وكانت تحاول أجهزة الأمن أن تحافظ على هذا الهدوء حتى لا يمتد الصراع إليها، إلا أن الجماعة أرادت أن تشتت أجهزة الأمن وتوسع دائرة الصراع كما ذكرنا على أكبر نطاق.

صدرت جماعة أنصار بيت المقدس عبر التسجيل المرئي الذي أعلنت من خلاله مسؤوليتها عن الحادث بصوت قالت عنه إنه لأبي عمر البغدادي في محاولة لتبرير أسباب إقدامها على هذه العملية.

يقول البغدادي عبر تسجيل صوتي: "سرقوا أموالكم ويشاركون في قتل إخوانكم، كسروا عروشهم وأزيلوا سلطانهم، حطموا جبروتهم وطغيانهم، فالسلاح السلاح والقتال القتال للخروج من مأزق الذُل... ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ما أخذ بالانقلابات العسكرية والانتخابات الشركية المزورة لا يسترد إلا بأفواه البنادق، فالصدق الصدق مع الله والنفس".

واستشهدت أنصار بيت المقدس في نفس التسجيل المرئي بكلمة لمن قالوا عنه إنه العلامة، أحمد شاكر، أحد كبار علماء الأزهر الشريف قال فيها: " ألا فليعلم كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أنه إذا تعاون مع أعداء الإسلام مستعبدي المسلمين من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم بأي نوع من أنوع التعاون أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلاً عن أن ينصرهم بالقول أو العمل فهم على إخوانهم في الدين، إنه إن فعل شيئاً من ذلك ثُمَّ صلى فصلاته باطلة أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل أو صام فرضاً أو نفلاً فصومه باطل أو حج فحجه باطل، أو أدى زكاة مفروضة أو أخرج صدقة تطوعاً فزكاته باطلة مردودة عليه، ليس له في شيء، من

ذلك أجر، بل عليه فيه الإثم والوزر، ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله من كالعبادة تعبّد بها لربه، مثل أن يرتكس في حمأة هذه الردة التي رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم يؤمن بالله وبرسوله ".

والأعجب أن الجماعة نقلت في هذا التسجيل مقاطع لأيمن الظواهري قال فيها: " لقد عادت العسكرية العلمانية للحكم بعد سنة من الحكم من خلف الستار، تلك العلمانية التي جلبت علينا أسوأ الكوارث في تاريخنا المعاصر، فهي التي جلبت هزيمة عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين، ونكسة عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، وهي التي حولت صيحات الجنود في حرب عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، إلى استسلام وتطبيع مع إسرائيل، وهي التي مكنت أمريكا من حكم مصر وزرع القواعد والسيطرة على مقدراتها.

وها هي تعود مرة أخرى لتمكين أمريكا وإسرائيل من حصار غزة وضرب المقاومة الجهادية ضدها، إن مجرد مجزرة رابعة والنهضة والحرس الجمهوري واعتقال الآلاف وقصف المجاهدين بطائرة بدون طيار في سيناء حلقة من مسلسل طويل من الذل ينتظر المصريين، إذا لم يتحدوا حول كلمة التوحيد ليحكموا الشرعية وليعيدوا التحرير لبلادهم وفلسطين وليطهروا أرضهم من الفساد".

يقول منفذ العملية أبو هاجر محمد حمدان السواركة، بطل التسجيل المرئي والذي تدور أحداثه حول العملية التي قام بتنفيذها: " إنه قام بتنفيذ هذه العملية قربة لدين الله عز وجل، والثأر لإخواننا المجاهدين الذين قتلوا على يد الطواغيت والكفرة والمرتدين ".

يقول في نفس التسجيل المرئي قبل تنفيذ العملية: " أبشركم أن الخلافة قادمة لا محالة كما قال رسول الله (ص)، سوف تأتي على منهاج النبوة وسكت صلى الله عليه وسلم، ثم قال (ص) : " ما زالت طائفة من أمتي يقاتلون على هذا الدين لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم ".

يستشهدون في نفس التسجيل بأبي مصعب الزرقاوي، رجل القاعدة، الذي ينقل عن ابن تيمية قوله: " اعلموا–أصلحكم الله – إن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً أن أحياه الله في هذا

الوقت الذي يجدد الله فيه الدين ويحيي فيه شعار المسلمين وأحوال المؤمنين والمجاهدين حتى يكون شبهاً بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان، فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحة كريمة، منحة كريمة من الله تعالى وهذه الفتنة التي باطنها نعمة جسيمة حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضرين في هذا المكان لكان أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين ولا يفوت مثل هذه الغزوة إلا من خسرت تجارته وسفه نفسه وحرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة ".

يقول ، أحمد وجيه، أحد منفذي الهجوم: " كنت من الإخوان المسلمين وكنت أثق في قياداتهم تمام الثقة ولم أكن أتخيل أبدا أنه يمكن أن تضللنى هذه القيادة ؛ تربيت في أحضانهم وأنا صغير وكنت أردد معهم الله غايتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، وعندما كبرت وكانت لهم زمام الأمور أدركت أنهم لا يفعلون ما يقولونه ".

نتائج العملية، ثلاثة قتلى وقرابة ٤٨ مصاباً ، فهدوء المحافظة بخلاف شمال سيناء والاستعدادات الأمنية التي تبدو أقل في الشمال كان سبباً في نجاح العملية وزيادة أعداد المصابين.

ويأتي تفجير مبنى المخابرات الحربية بمنطقة إنشاص الرمل التابعة لمحافظة الشرقية في 29 ديسمبر عام 2013م ضمن السلسلة الثالثة لـ " غزوة الثأر لمسلمي مصر " لحق بها مباشرة ضرب مديرية أمن الدقهلية بمدينة المنصورة لتصبح هذه السلسلة أربع عمليات عسكرية.

****

غزوة الثأر لمسلمي مصر 4

هو عبارة عن تسجيل مرئي ضعيف للغاية خاص بتفجير مديرية أمن الدقهلية والذي حدث في ٢٥ ديسمبر 2013م وأسفر عن مقتل قرابة ١٥ من أفراد الشرطة وإصابة العشرات؛ فالمسافة بين تنفيذ العملية وخروج التسجيل المرئي قرابة أربعة أشهر، فلم ينشر هذا التسجيل إلا في 10أبريل 2014م بما يدل على فقر التنظيم خاصة وأن التسجيل لم يحتوِ على أي جديد غير الرسالة التي أراد التنظيم إيصالها، وهي أننا موجودون رغم الضربات الأمنية التي وجهت إلينا، فضلاً على الترغيب في الانضمام فيما أسموه جيش الشهداء، ويبدو أن نشر هذا التسجيل غير المعد له كان بهدف الرد الإعلامي من قبل أنصار بيت المقدس على الرد الأمني لأجهزة الأمن وهم يدركون أن التسجيل ضعيف رغم قوة العملية أمنياً فضحاياها كانوا خمسة عشر من القتلى، ولكنهم على ما يبدو كانوا في احتياج لنشر هذا التسجيل.

فمقتل هذا الكم الكبير من الضباط والجنود كان مفاجئاً لأجهزة الأمن، وفي محافظة الدقهلية التي لا يظن أن تقوم الجماعة بتنفيذ عمليات فيها، وإن ذهب البعض أن هذه العملية كانت رد فعل على قتل هالة أبو شيعشع، إحدى المتظاهرات المطالبات بعودة " مرسي " للسلطة ضمن تظاهرة نسائية للإخوان، وكان ذلك في ١٩ يوليو 2013م فالاعتداء على السيدات أكثر ما يؤلم هذه التنظيمات وكثيراً ما يكون ردها عنيفاً وكان ذلك ظاهراً في سيناء، عندما كانت هناك حملة اعتقالات ضمت النساء، فتحركت الحمية القبلية هناك والتي لا تقبل الاعتداء على النساء أو حتى الاقتراب منهن، وما حدث في التسعينيات من القرن الماضي من القبض عليهن بهدف الضغط على المطلوبين لتسليم أنفسهم في كل هذه الحالات كانت ترد التنظيمات الجهادية بقوة من خلال عمل عسكري، ويبدو أنها ردت على مقتل " شيعشع " والاعتداء على التظاهرة النسائية في أقل من شهرين في نفس المحافظة.

حوى التسجيل المرئي على صور إعداد المتفجرات وصور أخرى لمنفذ العملية ويدعى، أبا مريم إمام مرعي محفوظ، ومقتطفات لتسجيل صوتي قيل إنه لأبي حمزة المهاجر وأبي عمر البغدادي، فضلاً عن تسجيل مرئي لوصايا أبي مريم، منفذ العملية سواء قبل تنفيذ العملية في مكان كان معداً للتسجيل أو أثناء، قيادته للسيارة في طريقه لتفجير مديرية الأمن.

ظهر في بداية التسجيل المرئي صورة لمديرية أمن الدقهلية وكتب على الصورة المرئية حماية القانون الوضعي المنازع لحكم الله واعتقال حرائر المسلمين واقتحام بيوت الآمنين وارتكاب المجازر بحق المتظاهرين، وكأن أنصار بيت المقدس تبرر أسباب إقدامه على تنفيذ هذه العملية.

والسؤال الذي يطرح نفسه في البداية، لماذا تأخرت الجماعة في خروج التسجيل المرئي طيلة الفترة الطويلة والتي امتدت لأكثر من أربعة أشهر، وأرجح الأقوال، أن هذا التأخير سببه إما الانشغال بعمليات أخرى أو محاولة إيصال رسالة فحواها أنهم ما زالوا أقوياء رغم ما وجه لهم من ضربات قوية بعد هذه العملية سواء في سيناء أو غيرها من المحافظات الأخرى التي هرعوا إليها من جحيم النار والقصف الذي تعرضوا له، أو أن السرية التي قامت بتنفيذ العملية لم تتمكن بعد من نشر الفيديو الخاص بالعملية واضطرت لذلك بعد أن فقدت قوتها في ظل التحصينات الأمنية في الفترة التي تلت هذه العملية وغيرها من العمليات.

ومن المعروف أن مدينة المنصورة قتل فيها عدد من السيدات والفتيات أثناء التظاهر للمطالبة بعودة مرسي للسلطة مثل " هالة أبو شيشع " والتي أصبحت رمزاً للمتظاهرين فيما بعد، وأيضاً للتيارات الجهادية التي وجهت رأس حربتها ضد الشرطة والجيش بسبب الاعتداء على المتظاهرين عموماً وبخاصة الفتيات منهن.

من الإشارات المهمة في التسجيل المرئي أن أنصار بيت المقدس كتبت على صورة منفذ العملية، أنه كانت له صولات وجولات ضد من أسمتهم بالمرتدين في مصر وقد أصيب بطلق ناري في أحداث رمسيس التي أعقبت فض اعتصام رابعة العدوية والتي حدثت في **14**أغسطس عام **2013**م

حيث دعت جماعة الإخوان المسلمين لهذه التظاهرة في الجمعة التي تلت فض اعتصام رابعة العدوية بميدان رمسيس.

يقول أبو مريم مؤكداً على الطريق الذي سلكه: كان النبي (ص) في إحدى يديه كتاب يهدي وفي اليد الآخر سيف ينتصر، كما استشهد بقول الرسول (ص) للمشركين عندما كان مستضعفاً في مكة: " والله يا معشر قريش لقد جئتكم بالذبح "، كما قال: " لقد أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ".

قال أبو مريم، إن إقامة الدين لا يمكن أن يكون بالدعوة فحسب كما يرى الناس وإنما بالجهاد؛ وأنهم يحاربون عندما يدعون لحاكمية الله ولم يرفعوا سلاحاً بعد.

مرر أبو مريم عبارات تؤكد ما ذهب إليه بوصف الأجهزة الأمنية بالمرتدة عندما قال: إنهم يسمحون لليهود عرايا آمنين على أرض سيناء، كما يسمحون أيضاً بعبور سفنهم لضرب المسلمين في العراق، كما ضربوا الساجدين في صلاة الفجر، في إشارة لأحداث المنصة والحرس الجمهوري، مطالباً من يسمع نصيحته بضرورة إعلان الولاء والبراء والاعتراف بأن يكون الحكم لله لا لغيره.

يقول أبو مريم: " إن النعيم لا يدرك إلا بالنعيم، في قصده لنعيم الجنة وأنه حرم من زوجته وأبنائه وأولاده لا زهداً وإنما طمعاً في الشهادة، وأن المحروم الحقيقي هو من حرم من الشهادة وهذا لا يدانيه أن يكون موجوداً مع زوجته وأولاده على ضفاف النيل.

تقدم الجماعة في التسجيل المرئي ومدته قرابة ١٧ دقيقة مبرراً لعملياتها من خلال إذاعة صورة متحركة كتب عليها بحسب ترتيبها، القتل بدم بارد، هدم بيوت الآمنين، انتهاك حرمة البيوت، ترويع الأطفال، التعدي على حرائر المسلمين.

ثم ظهر صوت أبي عمر البغدادي، وهو يقول: " لسنا من يذرف الدموع مثل النساء، فلا كان ولا يكون هذا سبيلنا، فإن دماءنا ترقص على الدين والعرض، ولسنا على الأعقاب تدمى قلوبنا ولكن على أقدامنا تقتطر الدماء.

وظهر ختاماً للتسجيل المرئي صوت أبي حمزة المهاجر وهو يقول بصوت مرتفع: " أبيدوا سيطراتهم، اقتحموا معسكراتهم، اقطعوا أوصالهم، انزعوا أفئدتهم من أجسامهم، اليوم يوم الملحمة، واليوم تمحوا المشأمة، واليوم تسفك الدماء، العرض يشكو المظلمة، واعلموا أن رسول الله (ص) قال: "من قتل دون أهله فهو شهيد " فتعرضوا للشهادة واحرصوا عليها فإن القتل في سبيل الله غاية، ما زلنا نتشدق بها.

ثم يظهر صوته وهو يقول: "ما أعظم من هذه بيعة، فيا قوافل الشهداء انطلقي على بركة الله، حولي سيطراتهم ناراً ومعسكراتهم دماراً ودمائهم أنهاراً ".

اعتذرت الجماعة عن تسجيل لحظة الانفجار لأسباب أمنية واكتفت بتصوير مديرية أمن الدقهلية قبل الانفجار وبعده، حتى يوضح التسجيل المرئي مع أخواته من التسجيلات الأخرى في انتظار عملية جديدة لا يعرف أصحابها مكاناً لها ولا تعرف الأجهزة الأمنية إلى أي دفة سوف تتحرك.

تظل العملية الأمنية التي قامت بها أنصار بيت المقدس ضد مديرية أمن الدقهلية هي الأقوى والأكبر بين كل العمليات التي تلتها؛ نظراً لضخامة الخسائر البشرية ومباغتتهم بضرب المديرية في محافظة ما كانت تظن أجهزة الأمن أن الصراع لن يمتد إليها، وهو ما دفع أجهزة الأمن بتحصين مقراتها الأمنية فيما بعد وهو ما حال دون تنفيذ عمليات أخرى ناجحة بهذا الشكل.

هذه العملية دفعت الحكومة وقتها لإصدار قرار بتسمية جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية، والعجيب أن هذا القرار لم يشمل جماعة أنصار بيت المقدس التي أعلنت مسؤوليتها عن الحادث، وإن كان قد صدر حكم قضائي فيما بعد بوصف أنصار بيت المقدس بالجماعة الإرهابية، تلتها أحكام أخرى تصف بقية الجماعات التي تمارس العنف وظهرت بعد ٣٠ يونيه بالجماعات الإرهابية، فكان قرار الحكومة استثناء الإخوان دون بقية الجماعات الأخرى التي تمارس العنف حقيقة على أرض الواقع.

ويبدو أن قرار مجلس الوزراء استغل هذه التفجيرات لتوجيه ضربة قوية للإخوان سياسياً، وهو ما اضطر الجماعة للخروج بإعلان رسمي بأنها لا علاقة لها بالتفجير؛ ويبدو أن مجلس الوزراء اعتبر أن جماعة الإخوان وفرت بيئة حاضنة للعنف خاصة وأن الجماعات التي تمارس العنف كانت تستلهم ما حدث للإخوان في صراعها مع الدولة لتنفيذ عمليات عسكرية أخرى، ويزداد الوضع الأمني سوءاً بإصرار الجماعة على مواجهة السلطة السياسية أياً كان شكل هذه المواجهة، مواجهة وليست مجرد معارضة.

****

أنصار بيت المقدس تكشف تحركات واسعة لـ " الموساد "

تحت عنوان سبيل الرحمن وسبيل الشيطان، كشفت أنصار بيت المقدس عبر تسجيل مرئي الطريقة التي يتدرب بها أعضاء التنظيم، كما يكشف التسجيل المرئي العلاقة الوثيقة بالدولة الإسلامية في العراق أو الخلافة الإسلامية، حيث تمت الاستفادة ببعض الصور المتلفزة الخاصة بعمليات أنصار بيت المقدس هذا من ناحية دعم هذا التسجيل تحديداً، خاصة وأنه من أول التسجيلات المرئية التي صدرت عن الجماعة، فالصورة التي اقتبستها جماعة أنصار بيت المقدس من تسجيلات للدولة الإسلامية في العراق، حيث يظهر بعض المتدربين أثناء إطلاقهم للسلاح في الصحراء وجثة أحد القتلى، بينما يظهر أحد أعضاء الدولة الإسلامية في العراق وهو يحرك أنف أحد الجهاديين للتأكد من وفاته، فضلاً عن الكلمات المنقولة سواء المسجلة بالصوت أو الصوت والصورة لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري أو الزعيم السابق، أسامة بن لادن، والتي تظهر في أغلب التسجيلات المرئية، وهي تدل بطبيعة الحال على العلاقة الفكرية والتنظيمية بين تلك التنظيمات وعلى رابط واحد يجمع بينها.

يقول أسامة بن لادن، محرضاً على الجهاد في لقطة مصورة: " خاتم الأنبياء والمرسلين يتمنى هذه المنزلة، فاعقلوا هذه المنزلة التي يتمناها خير البرية (ص)، يتمنى أن يكون شهيداً، والذي نفس محمد بيده وددت لو أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل؛ فهذه الحياة الطويلة العريضة تختصر ما الذي يوحي إليه من رب السموات والأرض، فالسعيد من اتخذه الله سعيداً ".

يعرض التسجيل المرئي مناقب عضو التنظيم والذي تم اغتياله من قبل الموساد الإسرائيلي، إبراهيم عويضة ناصر بريكات، والذي شارك في عملية إيلات الكبرى والتي توافق ١٨ رمضان عام ١٤٣٢هـ، فقد كان على قمة فريق الإسناد بالعملية.

قام بإسناد حافلة الجنود الصهيونية بالموكب من إيلات "أم الرشراش" 3 رمضان 1433 هـوسقط فيها حسب ما قالته أنصار بيت المقدس - ضباط إسرائيليون، وهو ما دفع الجيش الإسرائيلي

لتدبير عملية الاستهداف والتي راح ضحيتها إبراهيم عويضة، ويحوي التسجيل المرئي كلمة مسجلة لأيمن الظواهري قال فيها: " وحيا الله الأبطال الذين يجددون في نفوس أمتهم الأمل بأن أبناءهم ما زالوا على عهدهم مع ربهم لا يقيلون ولا يستقيلون ولا يقر لهم قرار حتى يروا بيت المقدس وقد تحرر من أنجاس الصهاينة حتى تقوم دولة الخلافة الإسلامية عزيزة كريمة حرة حاكمة على ديار الإسلام، أسأل الله أن يثبت مجاهدي الإسلام على طريق التضحية والجهاد، وأن يرزقهم الصبر والعزيمة على مشاق الطريق، وأن يتقبل منهم صالح أعمالهم وأن يجزيهم عليها خير الجزاء في الدنيا والآخرة ".

وكلمة أخرى للظواهري جاء فيها: "تحية إعزاز وإكبار لمن فجروا أنبوب الغاز لإسرائيل للمرة العاشرة، جزى الله هؤلاء الأسود خير الجزاء على رفضهم ونبذهم للخنوع والخضوع والاستسلام الذي يفرضه النظام الحاكم في مصر على شعوبنا وأمتنا، وجزاهم الله خير الجزاء على إبقائهم على روح الجهاد ضد إسرائيل مشتعلة في مصر الرباط والجهاد ".

قتل أحد أعضاء التنظيم بعملية للموساد الإسرائيلي في الأراضي المصرية كما أشارت الصور المرئية، وهو ما استدعى القسم الإعلامي بتنظيم أنصار بيت المقدس بعرض صور لمن قالت عنهم إنهم متورطون في التخابر مع الجيش الصهيوني واعترافات تفصيلية وصور لهم بعد تصفيتهم تماماً، كما عرضوا تحركات الموساد والتي تستهدف أعضاء" الجماعة " متوعدين بمزيد من العمليات ضد إسرائيل.

ورغم أن الجماعة فصلت الحديث عن شكل الصراع مع الجيش الإسرائيلي والحرب السجال بينهما فإنها تركت ذلك وانشغلت بتنفيذ عمليات مسلحة في الداخل ضد الشرطة الداخلية والقوات المسلحة.

****

صمود الأباة

عبارة عن تسجيل مرئي يرصد أهم ما تعرضت له منطقه شبه جزيرة سيناء على مدار ستة أشهر؛ وصفت جماعة أنصار بيت المقدس ما حدث في سيناء خلال هذه الفترة بالتهجير القسري لأهالي سيناء وخاصة في المناطق الحدودية، رفح والشيخ زويد، بهدف تأمين إسرائيل، كما قالت ذلك، من خلال إنشاء منطقة عازلة تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

قالت عبر التسجيل المرئي المدعم بصور متلفزة للحملة التي تتعرض لها سيناء من قبل أجهزة الأمن خلال ستة أشهر، كما أوضحت ذلك في التسجيل المرئي الذي أخذ عنوان صمود الأباة.

- القصف الدائم لطائرات الأباتشي بالتعاون مع طائرات بدون طيار إسرائيلية للبيوت.

- إطلاق النار العشوائي من الكمائن والارتكازات الأمنية والدوريات المارة لترهيب الناس

- هدم وحرق المساجد حسب دعوى الجماعة والسيارات ونهب الأموال والممتلكات وتجريف المزارع وقطع أشجار الزيتون التي يبلغ عمرها عقوداً من الزمن وهدم آبار المياه لتجفيف منابع الحياة.

- ضرب البنية التحتية والمصالح الاقتصادية من خلال قصف الأسواق والمحال التجارية.

عرضت أنصار بيت المقدس من خلال التسجيل المرئي والذي مدته في حدود الـ ١٩ دقيقة صوراً لبعض المنازل المقصوفة وأحد المساجد وكان واضحاً من الصورة أنه أصيب بقذيفة.

وهذا المسجد له قصة مغايرة للحقيقة التي ذكرتها جماعة أنصار بيت المقدس، بأن ضرب المسجد لم يكن مقصوداً في حد ذاته فأجهزة الأمن استهدفت عضواً للجماعة كان يحمل سلاحاً ومتفجرات على عجلته البخارية، وكانت هناك محاولات لاستهدافه عبر طائرة كانت تحلق في المكان، وقد رفضت قوات الأمن إطلاق نيرانها على الهدف وسط المنطقة السكنية أثناء هرب عضو الجماعة خشية إصابة أبرياء، وأبى الهدف إلا أن يختبئ بداخل المسجد، فاضطرت القوات لضرب الدراجة البخارية أمام المسجد فأصابت جزءاً كبيراً منه، وتم تصوير المشهد كما لو أن قوات الأمن

تعتدي على بيوت الله دون سبب أو مبرر أو ربما تريد قتل المصلين، وهذا المشهد تحديداً تم تسويقه والاستشهاد به في تسجيلات مرئية كثيرة وفي بيانات على أن أجهزة الأمن تضرب إما المصلين الآمنين بالقنابل والصواريخ، إما أنها تستهدف بيوت الله والآمنين فيها.

حاول التنظيم أن يثبت من خلال التسجيل المرئي أن ما تقوم به قوات الأمن من ضرب أهالي سيناء وحرق منازلهم، وقتلهم، يقابله عمالة وتعاون من أهالي سيناء، مع جيش الدفاع الإسرائيلي؛ ولذلك حاولت الجماعة أن تظهر وكأنها هي التي تدافع عن الأمن القومي المصري بعد أن عرضت مقتطفاً لكلمة ألقاها المشير / عبد الفتاح السيسي، عندما كان وزيراً للدفاع، يقول فيها "من الأفضل للجيش عدم دخول معارك لمحاربة الإرهاب لأن ذلك مهمة الشرطة المدنية؛ لأننا لم ندرب الجيش على مثل هذا النوع من المواجهة لأن ذلك قد يودي بحياة العجائز والأطفال، وعرضوا صورة لطفلة وقد تفحمت.

عرضت أنصار بيت المقدس صورة مرئية لمن قالت إنهم عملاء وهم يعترفون: أنا محمد سليمان مسلم، وشهرتي بالزغلول من رفح شمال سيناء، المهدية، أعمل مع جهاز الموساد الإسرائيلي، من عرفني عليهم، بكر عودة سلمان ، ابن عمي من عامين.

عن طريقة دخوله لإسرائيل قال من خلال الزنانة، وهي عبارة عن طائرة استطلاع بدون طيار كانت مهمتها مراقبتنا، فضلاً، عن المتابعة على التليفون.

استنطقت أنصار بيت المقدس، محمد سليمان، الذي ظهر في حالة إعياء وبدا عليه أثر لكمات وجهت إليه في عينه اليمنى، عن الطريقة التي يدخلون بها إسرائيل من خلال شخص ملثم حتى قال، إنه لم يرَ عسكرياً واحداً على الحدود، واعتبرت أنصار بيت المقدس أنّ خلوَّ الحدود مع إسرائيل دليل على عمالة الداخلية والجيش؛ لأنه يسهل بعمد أو بدون عمد لدخول العملاء، لإسرائيل.

وعن الأشياء التي يسألونه عنها من قبل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، قال: الأنفاق والصواريخ اللي في المنطقة وعن الملتزمين، وعن كل اللي داير في المنطقة.

استعرضت أنصار بيت المقدس من خلال التسجيل المرئي قدرتها بعد أن دفعت، محمد سليمان للحديث عن مهامه التي قام بها بالتعاون مع جهاز الموساد الإسرائيلي وأوقفت الصوت، كما أوقفت الصوت أيضاً عندما تحدث عن عملاء آخرين يعملون مع جهاز الموساد، وعرضت على لسانه رسالة قالت إنها من المجاهدين إلى الجواسيس قالت فيها: " إن باب التوبة مفتوح إلى كل من أراد أن يتوب ولا نسأله عما فعل قبل ذلك ومهما بلغ قبل أن نقدر عليه وإلا سوف يكون مصيره مثل مصيره ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ".

الفكرة الأساسية في التسجيل المرئي لأنصار بيت المقدس وعنوانه " صمود الأباة " تتمثل في شيئين مهمين؟ أولهما إثبات القوة والبأس أمام ضربات أجهزة الأمن القوية من جانب، مستعرضة وجودها وسط أهالي المدينة بعد أن أوقفت السيارات في كمين يبدو أنه كان صورياً حتى تقوم بإيصال رسالة فحواها أننا ما زلنا مسيطرين رغم الضربات الأمنية المتلاحقة، والدليل على صورية الكمين الأمني المصطنع أنها لم توقف أي سيارة أقل من دقيقة واحدة بهدف تفتيشها، فالهدف كان تصوير الحملة وادعاء سيطرتهم على سيناء، والأمر الثاني هو إثبات أن الجماعة هي التي تقوم بتأمين سيناء من الداخل وهي من تقوم بتأمين المدينة؛ وكأنها تريد إيصال رسالة فحواها أن الحدود مفتوحة من خلال عرض اعتراف لمن قالت إنهم جواسيس وبعدها مباشرة عرضت كميناً لها داخل المدينة وليس على حدودها.

تميز التسجيل المرئي بصورة قوية كالعادة، رغم أن الكاميرات قامت بالتقاط هذه الصورة قرب غروب الشمس وكانت هذه الكاميرات محمولة وليست مثبتة إلا أن الصورة كانت واضحة، فضلاً عن تمكنها من المونتاج وعرض الصور مع الأناشيد الجهادية المصاحبة.

صاحب هذا التسجيل المرئي إشاعات تم ترويجها بأن الجماعة استطاعت فرض سيطرتها على كامل سيناء، والمغزى من ذلك التأثير على معنويات أتباعها ومناصريها داخل شبه الجزيرة؛ وكان توقيت هذه العملية وسط تصاعد الضربات الأمنية الناجحة على أماكن تمركز هذه التنظيمات وهو ما ساعد في الحد من قوتهم وأفشل العديد من مخططاتهم.

الحملة الأمنية ضد أنصار بيت المقدس

شنت أجهزة الأمن حملة ناجحة ضد أنصار بيت المقدس فجر 19 من شهر مارس عام 2014م ، وهي مناسبة ذكرى الإعلان الدستوري الذي أعلنه محمد مرسي عندما كان في السلطة، وقد أعلن ما يسمى بالتحالف الوطني لدعم الشرعية ورفض الانقلاب والذي أنشأته الجماعة مشكلاً أغلبه من الأحزاب الإسلامية، عن مظاهرات بخصوص هذه المناسبة وطلب تفويضاً من الشعب لمجابهة ما أسموه بالانقلاب.

الحملة الأمنية التي شنها جهاز الأمن الداخلي ممثلاً في الشرطة والقوات المسلحة كانت استباقية، ونجحت في توجيه ضربة قاتلة للتنظيم ومنع حدوث العملية التي كانوا ينتوون تنفيذها ثأراً لمقتل قائد هذه السرية، ويدعى محمد الطوخي، والذي قتل على خلفية اشتباك مع أجهزة الأمن بمنطقة جسر السويس، قبل أسابيع قليلة من العملية الناجحة لأجهزة الأمن، وهو ما دعا هذه السرية أن ترتب لعملية تنتقم فيها من أجهزة الأمن، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال اللافتة التي وجدت مكان الاقتحام وقد كتب عليها، غزوة الثأر لأبي عبيدة المصري... القادم أدهى وأمر.

يقال حسب ما توافر من معلومات أن أبا عبيدة أو محمد الطوخي، كان مسؤولاً عن قتل مقدم الأمن الوطني، محمد مبروك، وأن هذه السرية كانت تسمى بسرية المعتصم.

على كل الأحوال، قامت هذه السرية بتدبير عملية تنتقم فيها من مقتل قائدها بعدما استأجروا ورشة أخشاب لتصنيع المواد المتفجرة وحتى تكون غطاء لتنفيذ عملياتهم بما تحدثه أجهزة قطع الأخشاب ونشرها من ضجيج وصوت مرتفع، وهو ما يعطي هؤلاء الجهاديين فرصة لتصنيع المتفجرات دون أن يشك فيهم أحد من الأهالي، كون هذه الورشة وسط كتلة سكنية شمال القاهرة، وهو ما صعب من مهمة أجهزة الأمن التى حاولت استهداف المطلوبين دون وقوع ضحايا من الأهالي، ولكن قتل جراء العملية عميد وعقيد تابعان للقوات المسلحة بعد أن تم استدعاؤهما من سلاح المهندسين العسكريين، في محاولة لإبطال مفعول المتفجرات التي وجدت في

المكان المستهدف والكم الهائل من المتفجرات التي تواجدت في مسرح العملية، وكان يخشى من انفجارها فيتسبب ذلك في مأساة مروعة وسط المنطقة السكنية.

وبعد ساعات من المواجهة وقبل تنفيذ عمليتهم التي اختارت أجهزة الأمن أن تكون في الصّباح الباكر وبعد الفجر، قبل أن يستيقظ سكان المنطقة لتلافي حدوث خسائر بشرية بين الأهالي وقبل خروج هؤلاء الجهاديين لتنفيذ عملياتهم والتي تفيد المؤشرات أنهم كانوا عازمين عليها خلال ساعات من هجوم قوات الأمن؛ فتزامنت العملية مع مناسبة الإعلان عن مظاهرات رافضة في ذكرى الإعلان الدستوري للرئيس المعزول محمد مرسي.

على كل الأحوال، يمكن قراءة تفوق أجهزة الأمن في تنفيذ عملية الهجوم على الأصعدة كافة، سواء ساعة المباغتة ولحظة الهجوم أو قوة التحصينات أو نجاحها في إبطال البراميل المتفجرة، وقتل الجهادي الذي أراد تفجير نفسه عبر حزام ناسف وإبطال مفعول التفجير بطبيعة الحال بعد أن خرَّ صريعاً أو اكتشاف العملية في حد ذاتها رغم السرية التي أحاطت التجهيزات الأولية والاحتياطات التي تمنع اكتشاف الترتيبات المسبقة لتنفيذ التفجيرات.

ويبدو أن أجهزة الأمن أرادت أن ترد على أنصار بيت المقدس بعد نشرها التسجيل المرئي الذي جاء عنوانه " غزوة الأباة " والتي حاولت من خلاله استعراض قوتها؛ وبالتالي كانت مواجهتها هذه المرة مواجهة إعلامية، فضلاً عن المواجهة الأمنية التي نجحت فيها بلا شك.

ظهر الجنود وهم يتممون على ملابسهم وأجهزة الاتصال معهم وكذلك أسلحتهم التي استخدموها في المواجهة والاقتحام والصور التي التقطتها الآلة الإعلامية للجهاز الأمني في الطريق أثناء السير بمدينة بنها وأثناء المرور بالقناطر وكذلك أثناء هجوم الجنود والضباط على الجهاديين في ورشة الأخشاب التي استخدموها في صناعة المتفجرات وكمنطقة انطلاق وصورة أخرى لبعض الجنود وهم في زي مدني ويتداخلون في المعركة بأسلحتهم، كما عرضت صوراً أخرى لتبادل إطلاق النيران والنيران الكثيفة بين هؤلاء الجهاديين وقوات الأمن وتحصن الجنود في أكثر من مكان.

أظهر التسجيل المرئي صور قتلى من أنصار بيت المقدس بعضهم قد لف حول جسده حزاماً ناسفاً استعداداً لتفجير نفسه في الحملة الأمنية.

تذهب بعض المؤشرات أن هذه العملية كان يحتمل تنفيذها في محافظة القليوبية وليس محافظتي القاهرة والجيزة، رغم أن قائد السرية التي كان ينتمي إليها هؤلاء الجهاديون قتل بمنطقة جسر السويس وهي تتبع محافظة القاهرة.

والأدلة على ذلك أن الورشة التي تم اقتحامها من قبل أجهزة الأمن وكان يعد فيها هؤلاء الجهاديون لعمليات جديدة كانت في محافظة القليوبية وتحديداً في مدينة قليوب، وبالتالي أراد التنظيم تنفيذ هذه العملية في هذه المحافظة حتى توسع دائرة الصراع فلم تنفذ الجماعة عمليات لها من قبل في هذه المحافظة، وتهرب في نفس الوقت من القاهرة والجيزة والتي حصنت فيهما مراكز الشرطة ومديريات الأمن بما يصعب من مهمتها ويجعلها شاقة، ومستغلة في الوقت ذاته بعض الكمائن الموجودة بكثرة في هذه المنطقة والتي تعد أماكن ضعيفة أمنياً بعد تنفيذ عملية ناجحة لها بنقطة للشرطة العسكرية بمنطقة مسطرد يوم 15 من الشهر ذاته وقتل كل من فيها؛ وربما لقرب هذه المحافظة أيضاً من محافظة الشرقية وهي ثاني محافظة ينتشر فيها التيار الجهادي بعد محافظة شمال سيناء، وقد نفذوا فيها العديد من عمليات القنص لضباط وجنود قوات الشرطة، وربما يكون هناك تعاون بين هذه السرية وغيرها.

وقالت وزارة الداخلية في بيان لها، إن هذه السرية على وجه التحديد قد شاركت في التعدي على حافلة للجيش في المطرية شرق القاهرة الأسبوع الماضي والهجوم على نقطة الشرطة العسكرية في مسطرد وتفجير مديرية أمن القاهرة وهي المسؤولة عن قتل مدير المكتب الفني لوزير الداخلية اللواء/ محمد السعيد.

نجحت أجهزة الأمن في قتل 6 والقبض على8 ، فضلاً عن مصرع العميد / ماجد أحمد إبراهيم صالح، والعقيد / ماجد أحمد كمال شاكر.

نعت الجماعة بعد مرور أربعة أيام من الاقتحام أعضاءها الذين توفوا وعرضت صوراً لهم، وهم فهمي عبد الرؤوف محمد " أبو دجانة "، سمير عبد الحكيم " أبو البراء " محمد محسن علي محمد " أبو مصعب " محمد سيد محمود أحمد " أبو مصعب"، أسامة سعيد عبد العزيز " أبو عمر "، عبدالرؤوف فهمي عبد الرؤوف " أبو معاذ "، وهو نجل الأولى.

أوضحت الجماعة أن المذكورين، الأول، والثاني، اشتركا في الحرب السورية، وعادا إلى مصر لمحاربة من وصفتهم " المرتدين " بعدما خاضوا حرباً ضد النصيرية الشيعة في سوريا.

قالت الجماعة، في بيانها التي نشرته على منتديات شبكة حنين الإسلامية " إن الأعضاء الستة الذين قتلوا قاتلوا أمام 40 مجموعة قتالية من القوات الخاصة والأسلحة الثقيلة، وقالت إن سلاح الأعضاء كان الإيمان بالله ".

واتهمت الشرطة بأنها تحارب دين الله، ولفتت إلى أن أعضاءها الذين قتلوا كان بإمكانهم تدمير المكان كله، ولكنهم لم يفعلوا حرصاً على دماء المسلمين.

وقالت في نعيها، إنهم خرجوا للدفاع عن أعراض المسلمين من خلال أسلحة خفيفة وذخيرة قليلة لا تتعدى ستين طلقة لكل جهادي أمام أربعين مجموعة قتالية من القوات الخاصة والمدرعات والدبابات والأسلحة الثقيلة.

وبدت الجماعة وكأنها تبرر فشل السرية في التصدي لقوات الأمن أو نجاح أجهزة الأمن في القضاء على هذه السرية من خلال قولها، إنهم لم يملكوا سوى بعض الأسلحة الخفيفة وإن سلاحهم كان الإيمان بالله وإن نصيب كل جهادي ستون طلقة فقط وهي تكفي.

أظهرت الصور بعد ذلك لعدد كبير من البراميل المتفجرة، وهو ما يوحي أن المنطقة كلها كانت ملغمة بالأسلحة وليست ستين طلقة فقط، كما ظهرت بعض الأحزمة الناسفة خلف صدور هؤلاء الجهاديين، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهم وضعوا اعتباراً لاحتمال الدخول في معركة بالرصاص الحي؛ فإذا صح ذلك فكيف يكون نصيب الفرد الواحد هذه الطلقات القليلة، ثم تبرر

الجماعة بعد ذلك أن سلاحهم كان الإيمان بالله، إذا ومادور براميل االمتفجرات طالما أنهم اتخذوا الإيمان بالله سلاحاً.

وإنّا لكم بالمرصاد

نفذت عملية إسقاط الطائرة العسكرية من قبل أعضاء أنصار بيت المقدس باحتراف شديد، فقد سقطت الطائرة بعد إطلاق صاروخ واحد عليها كما كان ذلك واضحاً في التسجيل المرئي؛ فرغم تحليق الطائرة على مسافة كبيرة من الأرض واحتماء منفذ العملية تحت شجرة لم تغطِ منه شيئاً ولم تحمه أيضاً من رؤية الطائرة التي تقوم بمسح للمكان فإنه استطاع إسقاطها من أول ضربة للصاروخ، والمبهر في الأمر أن التنظيم كان واثقاً من تنفيذ العملية وأعد عدته من خلال كاميرا قامت بالتقاط صور للطائرة التي استشهد كامل طاقمها والبالغ عددهم خمسة أفراد، قبل أن يتم ضربها وبعد أن تم ضربها في الجو وأثناء سقوطها فبدا الأمر وكأنه مشهد سينمائي تم الإعداد له من خلال وضع الكاميرات وتثبيتها وتصوير عملية الاستهداف والسقوط معاً كما ظهرت أصوات بعض الأهالي الذين كانوا يكبرون أثناء سقوط الطائرة بما يعني أن الجهاديين يسكنون معهم في منطقة واحدة كمحاولة للاختباء عن أعين أجهزة الأمن، فالطبيعة القبلية تغلب على ولائهم وهو ما دفعهم للتكبير أثناء سقوط الطائرة، وكان يبدو من الصوت أنه لأناس تجمعوا بشكل عشوائي بجانب الشخص الملثم الذي أطلق الصاروخ، فجزء من أهالي سيناء يتعاطف مع هؤلاء الجهاديين وجزء آخر يدعمهم.

عنونت الجماعة للتسجيل للمرئي بـ " وإنّا لكم بالمرصاد " والأعجب أنها نشرت التسجيل المرئي يوم 26 يناير 2014م بعد يوم واحد من تنفيذ العملية التي تمت يوم 25 لسببين أولهما، أن التسجيل المرئي لم يحوِ سوى إسقاط الطائرة وكلمة مسجلة لرجل يدعى أبا أسامة المصري، ومدته لم تزد على أربع دقائق ونصف الدقيقة.

ويبدو أن الاسم كنية لشخصية غير معروفة غير أنه امتاز ببلاغة في التعبير عن هدفه من خلال أقصر العبارات، وتم تركيب صوته من رسالة سابقة نشرتها أنصار بيت المقدس بعنوان " انصروا الله ينصركم ".

يقول في المقطع الذي نشر بعد إسقاط الطائرة العسكرية: " أما كبار الطغاة الظلمة فنقول لهم: أما أن لكم أن تتعظوا مما حدث لأشباهكم في ليبيا وسوريا وغيرها من بلاد المسلمين، أما أن لكم أن تتفكروا لما حدث لكبيركم مبارك، هل نفعته أمريكا في شيء؟ هل منعت سقوطه؟ هل أنقذته؟ فإن لم تتعظوا لإخوانكم من أمثال محمد مبروك وأبي شقرة وغيرهم، فوَ الله إن لم تتوبوا عن العمالة والحرب على الله ورسوله وقتل المسلمين وتتبرؤوا مما اقترفته أيديكم فإننا لكم بعون الله بالمرصاد ولن تنفعكم المصفحات ولا التحصينات ولا الطائرات المجهزة، فإننا جند الله وغضبة على من كفر وحارب دينه وإنه لا شك ناصرنا ومظهرنا عليكم بفضله ومنه ".

لا شك أن عملية إسقاط الطائرة العسكرية كان بمثابة عمل نوعي فريد لهذه التنظيمات؛ بدءاً من اختيار مكان الاستهداف والشخص المدرب الذى أطلق صاروخا ليصيب بعده الطائرة مع وجود كاميرات قامت بتصوير المشهد بدقة محترفة؛ وكأنها أرادت أن تقول إنها تملك صواريخ صائدة للطائرات وليس مجرد عبوات متفجرة أو بعض الأسلحة التي تحصد من تسميهم بالطغاة والمرتدين؛ يقال إن شهداء الطائرة كان بإمكانهم القفز منها ولكنهم خشوا أن تسقط على منطقة سكنية فيكون حجم الدمار كبيراً، نطقوا الشهادة متوكلين على الله وهم يشتكون ظلماً وقع عليهم وأناساً حالوا بينهم وبين الحياة.

****

عمليات القنص والاستهداف

من أهم عمليات القنص والاستهداف، مقتل العقيد أركان حرب محمد الكومي، رئيس جهاز استطلاع الفرقة الثامنة دفاع جوي، والتي أعلنت جماعة الفرقان مسؤوليتها عن الحادث قبل أن تنضم لجماعة أنصار بيت المقدس وتصبح كياناً واحداً، وقتل الضابط، محمد سيد عبد العزيز أبو شقرة، من قوة مكافحة الإرهاب الدولي بجهاز الأمن الوطني بشمال سيناء، وتمت هذه العملية بمدينة العريش أثناء قيادته لسيارة تابعة لجهاز الأمن الوطني عندما استهدفه ملثمون لاذوا بالفرار بعد تنفيذ العملية.

العجيب أن النقيب، محمد أبو شقرة، قتل قبل عزل محمد مرسي، وهي تقريباً العملية الوحيدة التي استهدف فيها ضباطاً من قبل الجماعات التكفيرية في عهد محمد مرسي، والأعجب أن أياً من التنظيمات الجهادية في سيناء لم تعلن مسؤوليتها عن الحادث وقتها، بما يؤكد أن أنصار بيت المقدس قامت بتغيير استراتيجيتها في استهداف الجنود والضباط بعد عزل محمد مرسي وليس قبله بعدما كانت تقوم بعمليات ضد إسرائيل، حيث عادت سيرتها الأولى قبل أن تقوم بتغيير اسمها لأنصار بيت المقدس، عندما كانت تسمي التوحيد والجهاد وأنصار الجهاد ووقتها كانت تنفذ عمليات ضد أجهزة الأمن، سواء الشرطة الداخلية أو القوات المسلحة.

وأرجح التفسيرات أن جماعة التوحيد والجهاد النواة الأولى لأنصار بيت المقدس هي من قامت بقتل " أبو شقرة " ولكنها تلاشت بعد ذلك في مسماها الجديد أنصار بيت المقدس وأصبحت هذه العملية من العمليات المنسية التي لا طائل من إعلان المسؤولية عن تنفيذها خاصة بعد عزل " مرسي " في يوليو 2013م وكان القتل في يونيه، أي قبل العزل بشهر واحد.

قتل " أبو شقرة " في ٩ يونيه 2013م ، ولم تعلن أي جماعة مسؤوليتها عن الحادث، وبالتالي لم يخرج أي تسجيل مرئي للعملية بخلاف قتل " الكومي " فقد خرج تسجيل مرئي أثناء عملية الاستهداف.

ومن الرؤى المطروحة بخصوص قتل " أبو شقرة " أنها خلية ربما يكون قد تعرض أصحابها للقبض عليهم من قبل أو نالهم أذى بسببه ، ولذلك نفذوا العملية التي لم يعلن أحد مسؤوليته عنها.

وقالت قناة العربية أثناء عرضها لتقرير عن مقتل " أبو شقرة ": إنه اشترك في تأمين خيرت الشاطر، نائب المرشد أثناء خروجه الاستثنائي لتشييع جثمان والدته.

كما تداول نشطاء على موقع التواصل الاجتماعي صوراً متحركة لـ " أبو شقرة " وهو يقوم بتأمين خيرت الشاطر أثناء خروجه من السجن لحضور جنازة والدته بمدينة المنصورة.

وبخصوص عدم إعلان أي جماعة مسؤوليتها عن قتل " أبو شقرة "، فلم تكن هذه العملية الأولى والأخيرة، فقد تلتها عمليات لم تعلن أي من الجماعات عنها، من هذه العمليات ضرب معسكرات الأمن المركزي بمحافظة الإسماعيلية في 12 ديسمبر 2013م ، وكذلك ضرب معسكرات الأمن المركزي في السويس في ٢٥ يناير 2014م على كل الأحوال يمكن قراءة عدم إعلان أي جماعة أو تنظيم مسؤوليتها لهاتين العمليتين تحديداً، أنهما كانتا عمليتين فاشلتين، فالعملية الأولى لم يقتل فيها سوى واحد بينما البقية مصابون، أما بخصوص ضرب معسكرات الأمن المركزي بالسويس فلم يكن فيها قتلى وإنما جميعهم مصابون بإصابات طفيفة والوحيد الذي كانت إصابته كبيرة خرج من المستشفى فيما بعد معافى، وربما تكون هناك أسباب أخرى إما منعت من تسجيل هذه العمليات أو حدث عطل فني فجأة منع من التصويت أو قتل أعضاء السرية قبل الإعلان، فلم تكن هناك معلومات متوافرة عن طبيعة العملية.

قتل العقيد أركان حرب، محمد الكومي، في ١٤ أغسطس 2013م ، وأعلنت جماعة الفرقان مسؤوليتها عن الحادث وبث تسجيل مرئي كما ذكرنا كانت مدته ثلاث دقائق فقط، أثناء وجوده بسيارة على مفارق مدينة أبي صوير بطريق الإسماعيلية القاهرة الصحراوي، وجاء في التسجيل أنه تم تصفية كل من في السيارة وقالت جماعة الفرقان إنهم ثلاثة من المرتدين !.

وكان هذا التسجيل من أوائل التسجيلات المرئية التي خرجت من قبل التنظيمات الجهادية وبالتالي كانت مدته ثلاث دقائق فقط، ولم تتم الاستعانة فيه بكلمات لأسامة بن لادن ولا

خليفته أيمن الظواهري ولا أي قيادي للقاعدة، كما حدث في التسجيلات المرئية التي خرجت فيما بعد وكانت مددها تصل لأكثر من ثلاثين دقيقة.

جاء فى بداية التسجيل المرئي، كتيبة النصرة التابعة لكتائب الفرقان: " عمليات استهداف قوات الجيش والشرطة، الحلقة الأول من سلسلة نصرة المستضعفين (المنصة. . رابعة. . النهضة. . سيناء. . دلجا. . كل المستضعفين على أرض مصر) فيديو تصفية لأحد المرتدين.

يظهر في التسجيل المرئي أحد الأفراد ويحمل في يده سلاحاً آلياً وقد أطلق النار على العقيد " الكومي " ثم يظهر على الشاشة: " إخوانكم في كتائب الفرقان قد أخذوا على أنفسهم العهد ألا ينقص دين الله وفيهم عرق ينبض نصرة للمستضعفين والأرامل والثكالى والأيتام. . ونصرة لمساجد الله التي انتهكت حرماتها. . ".

قتل اللواء محمد السعيد سعد الدين أحمد، مدير المكتب الفني لوزير الداخلية في ٢٨ يناير ٢٠١4م وأعلنت أنصار بيت المقدس مسؤوليتها عن الحادث في بيان قصير، كما قامت أيضاً بقنص ضابط الأمن الوطني المقدم، محمد مبروك محمد أبو خطاب، الذي يعمل بقطاع الأمن الوطني أثناء ذهابه إلى عمله من أمام السراج مول بمدينة نصر في ١٧ نوفمبر عام ٢٠١3م ، وكان مسؤولاً عن التحريات الخاصة بهروب محمد مرسي وبعض سجناء الإخوان من سجن وادي النطرون بعد قيام ثورة يناير.

أعلنت جماعة أنصار بيت المقدس، مسؤوليتها عن اغتيال ضابط الأمن الوطني محمد مبروك، مسؤول ملف الإخوان المسلمين بالجهاز.

وأعلنت سرية المعتصم بالله التابعة لأنصار بيت المقدس، في بيان لها نشر فيما بعد مسؤوليتها عن اغتيال ضابط الأمن الوطني ومسؤول النشاط الديني والذي وصفته بالمرتد، واعتبرت هذه العملية ضمن سلسلة أسمتها فك الأسيرات.

قالت الجماعة في بيانها، إن " مبروك " أحد أكابر طغاة أمن الدولة وأن قتله جاء رداً على ما قام به ما أسمته بالجهاز الخبيث من اعتقال للنساء الحرائر العفيفات، واقتيادهن للتحقيق في أقسام الشرطة ومقرات أمن الدولة.

وذكرت الجماعة إنها قامت بتكليف سرية " المعتصم بالله " بتحرير الأسيرات وتعقب كل من أسهم وشارك في أسرهن من ضباط وأفراد وزارة الداخلية، فبدأت بفضل الله وحده بقتل أخطر هؤلاء المجرمين المطلوبين وأشدهم عدواناً على المسلمين في عقر داره وأمام بيته، جزاء وفاقاً.

ووجهت نداءها للناس من خلال قولها: إلى الأحرار الشرفاء في مصر وربوعها، ماذا تنتظرون بعد اعتقال نسائكم وانتهاك أعراضكم، هبوا للدفاع عن أعراضكم ولو ذهبت في ذلك أرواحكم، فمن قتل دون عرضه فهو شهيد، كما أخبر بذلك رسولنا (ص) الذي أخرج يهود بني قينقاع وأجلاهم عن ديارهم بسبب الاعتداء على امرأة واحدة، فكيف بنا وقد اعتقلت مئات النساء واعتدى عليهن.

كما دعت الجماعة المصريين لتزويدها بالمعلومات التي تساعدها في تتبع وتعقب " الطغاة المجرمين " الذين شاركوا في أسر الأخوات، وذلك عبر وسائل التواصل الإلكترونية المتاحة.

وأنهت بيانها بمطالبة ما أسمتهم بالطغاة في وزارة الداخلية وأمن الدولة إلى إخراج جميع النساء من المعتقلات وأقسام الشرطة ومقرات أمن الدولة، وإلا فلينتظروا الحلقات القادمة من السلسلة بإذن الله وتوفيقه.

أعلنت جماعةأنصار الشريعة بأرض الكنانة عن قتل ٢٨ من أمناء ومجندين بالشرطة والجيش التي قالت إنهم خدام الطواغيت من الشرطة والجيش، في ثلاث محافظات هي، الشرقية والتي كان حظها ١٦ من أفراد الأمن، ومحافظة بني سويف والتي كان حظها ٧ من أفراد الأمن و٥ من محافظة الجيزة.

فقالت إنها استهدفت مساعداً بالجيش بقرية غيته ببلبيس بالشرقية، وقالت إن وزارة الداخلية لم تعلن عنه، مقتل هاني محمد النعماني أمين، مركز ههيا " طلق بالرأس " استهدفت مساعد جيش حسن السيد مركز منيا القمح شرقية "طلق بالرقبة"، اغتيال أمين شرطة إسماعيل محمد عبد الحميد التلاوي، قوة الشروق بالقاهرة " طلق بالرأس" ، اغتيال أمين شرطة شعبان حسين قوة مركز أبو كبير بالشرقية " طلق بالرأس " ، اغتيال أمين شرطة شرف حسن بيومي، ورقيب طبلاوي فتحي موسى بقرية النخاس " طلق بالرأس"، اغتيال أمين شرطة محمود عبد المقصود ، قوة مركز

كفر صقر، استهداف ملازم شرف سباعي محمد الباز ومجند رضا محمد عبد الله وآخر، استهداف دورية شرطة بجوار معسكر الأمن المركزي بالزقازيق طريق قرية بني شبل أسفر عن مقتل، سعيد مرسي إبراهيم ومقتل عبد الله سليم وحمادة عبد ربه محمد وإصابة عيد إبراهيم عبد المقصود، اغتيال أمين شرطة عبد الرحمن محمد أبو العلا قوة قسم ثان شرطة العاشر " طلق بالرأس"، اغتيال رقيب شرطة عبد الدايم عبد الفتاح عبد المطلب إدارة المرور وحسن محمد سليمان بالأمن الوطني.

أما في بني سويف، فقد قامت باغتيال أمين شرطة هاني عطية، ورقيب حسن سيد حسين قوة قسم شرطة بني سويف، وأمين شرطة جمال محمد بدوي قوة مركز الفشن، وأمين شرطة آخر " بطلق بالرأس " بمركز أهناسيا وادعت الداخلية أنه صدمه سيارة، وأمين شرطة بطلق في الرأس وعثر عليه في الزراعات بمركز ببا وادعت الداخلية الكاذبة أنه حادث سيارة، وأمين شرطة بطلق في الرأس داخل مركز بني سوف ولم تعلن عنه الداخلية.

أما في الجيزة فقد تم استهداف دورية شرطة تأمين طريق مصر أسيوط الزراعي بالحوامدية أسفرت عن مقتل أشرف غانم ووليد الدسوقي وياسر غانم وإصابة آخر، واستهداف جمعة عيد بمركز الصف بالجيزة " بطلق بالرأس ".

تم استهداف نقطة تفتش تابعة للشرطة العسكرية بمنطقة منفذ مسطرد على بداية طريق القاهرة الإسماعيلية الزراعي شبرا الخيمة، وقتل ٦ من الجنود الموجودين بنقطة الكمين بعد صلاة الفجر يوم 15 يناير 2014م، ولم يصدر بيان تتبنى الجماعة من خلاله العملية ولا تسجيل مرئي، رغم أنها أصدرت بيانات تالية لهذه العملية، ومنها بيان بخصوص الجدار العازل حول مدينة العريش والذي توعدت فيه كل من يشارك في بناء، الجدار العازل حول مدينة العريش بدءاً من المقاولين والمستثمرين وأصحاب الشركات والعمال والمشرفين، وانتهاء بأصحاب الشاحنات التي تحمل مواد البناء وكل من أسهم كما قالت في وضع لبنة في بنائه وهو ما اعتبره البعض إفلاساً منها، خاصة وأنها

كعادتها تصدر البيانات والتسجيلات المرئية بعد وليس قبل تنفيذ العملية ، وهو ما يفهم منه أنها لم تعد قادرة على تنفيذ عملية تقول من خلالها إنها ما زالت قادرة على الرد أو حسم المعركة.

لا شك أن هذا جزء من العمليات العسكرية وليس كلها ؛ اخترنا جزءاً منها وسلطنا الضوء عليه ربما لنوعية هذه العمليات أو لأنها تسلط الضوء على تفاصيل أكثر لها علاقة بماهية هذه التنظيمات؛ ولا ندري إن كان المستقبل سوف يحمل مفاجأة أم لا، وإن كان يقيننا أنه قد تحدث عمليات كبيرة نوعية طالما قررت الدولة خوض حرب مفتوحة مع هذه التنظيمات فلا بد أن تكون هناك خسائر في الأرواح، فهذه التنظيمات لا تحارب بمفردها وإنما تساعدها تنظيمات أخرى خارج الحدود بالزاد والعتاد، كما أن جماعات أصيلة داخل المجتمع المصري قامت بدعم هذه التنظيمات وإن اختلفنا في شكل الدعم ولكنه حدث بالفعل، وبالتالي يبدو الحمل ثقيلاً على كاهل أجهزة الأمن التي تعاني غياب التشريعات الرادعة لأعمال العنف وضعف تسليحها.

حاولنا اختصار الحديث عن بعض العمليات العسكرية ليس بهدف السرد وإن كان مطلوباً في إطار الحديث عن العمليات العسكرية، وإنما كان الهدف الأهم والأبرز كما ذكرنا تشريح هذه العمليات التي استفدنا منها كثيراً في استجلاء صورة التنظيمات الدينية وماهيتها، خاصة وأنها لا تريد أن تتحدث عن نفسها خشية المراقبة الأمنية فأغلب أعمالها تحت الأرض، وعندما تتحدث عن نفسها وهذا حقها تتحدث فيما تريد لا فيما نريده نحن، فأنت لا تراها إلا من خلال التفجيرات التي تحدثها هنا أو هناك وبالتالي أصبح علينا عبء البحث عنها، من خلال العمليات المسلحة التي تنفذها، وما وصلت إليه من تسليح قدرتها على تنفيذ العمليات حتى أفكارها من خلال استهداف فئات بعينها سواء في الأجهزة الأمنية أو عموم الناس، وما يصاحب ذلك من كلمات لقيادات جهادية في تنظيمات أخرى ورمزية ما يقولونه.

****

جماعة أجناد مصر

ظهرت هذه الجماعة بشكل حقيقي في بدايات عام **2014**م، غير أنها قامت ببعض العمليات في نهاية **2013**م ، ولكن الجزء الأكبر من عملياتها كان في مطلع عام **2014**م والذي شهد ثاني استحقاق انتخابي ممثلاً في الانتخابات الرئاسية بعد الاستفتاء على الدستور الجديد بعد عزل الرئيس محمد مرسي في أول يوليو عام **2013**م.

أجناد مصر، ليست جماعة بالمعنى التنظيمي المتعارف عليه، وإن كانت عبارة عن خلايا صغيرة؛ فأرجح الأقوال، أنها نشأت في مطلع عام **2014**م بشكل تنظيمي، بعد أن طال أمد الصراع بين المطالبين بعودة مرسى للسلطة وبين النظام السياسي الذي نشأ على خلفية عزله بناء على خارطة للمستقبل وضعتها القوات المسلحة بعد المهلة التي أعطتها للطرفين، السلطة آنذاك ممثلة في مرسي والرئاسة والمعارضة المطالبة بعزله في ٣٠ يونيه من خلال المظاهرات التي اجتاحت المحافظات المصرية كافة، وهم يشعرون أنهم لم يحققوا ما كانوا يأملونه أثناء وجود الإخوان على رأس السلطة التنفيذية.

قام الشباب المتحمس الذي شكل نواة للجماعة الجديدة أو لخلاياها بتنفيذ بعض العمليات المسلحة التي غلب عليها طابع قلة الخبرة من خلال التفجير عن بعد، واستخدام عبوات ناسفة محلية الصنع وليست كبيرة الحجم ولا التأثير بطبيعة الحال كحال جماعات أخرى ظهرت على الساحة قبل أو بعد ظهور أجناد مصر؛ فالعمليات التي تم رصدها استخدمت فيها قنابل ذات تأثير محدود مقارنة بعمليات أنصار بيت المقدس التي كانت تستخدم عشرات الكيلوجرامات من المتفجرات وعملياتهم لم يكن مخططاً لها، فهي ذات أهداف محدودة مقارنة بأنصار بيت المقدس، وإن كانوا قد نجحوا في إلحاق الخسائر بأجهزة الأمن لسببين: أولهما أنهم طوروا من عملياتهم، فلا يمكن مقارنة أولى هذه العمليات بعملية جامعة القاهرة ولا بالتقنية المستخدمة فيها، فضلاً عن

الأخطاء التي وقعت فيها أجهزة الأمن، والتي كانت سبباً في حصاد أرواح العشرات، وبالتالي فالأمر مرتبط بأخطاء أجهزة الأمن لا بقوة هذا التنظيم.

من خلال رصد العمليات التي قامت بها أجناد مصر لم يكن من بينها عمليات انتحارية على سبيل المثال، فالعمليات التي قامت بها كانت عبارة عن عبوات تفجيرية فحسب وبدائية الصنع أيضاً، تدل على أن أصحابها لم تكن لديهم أي خبرة من قبل في العمل العسكري، كما لم يكن للعمليات التي قاموا بها الأثر الكبير كغيرها من العمليات التي تشنها تيارات جهادية أخرى، وبالتالي كانت نتائج هذه العمليات ضعيفة الأثر على الأقل في بدايتها، ولم تخلف سوى مصابين فقط وقليل من القتلى، وبعض العمليات فشلت فشلاً ذريعاً ولم يعلنوا عنها ولكن أصابع الاتهام أشارت إلى أنهم المرتكبون لها.

كان ظاهراً بشكل لافت ضعفهم في العمليات المسلحة الأولى، غير أنهم نجحوا فيما بعد في إحداث أثر محدود لبعض العمليات؛ ولكن تظل هذه العمليات محدودة الأثر مقارنة بعمليات أنصار بيت المقدس، فقد كان ضحاياهم بالعشرات والمئات.

تميزت عملياتهم كما ذكرنا بالبساطة الشديدة مقارنة بعمليات جماعة أنصار بيت المقدس التي يتم التخطيط لها على مستوى أعلى من خلال التدريب الذي يتلقاه أتباعها، فقد سافر بعضهم للمناطق ذات الصراع الملتهب مثل، سوريا والعراق واليمن وأفغانستان، أو ما تلقاه أتباعها من تدريب في صحراء سيناء الواسعة، وبالتالي وجدنا هذه الجماعة تكتفي بإصدار بيان فحسب ولم تصدر تسجيلات مرئية إزاء كل عملية إلا بعد تنفيذها ثماني عمليات وعندما أصدرت أول تسجيل مرئي كان للعمليات الثماني مجتمعة، ولم تقدم فيه شيئاً جديداً.

عند قراءة التسجيل المرئي الذي خرج لهذه العمليات تكتشف أنه لم يتعرض لطريقة تنفيذ العمليات أو التجهيزات التي سبقتها، كما في حالات كثيرة لتيارات جهادية وتكفيرية أخرى داخل أو خارج مصر، ولعل أنصار بيت المقدس كانت مختلفة كثيراً، فلم تقم بتصوير جزء من الاستعدادات قبل تنفيذ العملية ولا أثناء تنفيذها أيضاً، فقط اكتفت ببعض الصور التي نقلتها

بعض المحطات، وقامت في بعض المشاهد بحذف لوجو المحطة الفضائية من المحطات الشاشة أو لوجو الموقع الإلكتروني الذي نشر المادة المصورة؛ جمعت هذه الصور في التسجيل المرئي المشار إليه وبالتالي لم يخرج على نفس مستوى التسجيلات المرئية لجماعة أنصار بيت المقدس، ويبدو أن الجماعة أحبت أن تستخدم التقنية الإعلامية في تسليط الضوء على قوتها وما وصلت إليه غير أن الرسالة لم تصل ودل هذا التسجيل على ضعفها.

معظم الذين تم استهدافهم في العمليات الأول على يد أجناد مصر كانت إصابتهم طفيفة، ولم يكن هناك قتلى بين الضحايا نتيجة الخبرة المنعدمة، ولأن العبوات المتفجرة تم تصنيعها بطريقة بدائية؛ وهي عبارة عن قنابل محلية الصنع ولم تقم هذه الجماعة التي تظن أنها عبارة عن خلايا تم تشكيلها على عجل عندما اشتدَّ الصراع بين السلطة الحاكمة وبين التيارات الإسلامية التي وجدت في هذه السلطة عدواً لها، من خلال تلغيم سيارات ربما تحمل عشرات الكيلوجرامات من المتفجرات، كجماعة أنصار بيت المقدس حتى يكون هناك ضحايا أكثر.

هذه المجموعات التي نشأت فجأة تمتلك رغبة قوية للانتقام ممن يظنون أنهم وقفوا أمام المشروع الإسلامي وحاربوه أو ناصبوه العداء، ولكن هذه الرغبة محدودة بإمكانات ضعيفة ومتواضعة وخبرة منعدمة لم تساعدهم على تحقيق ما أرادوه، وبالتالي ظهرت عملياتهم أقل تأثيراً من غيرها، ولكننا لمحنا تطوراً في عملياتهم فيما بعد اكتساب الخبرة التي لم تستغرق وقتاً طويلاً، وربما كان ذلك واضحاً من خلال تفجيرات جامعة القاهرة سواء من خلال زرع المتفجرات أو تكنيك التفجير ذاته أو عملية ميدان لبنان والتي تحايلوا فيها على ضابط المرور الرائد محمد جمال، عندما وقفت سيارة ميكرو باص تسأل الضابط عن عنوان ليقوم آخرون بزرع المتفجر في كشك المرور الذي يقف فيه ولكن من الشباك الخلفي أثناء انشغال الضابط مع السائل.

عملية جامعة القاهرة تميزت بالتخطيط بعض الشيء؛ حيث فجرت أجناد مصر عبوتين ناسفتين في توقيت واحد، ثم قامت بتفجير العبوة الثالثة بعد تجمع المسعفين وقوات الشرطة التي هرعت

لمكان التفجير كمحاولة لحصد أكبر عدد من الضحايا، ورغم ذلك كان ضحايا القنابل الثلاث قتيلين فقط أحدهما مات في الحال والآخر مات متأثراً بإصابته بخلاف المصابين.

نجحت الجماعة في زرع العبوات الناسفة بالأشجار المحيطة بالتمركز الأمني الموجود أمام الجامعة بعيداً عن أعين الضباط، ولأن قطاعاً ليس بالقليل من أعضاء هذا التنظيم خريجي كلية الهندسة جامعة القاهرة، وقد أنهوا دراستهم منذ سنوات قليلة ، فهم يحفظون جغرافيا المكان وبالتالي ربما يكون ذلك سر نجاح العملية مقارنة بسابق عملياتهم، وربما يكون ذلك السر وراء زرع ثلاث عبوات ناسفة وليس عبوة واحدة.

تركزت أغلب عمليات هذه الجماعة في محيط القاهرة الكبرى وتحديداً بمحافظة الجيزة، بما يؤكد محدودية هذا التنظيم من حيث الكم والكيف معاً، وأنه قد يكون مكوناً من عدة خلايا بخلاف جماعات أخرى لها أتباع في محافظات عدة.

وأرجح الأقوال، أن هؤلاء إما أنهم ينتمون للداعية السلفي حازم صلاح أبو إسماعيل أو من تلامذته أو المتأثرين بخطابه، ولعل التسجيل المرئي الذي خرج فيما بعد وكان أول تسجيل مرئي للتنظيم يؤكد ذلك؛ حيث أفردت الجماعة فيه شهادة أحد المتهمين بارتكاب حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية، والذي أفرد تعليقاً وتعقيباً طويلاً على ما حدث لـ سيد بلال، أحد السلفيين الذين قتلوا أثناء التحقيق معهم لنفس التهمة، وهو ما يدلل على أن هؤلاء سلفيون ولا علاقة لهم بجماعات العنف في سيناء مثلاً.

من المفارقات العجيبة لهذا التنظيم أنه يصدر بياناته التي يتبنى فيها العمليات التي يقوم بتنفيذها في نفس يوم العملية، ما بين الساعة السادسة إلى السابعة مساء، وظهر ذلك في أول ٨ عمليات للجماعة، بما يؤكد ملاحظة مهمة نؤكد عليها للمرة الثانية، قلة الخبرة أو انعدامها لدى هذه المجموعات، والتي قد تكشفهم لو تتبعت أجهزة الأمن المكان الذتحمل منه هذه البيانات على شبكة الإنترنت فى توقيت محدد، فقد يكون خيطاً رفيعاً يكشف عن أماكن تواجدهم والتي يخططون منها للعمليات العسكرية.

في أغلب الأحيان تقوم هذه الجماعة بإرسال البيان بشكل مشفر عبر بريد إلكتروني مجهل إلى جهة أخرى وربما تكون خارج البلاد، ويتم الاتفاق معهم على رفع البيان على المنتديات والمواقع الجهادية من خارج مصر، وبالتالي يهربون من عملية الرصد الأمني والتي قد تكشفهم أو تكون سبباً في القبض على بعضهم، ولكن خبرتهم جعلتهم يختارون وقتاً زمنياً محدداً.

من الملاحظات التي يمكن أن تذكر في هذا الإطار أن أجناد مصر من أهم الجماعات التي تنشر بياناتها على موقع التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، ولا تقتصر فحسب على المنتديات الجهادية، وبالتالي تصل هذه البيانات لقاعدة عريضة من الناس ووسائل الإعلام في التو واللحظة، ولا تأبه في ذلك بالملاحقات الأمنية أو ما قد تتعرض له.

من أهم العمليات التي قامت بتنفيذها تفجير عبوتين ناسفتين في بدايات شهر فبراير 2014م بمنطقة الجيزة، أصابت من خلالهما ٦ أشخاص بينهم ٤ من رجال الأمن.

يقال إنهم قد يكونون وراء استهداف كمين عبود في ٢٠ نوفمبر 2013م وكمين السواح في ٢٥ نوفمبر من نفس العام، فضلاً عن استهدافهم نقطة محور ٢٦ يوليو في ٢٧ يناير 2014م ، كما استهدفوا أيضاً قوات الأمن المركزي بمنطقة البحوث بالقرب من مترو الأنفاق في ٢٤ يناير بالإضافة لقسم شرطة الطالبية بمنطقة الهرم، كما استهدفوا يوم ٣١ يناير 2014م معسكرات قوات الأمن المركزي على طريق الإسكندرية الصحراوي بعبوتين ناسفتين عقب التمكن من عمل اختراق أمني لأحد جنبات المعسكر الموجود على الطريق الصحراوي، ويوم ٧ فبراير استهدفت هذه الجماعة قوات الأمن المركزى المتمركزة أعلى كوبري الجيزة بعبوتين ناسفتين.

يوم ٢ أبريل عام ٢٠١٤م ، استهدفت قوات الأمن المتمركزة أمام جامعة القاهرة بثلاثة تفجيرات أسفرت عن مقتل عميد شرطة في الحال ومجند متأثراً بإصابته بعد يومين من الحادث، فضلاً عن إصابة لواء شرطة وإصابات أخرى في صفوف الجنود، فقد زرعت القنابل بالقرب من القوة الأمنية الشرطية الموجودة بشكل ثابت أمام جامعة القاهرة ووسط ميدان النهضة الذي جرى فضه من قبل الضابط المقتول، كما جاء عبر بيان أجناد مصر فيما بعد.

وجاء في أحد بيانات هذه الجماعة الصغيرة والتي أطلقت على نفسها " أجناد مصر " وأعطت لنفسها شعار " حماة الدين والدم والعرض والمال " والذي حمل رقم ٤ بتاريخ 2013/2/7م، الذي استهدفت من خلاله قوات الأمن المركزي المتمركزة أعلى كوبري الجيزة: أنهم استطاعوا الوصول إلى المرتكزات الأمنية ضمن حملة: القصاص حياة "، حيث تم رصد تحركات قوات الأجهزة الإجرامية وتمت مراقبة أماكن تمركزها التي تنطلق منها كل يوم جمعة لاستهداف الأبرياء بالقتل والتنكيل، فتم زرع عبوتين ناسفتين حيث تتمركز قواتهم الإجرامية في ميدان الجيزة وتمت متابعتهم حتى وصولهم إلى تمركزهم وتم استهدافهم بالعبوتين الناسفتين، وكانت الإصابة مباشرة حسب تعبير الجماعة في البيان الذي أعلنت مسؤوليتها عن العملية.

واستطردت الجماعة الوليدة التي نشأت عقب عزل " مرسي " من السلطة، تأتي هذه العملية للتأكيد على الرسائل السابقة وهي أنهم ليسوا في مأمن من القصاص الذي يطاردهم، ولو أن رسائلنا إليهم تحملها الكلمات لما أرسلناها إليهم بالعبوات، وأن الرسالة المراد إيصالها إليهم أننا بإذن الله سنحيا كراماً ولن نساق من أي طاغوت مستبد، وأننا لن يقر لنا قرار حتى يعم العدل وتبسط الشورى وتقام الدولة على ما يرتضيه الله – عز وجل – في كتابه وفي سنة رسوله (ص).

توعدت هذه الجماعة التي يغلب على أعضائها منهج السلفية الجهادية، بأنها ستواصل غاراتها وأنها مستمرة فيما أقدمت عليه وسوف تواصل ذلك على الأصعدة كافة، وأن الانتفاضة تشتعل يوماً بعد اليوم وعلى من يتبقى فيه بقية شرف داخل الأجهزة الأمنية أن ينشق عنها، وأن يتوب إلى الله وأن يكف عن حرب أهله وليوجه سلاحه تجاه أجهزة الإجرام! ومن عجز عن نصرة الحق فلا ينصرن الباطل ولا يكن في صف المجرمين فيخسر الدنيا والدين، وليبادر بالخروج من تلك الأجهزة قبل القدرة عليه، فإن الأحداث تتسارع والفرصة قد لا تستمر طويلاً.

وقراءة تحليلية في مضمون خطاب هذه الجماعة، نستطيع أن نقول إنها مشكلة من مجموعات صغيرة من السلفيين ذوي الخلفية المتواضعة بالعمل العسكري، وقد يكون بعضهم ليست لديهم خبرة أصلاً بالعمل العسكري، وظهر ذلك جلياً في العمليات التي نفذوها أولاً مطلع عام ٢٠١4م ،

والتي يمكن الحكم عليها بأنها كانت فاشلة من الناحية الأمنية، كما أن هذه المجموعات نشأت عقب المواجهة التي تمت بين أجهزة الأمن ومتظاهري الإخوان المسلمين، واستخدم أتباعها في بعض بياناتها عبارات كان يستخدمها الداعية السلفي، حازم صلاح أبو إسماعيل، منها، سنحيا كراماً ومعروف أنها كانت شعار حملته الانتخابية للرئاسة عام 2012م والتي تم استبعاده منها بسبب جنسية والدته؛ فهو من نحت هذه العبارة في القاموس السياسي المصري بعد ثورة ٢٥ يناير 2011م وأثناء حكم المجلس العسكري، فضلاً عن طريقتهم في كتابة البيانات والتي تشبه لحد كبير تعبيرات نفس الداعية، ومنها أيضاً ما ورد في البيان وأتى على لسان " أبو إسماعيل " قبل ذلك في خطبه التي كان يلقيها في المحافل السياسية سواء في ميدان التحرير أو مسجد أسد بن الفرات بمنطقة الدقي: " ولن نساق من أي طاغوت مستبد وأننا لن يقر لنا قرار حتى يعم العدل وتبسط الشورى وتقام الدولة على ما يرتضيه الله عز وجل في كتاب وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ".
أغلب عمليات أجناد مصر وبخاصة أول عشر عمليات بخلاف عملية جامعة القاهرة، تقريباً كانت أيام الجمع من كل أسبوع وهي تلك التي تنشط فيها مظاهرات الإخوان والمطالبين بعودة مرسي للسلطة، وبالتالي تعمدت ضرب ما أسمته بمرتكزات أجهزة الأمن والتي تقف أمام هذه المظاهرات.

نشرت الجماعة تسجيلاً مرئياً أعلنت فيه مسؤوليتها عن ٨ عمليات، قالت فيه إن العملية الأولى كانت في 2013/11/20م واستهدفت من خلالها كميناً أمنياً بعبود، وكانت العملية الثانية استهداف كمين أمني بمنطقة السواح في 2013/11/25م ، كما كانت العملية الثالثة باستهداف نقطة للقوات الأمنية بمحور ٢٦ يوليو بتاريخ 2014/1/7م ، وكانت العملية الرابعة باستهداف القوات الأمنية بقسم شرطة الطالبية في 2014/1/24م، وكانت العملية الخامسة في نفس اليوم من خلال استهداف القوات الأمنية لمنطقة البحوث، ولم تمر سوى أيام حتى كانتالعملية السادسة في 2014/1/31م والتي استهدفت فيها القوات الأمنية على طريق الإسكندرية الصحراوي، بعدها تمت العملية السابعة بميدان الجيزة، وكان ذلك في 2014/2/7م عندما تم زرع عبوات

ناسفة بهدف ضرب المرتكزات الأمنية، وتلاها العملية الثامنة والتي استهدفت القوات الأمنية من خلال ثلاث عبوات بميدان النهضة أمام جامعة القاهرة.

ما يؤكد حداثة نشأة الجماعة وقلة خبرتها، أنه لم يكن لها شعار يعرف عنها أو يعبر عن مضمونها أو حتى يكتب على بياناتها المحدودة التي خرجت عنها، ولم تمتلك أدوات للتصوير المتطور لعملياتها العسكرية،كما هو شأن جماعات أخرى، وعندما خرجت بتصوير مرئي كان متواضعاً ولكن الهدف منه تبرير عملياتها وليس توضيح الطريقة التي قامت من خلالها بتنفيذ هذه العمليات، كما أن عملياتها متفرقة ضمن أماكن لا تتطلب خبرة في التعقب والتعامل معها بالسلاح ضمن محافظة الجيزة.

بررت أجناد مصر التفجيرات الثلاثة التي قامت بها أمام جامعة القاهرة يوم ٢ أبريل **2014**م من خلال بيان رسمي، بأنها جاءت بعد ازدياد حملات الاعتقال للحرائر من نسائنا وفتياتنا والتطاول عليهن.

وعلقت على ممارسات الأجهزة الأمنية بقولها، لا نلوم تلك الأجهزة الإجرامية على جرائمها تجاهكن، فهذا يدنها وتلك طبيعتها فقد ربوا على تلك الدناءة واعتادوا على تلك الخسة، وإنما نلوم ونعتب على من تركهم يتمادون في غيهم ولم يتصدَّ لهم ولم يوقفهم عند حدهم.

وجهت الجماعة خطابها لعموم الناس قائلة ، كيف لرجل فيه بقية من مروءة أن يتلذذ بعيش أو يهنأ بنوم وهو يرى الحرائر يسقن إلى الأسر يجرهن جنود الإجرام وهن يصرخن ويستغثن وتئن كل واحدة منهن وصوتها يدوي ألماً وحسرةً على من خذلهن وترك واجبه بنصرهن !.

وتختم بيانها الذي التزمت بأن يخرج إلى النور بعد ساعات من تنفيذ العملية وفي المواعيد التي حددتها لنفسها في خروج البيانات، ولو علم الطاغوت أن خلف تلك الحرائر رجالاً سيثأرون وأن لهن أبطالاً سينتقمون لما تجرؤوا على نسائنا ولما تطاولوا على أعراضنا وما كانت السجون لتغص بفتياتنا، ولكنهم أمنوا العقاب فعاثوا في الأرض الفساد، فهبوا يا أهل النخوة والرجولة ولا يبتن أحدكم إلا وقد عزم على الثأر وأعد للرد وكل بما يستطيع ولا خير فينا إذا لم نثأر لعرضنا.

لعلّ الثأر للأسيرات أو الحرائر كما تحب أن تصورها أجناد مصر كان أكبر محرك لهم لتنفيذ العمليات، وهو ما أرادت إيصاله عبر رسائلها وبخاصة في التسجيل المرئي الذي بثته على المواقع الجهادية في 2014/4/17م وقالت فيه إن عملياتها بهدف الانتصار ممن تعدى عليهن: " فلا تخذلوهن بقعودكم "، ثم عرضت على الشاشة عبارات تعبر عن ذلك مثل: " عرضنا يستغيث " يصرخ وينادي: " هل من رجل يثأر أم أن الرجولة قد ماتت " لتختم التسجيل المرئي بعبارة التوحيد، لا إله إلا الله. . محمد رسول الله، " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام. فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ".

البيان السادس من أخطر البيانات التي صدرت عن جماعة أجناد مصر والذي أعلنت فيه مسؤوليتها عن استهداف كمين ميدان لبنان والذي راح ضحيته رائد الشرطة، محمد جمال، وكانت هذه العملية في2014/4/18م ، وقد أعلنت الجماعة مسؤوليتها في اليوم التالي للعملية، وقد أعلنت أنها رصدت بالصوت والصورة بيوت الضباط وأنه أسهل مكان للاستهداف؛ ولكنها رجعت وقالت إنها تراجعت عن ذلك للخوف من إصابة النساء والأطفال والتقيد بتعاليم الإسلام وأخلاقه في الحرب.

والغريب أن الجماعة تتقدم بطلب من أنصارها بضرورة التقيد بأخلاق الإسلام وتجنب استهداف الدماء المعصومة من الأطفال والنساء والمدنيين من الأهل، فنصر الله لا ينال بمعصية الله.

من أخطر ما جاء في البيان أيضاً الشكر الذي وجهته لمن قالت إنهم أمدوها بالمعلومات عن ضباط الأجهزة الأمنية، واعتبرت أن ذلك تفاعل طيب وطلبت المزيد.

قالت الجماعة في نفس البيان: " إنها نجحت في استهداف كمين ثابت للأجهزة الأمنية، وصفته بأنه يتربص بالشباب الأبرياء ليسلمهم إلى النظام حيث يسومونهم أشد العذاب في غياهب المعتقلات والسجون القمعية.

كما أعلنت الجماعة أنها نجحت في استهداف نقيب في الأجهزة الأمنية من خلال زرع عبوة ناسفة أسفل سيارته وتفجيرها وكان ذلك في يوم 2014/4/10م.

كما نجحت أجناد مصر حسب بيانها في 2014/4/15م بزرع عبوة ناسفة بمرتكز للأجهزة الأمنية بقرب قسم الدقي وتم تفجير العبوة فيه دون الحديث عن خسائر، غير أنها قالت إنها نجحت في استهداف ضباط الشرطة وأفراد الأجهزة الأمنية في معسكراتهم ومقراتهم وسياراتهم وكمائنهم.

نجحت الجماعة في اغتيال العميد أحمد زكي، الضابط بقوات الأمن المركزي أمام منزله يوم 2014/4/23م بعد أن استقل سيارة نصف نقل، حيث وضعت الجماعة قنابل لاصقة أسفل السيارة وقامت بتفجيرها فور تحركه بالسيارة.

خطورة هذه العملية أن الجماعة قامت بإرفاق ثلاث صور مع البيان الذي أعلنت فيه مسؤوليتها عن تنفيذ العملية وكان رقم ٧ بين بيانات التنظيم، ظهر العميد في الصور الثلاث وهو يتجه لركوب السيارة بطريقة قالت إنها كانت متخفية، فلم يكن يلبس زيه الشرطي من جانب ولم يركب سيارة شرطية وإنما كانت نصف نقل.

اختارت المكان والوقت كما ادعت في البيان الصادر عنها حتى تتلافى ضحايا غير الهدف الذي أرادته، وقد نجحت في ذلك رغم أن السيارة لم يكن عليها أي علامات تدل على انتمائه للأجهزة الأمنية وكانت تسير السيارة بسرعة عالية خوفاً من التتبع حسب ما جاء في البيان الصادر عنها.

الجماعة أرادت إيصال رسالة فحواها أننا قادرون على تطوير إمكاناتنا من ناحية والوصول لضباط الأمن في منازلهم وأثناء تخفيهم من ناحية أخرى؛ فالعملية كانت أمام منزله بمدينة السادس من أكتوبر بعد أن قالت إنها نجحت في رصد تحركاته وتصويره.

نشر ثلاث صور للعميد قبل تنفيذ العملية والإيحاء بأن أخبار ضباط الشرطة وتحركاتهم تأتيهم لحظة بلحظة، وشكرهم لمن يمدونهم بهذه المعلومات طالبين بالتواصل معهم وتقديم المزيد في البيان رقم ٦ دليل على أنهم نجحوا في الاختراق، وربما يكون هذا الاختراق من خلال أفراد أمن عاديين وليس قيادات خاصة، وأن مجموعة منهم أعلنوا عن انتماءاتهم بعد الثورة والبعض الآخر طالب بحقه في إطلاق اللحية، فقد يكون هؤلاء أمناء شرطة أو حتى ضباطاً إن صح ما أعلنت

الجماعة عنه عبر بيانها السادس والسابع، وقد أرادات أن تخوض حرباً نفسية ضد ضباط الشرطة أيضاً بأنكم مستهدفون استهدافاً شخصياً أمام منازلكم وحتى منازلكم ليست بعيدة عن الاستهداف، يأتي هذا بعد التحصينات الأمنية التي تصاحب المراكز الشرطية من أقسام ومديريات للأمن، وهو ما دفع هذه الجماعة وغيرها لإبداع وسائل جديدة بهدف ضرب ضباط الشرطة.

من أهم العمليات النوعية التي قامت بها جماعة أجناد مصر المتفجرات التي زرعوها حول قصر الاتحادية في ٣٠ يونيه ٢٠١4م والتي توافق الذكرى الأول لمظاهرات ٣٠ يونيه؛ فرغم أن الجماعة حذرت في بيان سابق لها من وجود قنابل حول القصر وبشارع مصطفى النحاس وقالت إنها ترفض تفجير هذه القنابل خشية أن يصاب المدنيون منها بأذى؛ فإن الداخلية تجاهلت البيان وما ورد فيه من معلومات حتى وقع التفجير ووقع ضباط الداخلية في نفس الأخطاء التي وقعوا فيها قبل ذلك أثنا، تفجير جامعة القاهرة في ٢ أبريل ٢٠١4م، حيث انفجرت عبوات أخرى أثناء عملية تمشيط المنطقة، فاستطاعت الجماعة حصد أرواح أخرى من الضباط فضلاً عن أنهم لم يستطيعوا فك القنابل التي زرعت لمدة ١٨ يوماً على باب القصر وفي محيطه.

قالت الجماعة فيما بعد في بيانها الذي أعلنت فيه مسؤوليتها عن تفجيرات قصر الاتحادية: " فتح الله على جنودنا الأبطال بالوصول بزرع عبوات ناسفة داخل (الاتحادية) ".

وأكدت أنها سبق أن حذرت المدنيين في بيان سابق صدر، الجمعة، بعدم الاقتراب من محيط القصر، رغم أن التفجيرات تمت يوم الاثنين، أي قبل التفجير بـ ٧٢ ساعة.

العجيب أن بيان الجماعة الذي سبق التفجيرات أعلنت فيه تفاصيل زرع عبوة ناسفة في محيط قصر الاتحادية، وذلك لاستهداف اجتماع لقيادات أمنية مسؤولة عن تأمين القصر، وعبوات أخرى تم زرعها بالمنطقة المحيطة لاستهداف القوات التي ستنتقل إليه عقب التفجير الذي تم التخطيط له؛ غير أنها قالت بأنها تراجعت عن تفجير العبوة الناسفة لوجود أفراد بزيّ مدنيّ قربها لم تستطع تحدياً انتمائهم لأجهزة الأمن، مؤكدة أن قوات الأمن التي مشطت محيط القصر لم تكتشف كل العبوات.

والأعجب أنها حددت مكان العبوتين في البيان بالقول: " توجد عبوتان ناسفتان في الزراعات الموجودة بزاوية القصر عند المدخل إلى شارع الأهرام من طريق الميرغني، وهو بالتحديد موضع الانفجار الذي حدث.

مما يذكر أن عملية أجناد مصر في محيط قصر الاتحادية جاءت بعد أيام قليلة من استهداف مترو الأنفاق، وهي تلك العملية الفاشلة لتؤكد على أمرين: أولهما أنها ضد استهداف المدنيين حتى وإن كان ذلك يخالف الحقيقة؛ ولكنها أرادت التشديد على هذا المعنى. ويبدو أن خلافاً شب داخل هذه الجماعة حول فكرة استهداف المدنيين، ولكنه حسم في النهاية ببيان الجماعة الذي أعلنت فيه تبرءها من أي عمل ضد المدنيين، وحاولت إثبات ذلك من خلال البيان والوقائع التي منعتها من تفجير العبوات الناسفة حول القصر، وفي الوقت نفسه استطاعت أن ترد على العملية الفاشلة بمحطات مترو الأنفاق والتي لم تعلن مسؤوليتها عنها، بعملية نوعية وناجحة حصدت أرواح اثنين من أهم خبراء ضباط المفرقعات.

ولكن على كل الأحوال، نجحت أجناد مصر على مدار فترة بسيطة من تطوير إمكاناتها بشكل مذهل، فكانت بمثابة الجماعة الرديف لجماعة أنصار بيت المقدس في تنفيذ عملياتها.

جماعة أجناد مصر رغم أنها جماعة وليدة وإمكاناتها محدودة فإنها استطاعت أن تطور من هذه الإمكانات، ولعلّ الظرف السياسي ساعدها على الاستمرار والنشاط والنجاح في تنفيذ عمليات هنا أو هناك، وبقاؤها مرهون بعدة أشياء فضلاً عن الظرف السياسي في مقدمته صمود هذا التنظيم وتطوير خطابه وتأصيل معتقده تجاه استخدام العنف، بحيث لا يكون ممارستهم للعنف مجرد رد فعل على ما حدث مثل عزل مرسي ينتهي بانتهاء الظرف، وإنما وفق رؤية فقهية وفكرية تستند إلى القرآن والسنة.

****

كتائب أنصار الشريعة بأرض الكنانة

هذا التنظيم نشأ مطلع عام 2014م وإن كان متأثراً بتنظيم الطليعة السلفية المجاهدة التي أنشأها أحمد عشوش في نوفمبر 2012م أثناء حكم الرئيس محمد مرسي والتي كانت ترى في كل الآليات الديمقراطية المستخدمة كفراً بواحاً، وقد أعلنت كفرها بكل هذه الوسائل مستخدمة في ذلك منطلقات شرعية.

جماعة أنصار الشريعة بأرض الكنانة اتخذت العمل الدعوي والخيري حاضنة للأفكار التي ظلت كامنة بعد ثورة 2011م وحتى صعود مرسي للسلطة، واضطر أصحابها أن يعبروا عن الوجه الآخر فور سقوطه؛ ومعروف أن هذا التنظيم له أصول في عدة أقطار أخرى في مقدمتها، تونس وليبيا والمغرب واليمن.

وهذه الجماعة ترفض الآليات الديمقراطية التي وصل " مرسي " من خلالها للسلطة، وعلاوة على ذلك تكفره ؛ لأنه يخضع الحكم بما أنزل الله للديمقراطية، يوافق عليها الناس أو لا يوافقون، ولكنها وجدت نفسها مضطرة في النهاية ليس للدفاع عنه وإنما للدفاع عن المشروع الإسلامي؛ ظناً منها أن الذين أسقطوا "مرسي" كان هدفهم الإسلام وليس شخص "مرسي" أو "الإخوان" ويضاف لذلك أنهم كما جاء في بياناتهم يقومون بالرد على أجهزة الأمن التي قتلت واعتقلت واعتدت على النساء.

تمثل هذه الكتائب المجموعات الجهادية التي دخلت السجون نتيجة استخدامها لأعمال عنف سابقة في مطلع التسعينيات، ولكنها رفضت المشاركة في أي مبادرات فكرية أو فقهية وذهبت لأبعد من ذلك بتكفير من راجعوا أفكارهم، بل ظلت صامدة على مبادئها وأفكارها حتى قيام ثورة يناير، فهي ترى أن الدين الحقيقي في حرب أعدائه وجهادهم بالنفس والمال حتى إقامة الشريعة الإسلامية وأن يكون ذلك بلا استئذان أو انتخابات، فلا يستأذن الناس في حكم الله الذي نزل

من فوق سبع سموات، استطاعت هذه المجموعات أن تؤثر في قطاعات شبابية أخرى سواء داخل السجون أو بعد أن خرجوا منها على خلفية ثورة يناير 2011م.

تستخدم العنف سبيلاً لها من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، ينتمي أعضاؤها لأفكار القاعدة، فقد خرجت جماعات وتنظيمات كثيرة بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي ؛ تنتمي إلى القاعدة فكرياً وإن كانت قد خرجت بمسميات مختلفة وبعيدة عن اسم القاعدة، حملت فكر القاعدة دون أن تحمل اسمها، أحد أهم أبرز الأسماء المؤسسين لها، محمد الظواهري، شقيق زعيم تنظيم القاعدة، وغيرها من الأسماء التي ظلت على أفكارها ومبادئها السابقة، غير أن نشأة هذه الجماعة جاءت ردَ فعلٍ على سقوط الإخوان أولاً وعلى جهد هذه المجموعات قبل سقوط الجماعة ؛ حيث أخذوا مساراً يتعلق بالعمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية وأنشؤوا جمعية بهدف العمل على تطبيق الشريعة وجمعوا حولهم الأنصار.

أحد أبرز الأسماء الموجودة في هذا التنظيم وتجمعه علاقة مع قياداته كما ذكرنا، محمد الظواهري، شقيق زعيم تنظيم القاعدة، وأحد زعماء قاعدة الجهاد في مصر؛ وهذا إن دل فإنما يدل على العلاقة بين هذا التنظيم والقاعدة في الإطار الفكري والتنظيمي معاً، وهذه المجموعة ذاتها التي رفضت الموافقة بأي مبادرات فكرية وفقهية وتمسكت بأفكارها واعتبرت أن أي تغيير فيها نقص من الدين.

وعلى أرجح الأقوال، تشكلت هذه الكتائب في شكل سرايا، فأغلب أعضائها سافروا إلى مناطق الصراعات المسلحة بدعوى الجهاد فيسبيل الله واكتسبوا خبرات حاولوا من خلالها تنفيذ عمليات مسلحة ، تميزت عملياتهم بالقنص المباشر وكان أغلبهم على ما جاء في البيان الثاني لها والذي تبنت من خلاله قتل عدد من رجال الشرطة من محافظة الشرقية وتلتها محافظة بني سويف، أصحاب خبرة في العمل العسكري، وغالباً عمليات القنص تحتاج إلى خبرة لها علاقة بالتدريب وهو ما حصلوا عليه من قبل وليس لديهم مشكلة فيه، ويحتاج ذلك قدرة عالية على التخفي سواء قبل أو

أثناء العملية أو بعدها، وهذا الأمر يحتاج لقدر كبير من التدريب والممارسة لا يمكن أن يجمعها شخص إلا ذو خبرة أو تلقى تدريباً متميزاً.

جزء كبير من أعضاء هذه الجماعة أعمارهم تعدت الخمسين عاماً؛ فقدرتهم الجسمانية ضعيفة على القتال بسبب سنوات العمر التي قضوها في السجون وأنهكتهم، وهم يعتمدون أكثر على مجموعات الشباب الذين تأثروا بهم داخل السجون في تنفيذ العمليات المسلحة.

هذه الجماعة لا تعترف بالدولة ولا بالانتخابات، وتدعو من اسمها والشعار الذي ترفعه إلى إقامة الخلافة الإسلامية على اعتبارها مظلة تجمع المسلمين تحتها وترى أن قتالها يفتح الباب أمام تطبيق شرع الله.

أول ما ظهرت هذه الجماعة في اليمن عام ٢٠٠8م على يد أبي المنذر الشنقيطي، فقد كان فقيها، والعجيب أن التنظيم حمل عدة أوجه في عدة دول وكان أخطرها الوجه الدعوي والخيري في مصر، وما هو إلا وجه جديد لتنظيم القاعدة، مثل الوجه الخدمي والدعوي الذي ظهرمن خلاله، السيد أبو خضرة، من خلال جمعيته أنصار الشريعة بمحافظة الإسكندرية، تلك المدينة الساحلية التي ينتمي إليها والقريبة من قائدها، أحمد عشوش والذي كان يسكن محافظة البحيرة.

شعار التنظيم عبارة عن يد تمسك بمسدس في إطار بروازي وعلم أسمر يأخذ نفس الشكل بلون أسمر ومكتوب عليه عبارة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وضعت الجماعة شكلاً آخر في خلفية البيان عبارة عن سيفين تتوسطها من فوق عبارة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحت السيفين كتائب أنصار الشريعة.

مفهوم من العمليات التي قامت إحدى السرايا بتنفيذها أنها موجودة في عدة محافظات أشهرها، الشرقية والدقهلية ودمياط والبحيرة والإسكندرية؛ فمحافظة الشرقية هي المحافظة التي تتميز بوجود التيار الجهادي فيها بكثرة وبالتالي كونوا من هذا التيار كتائب أنصار الشريعة، ورغبوا في التمايز عن التيارات الأخرى خارج حدود الوطن فألحقوا ذلك بكلمة، بأرض الكنانة، ليصبح الاسم، كتائب أنصار الشريعة بأرض الكنانة.

وكما ذكرنا أن جماعة الجهاد والجهاديين عموماً الذين لم يوافقوا على مبادرات السجون هم النواة الأولى لهذه الكتائب ومنهم تتشكل، وعندما نجدأن الشرقية قتل فيها أعداد كبيرة على يد هذه الكتائب لا نستغرب ذلك نظراً لوجود أعداد ضخمة للتيار الجهادي بهذه المحافظة.

صدر البيان التأسيسي الأول في ٤ مارس **2014**م تلاه البيان الثاني والذي أعلنت فيه قتل أمناء، الشرطة، والعجيب أن البيان ذاته كشف على أن محاولتهم التي نجحت والتي فشلت أيضاً كانت ضد أمناء الشرطة فحسب.

أطلقت على نفسها سرية أبي بصير، القائد: أحمد عبد الرحمن، وعبرت عن مبرراتها لقتل من أسمتهم بالأمناء الخونة خدام الطواغيت من الشرطة والجيش، أن ذلك انتقاماً لعرض حرائرنا التي انبرى لهن سرية من سرايانا على عجالة من أمرهم، لما رأينا ورأوا من تطاول أفراد الشرطة النجسة وتطاول كلابهم المسمين بالأمناء الخونة على أخواتنا.

في موضع سابق نجد هؤلاء يكفرون من أسموهم في هذا البيان بإخواننا ويتهمونهم بأن عقيدتهم فيها خور ودخل ويتهمونهم بالكفر، وعندما تعتدي عليهم أجهزة الأمن تصفهم هذه المجموعات بـ " إخواننا " ويدفعهم ذلك للقتال من أجلهم!.

وواضح من لغة البيان الفجة المليئة بالسباب، المستوى التربوي الذي وصل إليه هؤلاء الجهاديون، فلم يكونوا أعفة اللسان، وكان بعضهم يتهم بعضاً بالكفر البواح رغم أنه كان يشاركه الفكرة غير أنه اختلف معه فيها، وهذا إن دل فإنما يدل على المستوى المتواضع لأخلاقهم والذي يحاولون من خلاله صفع هؤلاء المختلفين بألسنة حداد، تدل على مستوى التربية الرّوحية، ولعلّ فحش القول دليل واضح على ذلك.

ادعت سرية أبي بصير بأنها نجحت في قتل سبعة من أمناء الشرطة بمحافظة الشرقية واستهدفت أربعة آخرين، أما في محافظة بني سويف، فإنها أعلنت أنها نجحت في اغتيال ٦ ما بين أمناء شرطة ورقيب شرطة وقالت، إنها استهدفت دورية شرطة تأمين طريق مصر أسيوط الزراعي بالحوامدية

أسفرت عن مقتل ثلاثة وإصابة آخر، كما أنها استهدفت أحدهم بمركز الصف بالجيزة من خلال طلق بالرأس، ولم يوضح البيان إن كان قد قتل أو ما زال على قيد الحياة.

جاء في البيان التأسيسي الأول: إن أشد ساعات الليل ظلمة قبل طلوع الفجر، وها هو نور فجرك قد لاح، فبعد طول ظلمة من الظلم والفساد، وانتهاك حرمات المسلمين، وقبل كل ذلك محاربة شرع رب العالمين، ومناصرة الكافرين من نصارى وعلمانيين، فها هم رجالك يتجرعون كؤوس الذل والهوان لما حادوا عن سبيل العز والجهاد، وأسلموا أنفسهم وأمتهم إلى أهل التثبيط والإرجاف ممن اتخذوا الديمقراطية سبيلاً، ولم يرضوا عن السلمية بديلاً؛ استجداء ورضاء لجيش عميل لم ير له سهم إلا في ظهور المسلمين، وشرطة مرتدة تحارب كل مظاهر الدين.

أخواتنا... معذرة إن كنا قد تأخرنا عن نصرتكن - ونسأل الله أن يغفر لنا - فإخوانكن قد تبايعوا على الموت لإعلاء كلمة الله والثأر لكن ولتعلمن أن في الأمة رجالاً باطن هذه الأرض خير لهم، من أن ينال منكن وهم أحياء.

استغلت هذه الجماعة الفرصة لتوضح سلامة منهجها عندما فسرت في البيان، بأن ما حدث كان نتيجة طبيعية لمن أسمتهم المثبطين وأهل الإرجاف الذين يتجرعون كؤوس الذل، لأنهم ارتضوا بالديمقراطية سبيلاً بعد أن حادوا عن سبيل العز والجهاد، في الوقت نفسه يعتذرون فيه عن تأخرهم لنصرتهم، ولكنهم يقولون عن أنفسهم إنهم تبايعوا على الموت وأن باطن الأرض خير لهم من ظاهرها.

بعد هذه الكلمات التي حاولت كتائب أنصار الشريعة من خلالها أن توضح مبرراتها للقتل، دعت الجميع للخروج إلى ما أسمته بالجهاد والدفاع عن الأعراض وتحريض الآخرين على القتل فجاءت الفقرة الثانية بالدعوة إلى الجهاد: قوموا مثنى وفرادى راجلين أو راكبين، ارفعوا عن أنفسكم وأمتكم ذل القعود، اغزوا في سبيل الله كل من كفر بالله واثأروا لأعراضكم، واستحضروا معية الله، والله لن يخذلكم، إن تنصروه ينصركم والله سترون خور هذه المنظومة المترهلة.

خذ حذرك، واحمل سلاحك يا أخي، وضعه في رأس أقرب مرتد وانظر بعدها كيف تجد نفسك والله ستندم بعدها على كل يوم تركت فيه الغزو في سبيل الله، لا تكلف إلا نفسك وحرض إخوانك، والله إنها العزة والكرامة أو الشهادة، والملتقى الجنة.

هذه الكتائب تحرض على استخدام العنف وتعد بالأجر الوفير في الآخرة، وتأثير ذلك على من يحمل السلاح في الدنيا بشعوره بالندم على كل يوم ترك فيه الغزو في سبيل الله.

وفي النصف الأخير من البيان التأسيسي أعلنت الكتائب أنها تتربص بمن أسمتهم بالطواغيت حتى ينالهم عذاب من الله بأيدي المجاهدين، فوجهت رسالة للطواغيت ومن أسمتهم بالخدم جاء فيها:

هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بإيدينا، جئناكم بالذبح ولنقاتلنكم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذا البيان هو الفيصل بيننا وبينكم فإن طال أذاكم وتبجحكم نساءنا وأطفالنا فوالله لن نجعلكم تأمنون على بيوتكم وأطفالكم ولنعلمك قدر حرائرنا عندنا فإن ظفر إحداهن أطهر من ملء الأرض من أمثال نسائكم فها هي بيوتكم تحت أعيننا؛ وما حل في الشرقية وغيرها بكلابكم على أيدي أسودنا ليس ببعيد وستفضح بياناتنا القادمة دجل إعلامكم، وأن هذاالمستنقع الذي أقحمتم فيه أنفسكم وأهليكم لا مخرج لكم منه إلا أن تتوبوا إلى الله، والانحياز إلى دينه وشريعته، والله لقد تبايع جنودنا على الموت، وهم عازمون بعد هذا الإنذار أن يملؤوا بيوتكم ناراً ورعباً، قال تعالى: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم "، قال الله تعالى: " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون " والله مولانا ولا مولى لكم.

تستطيع أن تلمح شبهاً كبيراً بين البيان التأسيسي لكتائب أنصار الشريعة التي نشأت في مطلع عام 2014م وبين الطليعة الجهادية التي أعلن، أحمد عشوش عن نشأتها في نوفمبر 2012م

وجاء في بيان تأسيسها: إلى عموم المسلمين في أنحاء العالم، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد، "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك

هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين"، "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب"، "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير" ، "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين".

انطلاقاً من هذه الآيات المباركات تنطلق الطليعة السلفية كحركة وتيار دعوى يجد ويجتهد ويقاوم باللسان والسنان، والدعوة والبيان، كل مشاريع الاستعمار والهيمنة العالمية لدول الاستعلاء والكفر وأذنابهم في العالم الإسلامي، الذي صار هدفاً للاستعمار الصهيو صليبي، النظام العالمي الذي تقوده أمريكا.

وهذه تماماً أفكار القاعدة التي ترى ضرورة مقاتلة العدو البعيد؛ ولذلك أنشأت الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين عام **1998**م ، فهي ترى أن ذلك أول من قتال العدو القريب، وغيرها من الجماعات يرى عكس ذلك من مقاتلة العدو القريب وأن زواله يفتح المجال لقتال العدو البعيد، ويستشهدون في ذلك بأن أكثر آيات القتال في القرآن كانت لقتال المنافقين والمرتدين وهم بمثابة العدو القريب، وليس لقتال اليهود والصليبيين.

تبتغي الطليعة السلفية بيان الحق، ورد البهتان، ودحض الافتراءات التي يطلقها أعداء الإسلام، وتبيين حقائق الإسلام الناصعة البينة، وذلك تحقيقاً لأهداف نبيلة، نصرة لدين الإسلام، وإقامة لخلافة إسلامية راشدة، تكون ملاذاً لجميع المسلمين على وجه البسيطة.

فنحن تيار إسلامي أصيل يعمل على إحياء، العمل بالكتاب والسنة وتجديد شباب الأمة، وإقامة دولة الخلافة الإسلامية بكل الوسائل والسبل المشروعة والمتاحة، ونؤكد على الدعوة والجهاد كجناحين لا غنى عنهما لنشر الإسلام والحفاظ عليه، فقوام هذا الدين كتاب يهدي وسيف ينصر، وجماع ذلك يكون بخلافة

إسلامية راشدة، إذ أننا نعتقد أن التغيير الكامل والإلزام التام بالكتاب والسنة لا يتم إلا بسلطة: إسلامية راشدة وعادلة، وقد حرص النبي (ص) مع أنه الداعي الأول إلى هذا الدين على إقامة سلطة

قوامها العدل والرحمة التي جاء بها الإسلام، وفهم أصحابه رضي الله عنهم ذلك وعملوا به، فلم يدفن (ص) إلا وقد بايعوا لأبي بكررضي الله عنه، وذلك يؤكد على أهمية السلطة ودورها البالغ في القيام بأمر الإسلام، ولذلك قال النبي (ص) :" من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"، وهذا الذي جعل الصحابة رضي الله عنهم يعجلون ببيعة أبي بكر قبل دفن النبي (ص)، ومن ثم فقد أجمعت الأمة على وجوب نصب الخليفة، ولم يخالف في ذلك إلا نفر قليل من أهل البدع ممن لا يعتد بقولهم، وذلك لأهمية السلطة في الإسلام، ففيها تقام الحدود، وبها تُحمى الثغور، وبها يقام الجهاد، ولذلك أجمع العلماء على إثم المسلمين متى تركوا هذا الواجب، وهو تنصيب الخليفة.

فمن الواجب على الأمة القيام بأمر الخلافة وبنصب خليفة مستوفٍ لشروط الإمامة لتحقيق الأهداف المبتغاة لهذه الأمة، وبما أننا دعوة شاملة نأخذ الإسلام بشموله وعمومه، فإننا ندعو المسلمين إلى القيام بأمر الإسلام عقيدة وشريعة، وذلك لا يكون إلا بكتاب هاد وسيف ناصر، وجماع ذلك لايكون إلا بخلافة إسلامية راشدة لكي تتحقق الأهداف المأمولة لهذه الأمة، ومن ثم فإننا ندعو ونعمل على إقامة خلافة إسلامية راشدة تحقيقاً لهذه الأهداف التي نعتقدها ونبذل قصارى جهدنا في تحقيقها.

عدد، أحمد عشوش، الأهداف التي من أجلها شكل الطليعة السلفية المجاهدة ولخصها في عدة نقاط جاءت في البيان التأسيسي الأول، وهي:

1-تحقيق التوحيد وتعبيد الناس لربهم، وذلك يكون بمتابعة النبي (ص) في كل أمر من أمور الإسلام، وذلك بإقامة حكم الكتاب والسنة.

2-بيان نواقض التوحيد وحقائق الشرك وتحذير المسلمين من ذلك، والإنكار بمراتبه على من قام بذلك.

3-محاربة البدع وأهلها وهتك أستارها وبيان ما فيها من الباطل، ودعوة المسلمين إلى التمسك بالسنة وترك البدع وأهلها.

4-دعوة المسلمين إلى القيام بأمر العبادات والالتزام بأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة... إلخ.

5-دعوة المسلمين إلى التمسك بآداب الإسلام وهديه في السلوك والعادات ومحاربة التهتك والفسق والمجون والعري والاختلاط.

6-الدعوة إلى تحرير بلاد المسلمين من الاحتلال الأجنبي ومقاومة الاستعمارالحديث، لا سيما الاستعمار الصهيو صليبي الذي تقوده أمريكا والغرب.

7-محاربة الشرك السياسي المتمثل في الليبرالية والشيوعية، ونقد الأسس الفلسفية التي قامت عليها هذه النظريات الجاهلية، وبيان ما فيها من شرك وضلال.

8-مقاومة الأنظمة الطاغية الحاكمة بغير الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى تحكيم الشريعة ونبذ القوانين الإباحية الكفرية الجاهلية المستوردة من أوروبا وكل بلاد الكفر.

9-دعم وتأييد الثوار ذوي الأهداف الإسلامية المشروعة.

10-دعم المجاهدين وحركاتهم وجماعاتهم في مختلف بلاد المسلمين لمقاومة الاستعمار الصهيو صليبي، ويأتي هذا على رأس أولوياتنا.

11-السعي في فكاك أسرى المسلمين ودعم قضاياهم ودفع الظلم الواقع عليهم.

12-التفاعل مع المطالب المشروعة للشعوب المسلمة من الحرية والعدل وسائر الحقوق المرتبطة بالشريعة الإسلامية.

13-دعم القضايا الإسلامية في الداخل والخارج والتصدي للمناهج والتيارات الفكرية المنحرفة والمنكرات الشائعة في المجتمع.

14-مقاومة عمليات التنصير وغسيل العقول في المناهج التعليمية والتربوية على مستوى مصر وسائر بلاد العالم الإسلامي.

15-الاستقلال بنظام تربوي يستمد أصوله وتصوراته من العقيدة الإسلامية الصحيحة لمنهج أهل السنة والجماعة، وهذا هدف رئيس للتيار الجهادي، يبذل فيه قصارى جهده.

16-إشاعة العلم الشرعي بمفاهيمه السلفية الصحيحة لعموم الجماهير المسلمة دون استثناء لأحد من المسلمين.

وننطلق فيتحقيق ذلك كله من عقيدة إسلامية راسخة، هي عقيدة سلفنا الصالح، فلا نصدر في قول أو فعل إلا عن هذه العقيدة.

ظهور هذه الكتائب واختفاؤها فجأة يدل على ضعف الامكانات وقلة أتباعها؛ فرغم الزخم الذي يميز هذا التنظيم على اعتبار أن قياداته لهم خبرة في العنف، فإنه يفتقد لعنصر الشباب بعد أنحيل بينهم وبين الدعوة بسبب سنوات السجن الطويلة.

وربما هذا يفسر اختفاء التنظيم، فما بين الوقت والآخر يظهر بعملية، ولكن هناك فوارق زمنية كبيرة بين هذه العمليات؛ وربما استطاعت أجهزة الأمن أن ترصد هذا التنظيم بسهولة، فهناك معلومات متوافرة عن أعضائه منذ أن كانوا في السجون وبعد أن خرجوا يمارسون نشاطهم، بخلاف جماعة أجناد مصر والتي تتكون من مجموعة شباب في مقتبل العمر ولم يشارك قطاع كبير منهم في العنف قبل ذلك، ولم يذهبوا لمناطق الصراع بأفغانستان كما حال هذه المجموعات التي نتحدث عنها، وبالتالي فهم غير مرصودين أمنياً وهو ما يصعب من مهمة مواجهتهم؛ وبالتالي يسهل من مهمة تصيد المجموعات التي يتوافر لأجهزة الأمن معلومات عنها.

****

كتائب الذئاب المنفردة

هذه المجموعات التكفيرية تنتشر في الخارج بشكل كبير جداً؛ لأسباب منها أنها لا تعتمد على فكرة التنظيم، بل إنها قائمة على اللا تنظيم، وهدفها الأساسي استنزاف الخصم من خلال الدخول معه في معارك عسكرية، وقد يجد الخصم عقوبة بالغة في التعامل مع هذه المجموعات؛ لأن كل مجموعة عبارة عن شخص، فإذا نجحت أجهزة الأمن في القبض على شخص لا تستطيع القبض على الآخر فلا توجد روابط تنظيمية تجمع هذه المجموعات ولا هؤلاء الأشخاص.

فكرة هذه الكتائب قائمة على تنفيذ عملياتها العسكرية بشكل منفرد لكل عضو فيها؛ بهدف تحقيق أكبر قدر من الخسائر العسكرية للأجهزة الأمنية التي تجد صعوبة حقيقية في التعامل الأمني مع الأفراد المسلحين بشكل منفرد وليس تنظيماً، كما أنها تجد صعوبة في التعامل مع الخلايا العنقودية والتي تمثل مجموعات صغيرة ومحدودة؛ وبالتالي يتطلب منها الوصول لكل هذه المجموعات وليس لمجموعة واحدة تدل على بقية التنظيم.

إذا غاب عن أجهزة الأمن قاعدة المعلومات والبيانات أصبح الأمر أشد خطراً، فلا معلومات ولا تنظيم تستطيع أن تصل لرأسه من خلال القبض على ذيوله.

في حال الذئاب المنفردة، إذا نجحت أجهزة الأمن في القبض على أحدهما لا تستطيع القبض على آخرين بسبب عدم وجود رابط تنظيمي بأي صورة ببقية الأعضاء بين هذه المجموعات أو الأفراد، ودائماً يكون التواصل بين هذه المجموعات من خلال شبكة الإنترنت التي تغيب عنها الرقابة الإلكترونية، التي تتيح لأجهزة الأمن القدرة على الوصول للجرائم الإلكترونية بسهولة شديدة.

ولكن نستطع إن نقول إن هؤلاء الأفراد محدودو الإمكانات، فكل إمكاناتهم العسكرية اكتسبوها بشكل نظري ولم يكن هناك تطبيق عملي إلا من خلال ما ينفذونه من عمليات، فضلاً عن أنهم غير قادرين على تلافي الأخطاء أو المشاركة في وضع خطة محكمة يكونون مع آخرين جزءاً منها، وبالتالي يتلافون أخطاء سابقة في عملياتها، ولم تتوافر لهم قيادة عسكرية تعطيهم التعليمات

والنصائح التي تفيدهم في تنفيذ العمليات؛ ولعلّ هذا السبب وراء قلة عملياتها من ناحية وضعفها من ناحية أخرى فضلاً عن ندرتها.

استطاعت أجهزة الأمن القبض على أغلب المجموعات الجهادية من خلال القبض على شخص أو مجموعة، كما ذكرنا وكان ذلك واضحاً مع الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد الإسلامي في مصر عندما كانت تخوض حرباً مع الدولة، ظهرت معالمها في التسعينات من القرن الماضي؛ كانت تحقق ذلك إما من خلال التحقيقات حيث كانت تتمكن أجهزة الأمن من الوصول لباقي التنظيم من خلال نجاحها في القبض على جزء منه أو من خلال التحقيق مع بعضهم؛ حدث ذلك مع أغلب الجماعات الموجودة على الساحة؛ فتنظيم طلائع الفتح قبض عليه في ليلة واحدة بعد القبض على مجموعة اعترفت على باقي المجموعات الأخرى، وقد استخدمت أجهزة الأمن طريقتها في نزع الاعترافات، فأياً كانت الوسيلة إلا أنها تصل في النهاية لباقي التنظيم، كما قبض على أعضاء الجناح العسكري للجماعة الإسلامية وبخاصة الذين وصلوا للقاهرة بعد فترة تدريب في الخارج، بعدما نجحت أجهزة الأمن في القبض على بعضهم وهم من دلوا على بقية التنظيم، وبالتالي فكرة التنظيم فكرة عبقرية لأجهزة الأمن تساعدها في الوصول لباقي الأعضاء؛ أجهزة الأمن تستطيع من خلال القبض على بعض أعضاء التنظيم القبض على كل التنظيم، وقياداته وتستطيع أن تصل إليهم جميعاً طالما كان هناك رابط تنظيمي من خلال عدة أساليب تستخدمها جهات التحقيق التابعة لأجهزة الأمن؛ فقد يستمر التحقيق مع بعض الأشخاص أياماً وقد تصل لأسابيع.

وأكثر ما كان يزعج أجهزة الأمن وجود خلايا عنقودية للتيارات الجهادية؛ فمهما بذلت أجهزة الأمن مجهوداً للقبض على شخص فإنها لا تستطيع الوصول إلا لمجموعة واحدة، لأنها لا تعرف غيرها ولا تتعاون مع أحد سواها؛ رغم أن بعضهم كان يعرف بعضاً بأسماء كودية حتى لا يكشفوا بعضهم تحت وقع التعذيب، وعلى كل الأحوال الذئاب المنفردة فكرة جديدة ومختلفة في مصر وتسبب صداعاً لأجهزة الأمن؛ لأنها تحتاج إلى تتبع لكل فرد فيها وأخذ الاحتياطات الأمنية إزاء أي عمل قد تفاجأ بتنفيذه؛ وإن كانت تظن أن الأعمال الفردية سوف تكون ضعيفة ولنتكون مؤثرة؟

ولكنها سوف تحدث اضطراباً وتثير قلاقل وتجهد أجهزة الأمن في البحث وأخذ احتياطات درجة التأهب القصوى.

ولكن قلة وجود هؤلاء وخبرتهم المتواضعة جعلا تأثيرهم ضعيفاً للغاية، فتلاشى الخطر الذي قد يسببونه بسبب عدم وجود تنظيم يجمعهم، وربما أن الإسلاميين في مصر يرون ضرورة العمل الجهادي في إطار تنظيمات؛ فمستقر لدى التنظيمات التكفيرية ضرورة العمل الجماعي، وبالتالي في مصر يميل هؤلاء الجهاديون للعمل تحت شعار جماعة يظن بعضهم أنها جماعة المسلمين، أو أنها الأصح لفكرة الإسلام وتطبيقه.

تمثل الذئاب المنفردة الجيل الجديد لتنظيم القاعدة وإن كان اسمها يختلف في المسمى والعمل، ولكنه في الوقت نفسه يتفق مع القاعدة في المضمون؛ فهؤلاء الشباب تربوا على أفكار القاعدة في بلدانهم ولكنهم لم يتمكنوا من الارتماء في حضن التنظيم، فكان البديل الاستفادة من قدرته على تنفيذ العمليات ولكن بطريقة منفردة ترهق أجهزة الأمن وتحقق آلاماً موجعة في تفاصيل جسد الدولة والأمن معاً، وقد استفادت الذئاب المنفردة من وضع التنظيمات الجهادية التي تسقط بحكم الشبكة التنظيمية، ولذلك كانت فكرتها حول العمل التنظيمي من خلال شخص واحد.

يطلق عليها البعض الجنود التائهة في محاولة لتعريب المسمى منه لأسلمة هذه الكتائب التي نشأت في أحضان الغرب الذي لم يعرف الحركات الجهادية الدينية، وإن كانت هناك مجموعات مافيا مسلحة ومنظمة؛ ولكن تظل الطريقة واحدة بينها وبين المجموعات الأخرى في أوروبا والتي تشبه المافيا ولكنها تفتقد إلى التنظيم كما ظهرت في بريطانيا والولايات المتحدة؛ تقوم بتنفيذ العمليات بشكل مفاجئ ودون سابق إنذار، وقد يكون أعضاؤها مجموعات صغيرة ولكنها متناهية الصغر وربما لا تعرف هذه الأعداد عن بعضها الكثير، في محاولة للحفاظ عل الأفراد كاستراتيجية أمنية.

نشأت هذه المجموعات خارج مصر ورغم أنها ظهرت في مصر، فإن التجربة العملية أثبتت أنه لا مكان ولا مستقبل لها.

شكلت هذه المجموعات من أفراد غير معروفين للأجهزة الأمنية؛ وبالتالي حاولوا أن يدخلوا في تشكيلات تنظيمية بأن تظل بعيدة عن الرصد، وأصبحت وسائل التجنيد عبر الإنترنت هي الطريقة المعتمدة لدى هذه الكتائب التي ظهرت في نوفمبر 2013م.

أغلب عمليات هذه الكتائب، إما قنص لأفراد الشرطة أو اعتداء على أقسام الشرطة أو ضربهم عبر الكمائن، ولم يتخصصوا في التفجيرات التي تستلزم إمكانات لوجيستية هائلة لا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد.

يبدو من شعار الجماعة الذي ترفعه الفردية في تنفيذ العمليات؛ يتكون الشعار من شكل لولبي يحوي كلمة التوحيد، لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، ورجل ملثم يحمل سلاحه بينما يرتكن الشعار على بندقيتين.

تحاول هذه الكتائب أن تستخدم سلاح الردع في ضرب الخصوم من خلال الإعلان عن القبض على ابنة من قالوا إنه بطل فض اعتصام رابعة العدوية وإطلاق سراحها فيما بعد والتشهير بذلك عبر أحد بياناتهم بالقول: "نحن أيضاً نستطيع الوصول لكم في بيوتكم فابتعدوا عن نسائنا وإلا فأولادكم سيعتبرون هدفاً مباحاً لنا وإن أمنتم أنفسكم، فلن تستطيعوا تأمين أولادكم في مدارسهم ومعاهدهم وخروجهم وإن عدتم عدنا ".

نجحت الكتائب في استهداف المولد الكهربائي الذي يغذي مبنى المخابرات العامة بمنطقة حدائق القبة واختراق الكراج المجاور، فضلاً عن استهداف بعض الضباط بطريقة بدائية تعتمد، على أشخاص محدودين دون تنسيق خلية أو سرية، وبالتالي لم نشاهد أي تسجيلات مرئية لهذه المجموعات الصغيرة والتي تعتمد في تنفيذ عملياتها على أقل الأعداد قدر الإمكان.

تلمح من خلال البيانات التي صدرت عن الكتائب أن جهاديين قدامى وراء هذه الفكرة، حتى تلحظ عبارة إن عدتم عدنا والتي استخدمها هؤلاء الجهاديون أثناء التحقيقات معهم في أحداث العنف في التسعينيات من القرن الماضي، وبعضهم كان يرددها وأصبحت جزءاً من خطابه بعد ثورة 25 يناير والتي أتاحت لهم فرصة التحرك بأريحية.

فهؤلاء الجهاديون قضوا سنوات طويلة داخل السجن وليس لديهم استعداد لدخوله مرة ثانية، وأغلب هؤلاء دخلوه باعترافات آخرين عليهم أو من خلال تواجدهم مع قيادات جهادية في مكان واحد، ولذلك أصر هؤلاء على العمل ولكن بصورة فردية تلافياً للقبض عليهم.

تظل المجموعات الجهادية في الوجه البحري لا تأخذ أشكالاً تنظيمية، على غرار الجماعات التي نشأت في شبه جزيزة سيناء والتي كانت تتحرك بحرية نظراً لطبيعة الأرض التي كانت تحميهم من الاستهداف والنظام القبلي الذي فرض نوعاً من الحماية وتخاذل الدولة في معاقبتهم، فضلاً عن أن تحارب الوجه البحري من خلال التنظيمات المسلحة كانت مخزية؛ حيث تم القضاء على أغلب هذه التنظيمات من ناحية وتوبة بعضها من ناحية أخرى، فضلاً عن لجوء مجموعات جديدة للعنف بعضها كانت خبرته منعدمة والبعض الآخر لديه تجربة ربما دفعته للعمل بطريقة منفردة ؛ حتى لا يقع تحت أسر عجائب التنظيمات التي تصبح سبباً في القبض على أعضاء كثيرين لمجرد القبض على أحد أفراد المجموعة.

ولكن تبقى عمليات هذه الكتائب متواضعة كما أسلفنا الذكر، وتأثيرها أيضاً ضعيفاً حتى هذه اللحظة بسبب قلة الأعداد من ناحية والأخطاء التي يقع فيها الأعضاء نتيجة انعدام التواصل مع أصحاب الخبرة من ناحية أخرى، والأهم من هذا وذلك تأثيرها الضعيف بل والمنعدم، فلم تعد قادرة على ضم أفراد جدد لها ولا حتى توجيههم، حتى ظلت مجرد فكرة تلقى هوى البعض بين الوقت والآخر، ولكنها غير قادرة على إعادة الإنتاج الغزير في ظل بيئة تحارب الإرهاب بكل ما تملك، مع وضع في الاعتبار أن البيئة المصرية لم تكن حاضنة لمثل هذه الأفكار، فأغلب الإسلاميين في مصر يميلون إلى الانضمام لتنظيمات ويرون العمل الجماعي ضرورة شرعية وسنة كونية لإقامة الخلافة الإسلامية أو لمواجهة أعداء الشرع؛ وبالتالي لن يتحقق ذلك إلا من خلال التنظيم والعمل الجماعي.

جماعة جند الإسلام

هذه الجماعة ظهرت لمرة واحدة ثم اختفت بعد ذلك، ولعل تفجير مبنى المخابرات الحربية برفح في ١٢ سبتمبر **2013**م ، بمثابة العمل الأول والأخير في حياة هذا التنظيم الذي انضم لأنصار بيت المقدس فيما بعد على أرجح الأقوال؛ فقد نشأ في شبه جزيرة سيناء والتي يسيطر عليها تنظيم أنصار بيت المقدس أو يعتبر التنظيم الأبرز والأكبر في هذه المنطقة، وعلى انضمامه لهذا التنظيم أنه كان ممثلاً في مجلس شورى المجاهدين، والذي يضم تيارات وتنظيمات جهادية، ومن هنا حدث الالتقاء وارتأت تنظيمات صغيرة منها جند الإسلام الاصطفاف في تنظيم واحد حتى تستطيع مجابهة الجيش المصري.

قام هذا التجمع الذي ظهر فجأة واختفى فجأة بتعريف نفسه قائلاً: " إنه تجمع نشأ في إطار توحيد عدة كتائب عسكرية وجهات مدنية تؤمن وتنطلق في عملها من كون الشريعة الإسلامية هي المنهاج الذي يقاد به الإنسان وينصلح عليه حال البلاد والعباد بغية توحيد العمل الإسلامي ورص الصفوف، انطلاقاً من هذه المنطقة وتلاقياً مع كل المشاريع المشابهة الأخرى لتحقيق الهدف الأسمى ولتعود الرقاب كما التراب الإسلامي تحت ظل راية الإسلام ودولته التي خسرها المسلمون زهاء قرن من الزمان ".

كما ترى في أدبياتها، أن الحكم لله وحده ونظام الحكم هو شرائع الإسلام الذي ارتضاه ربنا للبشرية كدين يتعبد به ونظام حياة شامل وكامل على حد سواء، والإيمان بأن الإسلام بمصادر الشريعة تشكل برنامج الحياة المتكامل بكافة جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أهم أهدافها، إقامة دولة الإسلام وإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية في مجالات الحياة كافة؛ وهذا التنظيم له عدة أذرع في سوريا وفلسطين ومصر ودول أخرى، فتجمع " جند الإسلام " يوجد غالباً في الدول التي يشتد فيها صراع التيارات الجهادية، وهذا التجمع قريب الصلة من السلفية الجهادية والقاعدة، نشؤوا وترعرعوا في سيناء نظراً للظروف التي أتاحت لهم فرصة التمدد، ولكنهم سرعان

ما اندمجوا مع أنصار بيت المقدس نظراً لوحدة الهدف والغاية، فكانت عملية رفح العملية الأولى والأخيرة للتنظيم الذي أطل برأسه مرة واحدة.

ولعل نشأة التنظيم في مصر كان في وقت متأخر بعدما أصبح له امتداد في دول أخرى مثل سوريا وفلسطين، وهذا يدل على أن قيادة التنظيم لمتكن مصرية والتنظيم ذاته لم يكن مؤثراً ولم تكن له قاعدة كبيرة، فسرعان ما ذاب بعناصره داخل أنصار بيت المقدس.

ولذلك أعلنت هذه الجماعة تبنيها عملية تفجرات مبنى المخابرات برفح والتي راح ضحيتها 6 شهداء من الجنود وأصيب 17 آخرون في نفس يوم العملية يوم ١٢ سبتمبر 2013م ؛ فهي أولاً لم تكن قادرة على تنفيذ عملياتها المسلحة بعد العزل مباشرة، ولكنها تأخرت أشهراً لتنفيذ عمليتها الوحيدة وعندما نجحت في ذلك تغنت بها بالإعلان الفوري في نفس يوم العملية على خلاف التنظيمات الأخرى، وكأنها كانت تقصد الإعلان عن العملية وعن نفسها في الوقت ذاته كتنظيم جديد ظهر لمواجهة القوات المسلحة بعد ٣٠ يونيه.

قالت الجماعة، في البيان الذي تبنت فيه العملية، شهد الجميع المجازر الوحشية التي قامت بها العصابة المجرمة المتمثلة في ميليشيات "السيسي" من خونة الجيش المصري الذين باعوا دينهم وضمائرهم بثمن بخس، واتضح التوجه الحقيقي لهؤلاء الخونة من الحرب المباشرة على الإسلام والمسلمين من استهداف مباشر للمسلمين العزل وتدمير المساجد وحرق الجثث والاستيلاء على ممتلكات المعارضين كغنائم حرب، ومرت هذه الجرائم والمجازر تحت تعتيم إعلامي كبير، والتي كان من أحدثها الحملة العسكرية المشتركة مع طائرات العدو اليهودي على أهالي سيناء لتأمين حدود اليهود فتم حرق الممتلكات ومنازل الأهالي وقنص أحد المصلين أثناء عودته من صلاة الفجر وقتل عجوز مسنة داخل منزلها بإحدى قرى الشيخ زويد، وتم استهداف أكثر من مسجد وتدمير بعضها بالكلية بالتزامن مع تهجير السكان من مدينة رفح المصرية وطردهم من منازلهم وتفجيرها لتوفير منطقة عازلة خدمة لأسيادهم اليهود ومحاصرة المسلمين في غزة بالنيابة عن اليهود، ولذلك كان لزاماً على إخوانكم في جماعة " جند الإسلام " سرعة الرد على هذه الجرائم.

لا بد أن نوضح قبل أن نستكمل ما جاء في بيان التنظيم، أن هذه الجماعة نشأت في سيناء وليس في مكان آخر، ولعل تركيزها على ما حدث في سيناء دليل يضاف على تأكيد النشأة.

وأضاف البيان المفصل أنه تم استهداف موقعين أمنيين كبيرين، من بينهما ما أسمته في البيان بوكر المخابرات الحربية في رفح والذي تهاوى عن بكرة أبيه، وذلك بانطلاق أسدين من كتيبة الاستشهاديين بجماعة جند الإسلام، بارك الله في الجهود التي تكللت بتنفيذ عمليتين استشهاديتين كرد سريع وعاجل على هذه الجرائم باستهداف مباشر للعقول المدبرة لهذه الجرائم والتي تلوثت أيديهم بدماء الأبرياء والخيانة.

الجماعة تعهدت في نهاية البيان بأنها سوف تثأر لمن قتلوا على يد قوات الأمن، نعاهد الله ثم نعاهد قبائل سيناء الأبية الثأر المزلزل ضد هذه الجرائم الوحشية، ولن تكل سواعدنا عن الثأر للأعراض المنتهكة والدماء المسالة حتى يعم الإسلام وتحكم الشريعة ويسود العدل في أرض الكنانة.

****

كتائب الفرقان

أول ظهور لهذه الجماعة كان في شبه جزيرة سيناء قبل أن تندمج مع حركات جهادية أخرى، ودخلت في شراكة معها ضمن ما يسمى بمجلس شورى المجاهدين بهدف توحيد الصف والقتال ضد من يرونه عدواً واحداً، فانضمت لجماعة أنصار بيت المقدس، ولعلّ هذا يفسر سبب قوة هذا التنظيم ونجاحه في تنفيذ عمليات كثيرة ومتتالية بعد 30 يونيه، فيمكن اختصار السبب في انضمام كتائب قتالية أخرى لصفوفه، فالغاية يمكن اختصارها في محاولة حسم المعركة لصالحهم ضد عدو يرونه شرساً وقوياً ومواجهته لم تكن بالسهلة.

رغم أن كتائب الفرقان نجحت في تنفيذ عمليات نوعية أعلنت عنها بنفسها، فإنها أثرت ألا تقاتل بمفردها ضمن سرب المقاتلين في سيناء والذي كان يقف على رأسه جماعة أنصار بيت المقدس، وهو ما حدث فعلاً، فأصبح التنظيمان تنظيماً واحداً، ولكن انضم الأقل للتنظيم الأكبر والأكثر نفوذاً والذي يعود إليه أغلب التيارات والتنظيمات الجهادية في سيناء.

تماهى كلا التنظيمين وأعطى قوة وبأساً لأنصار بيت المقدس؛ فكنا نراها تقوم بعمليات متلاحقة كانت تدل على أن القاعدة حدث لها نوع من التمدد وانضم لها أعضاء جدد، على أية حال حلت كتائب الفرقان نفسها لصالح أنصار بيت المقدس.

مما يدل على قوة كتائب الفرقان أنه كان يتسابق مع أنصار بيت المقدس في بداية عمليات العنف بعد ٣٠ يونيه في إعلان أحدهم مسؤوليته عن العمليات العسكرية والتفجيرات التي امتلأت بها القاهرة والمحافظات الأخرى بعد ٣٠ يونيه، ووقتها كانت تكثر التكهنات حول المنفذ لهذه العملية، كتائب الفرقان أم أنصار بيت المقدس.

من أهم العمليات التي قامت كتائب الفرقان بتنفيذها قبل أن تنضم لأنصار بيت المقدس، استهداف العقيد أركان حرب، محمد الكومي، رئيس استطلاع الوحدة الثامنة دفاع جوي، وكان ذلك من خلال كتيبة أطلقت على نفسها كتيبة النصرة وهي تابعة لكتائب الفرقان، وقد نجحت

الكتائب في قتل ثلاثة آخرين كانوا بالسيارة مع العقيد الكومي، كما جاء بنفس الصورة المتحركة التي قامت الكتائب بنشرها قيامها باستهداف رجل قالت إنه من الطغاة والمرتدين، وتم قتله بدم بارد ولم ترد أي إشارة تدل على الشخص.

كتائب الفرقان كانت وراء استهداف السفينة الصينية " كو سكو آسيا " بقذائف أر بي جي في 30أغسطس 2013م.

ظهر في التسجيل المرئي – الذي نشرته الكتائب للعملية الفاشلة بعد أيام قليلة من تنفيذ العملية ومدته خمسون ثانية – ملثمان يطلق كل منهما صاروخاً على السفينة أثناء عبورها دون وقوع أي إصابات وسط صيحات التكبير في أحراش بالقرب من المجرى الملاحي لقناة السويس، وكانت هذه العملية تمثل تجرءاً واضحاً على أهم المرافق الحيوية، وكان هدف الكتائب بطبيعة الحال إيصال رسالة فحواها أننا قادرون على الوصول لكل مرافق الدولة أين كان التأمين عليها، والهدف الأهم نشر الفوضى في البلاد والتأثير على النظام السياسي بعدما يؤثر ذلك اقتصاديا من خلال إحجام السفن عن العبور بممر قناة السويس.

العجيب أن الجماعة قالت في بيان لها تعليقاً على الاعتداء على الممر الملاحي: " إنها ستعاود مهاجمة المجرى مرة ثانية وتوجيه ضربات قاصمة للنظام وأعوانه ومؤسساته، وهي ما فشلت في تحقيقه بسبب التحصينات الأمنية، وختمت بيانها بأن صناديق الذخيرة أبلغ من صناديق الانتخابات، وكأنها توجه رسالة عبرة لجماعة الإخوان المسلمين التي يظن البعض أنها خرجت دفاعاً عنها وقد كانت تعتمد على الصندوق للوصول إلى السلطة بديلاً عن الجهاد.

ختمت بيانها بالقول: " أنها سوف تظل على عهدها حتى تكون كلمة الله هي العليا ".

واضح من كلتا العمليتين من خلال التسجيل المرئي سواء الخاص بمقتل العقيد محمد الكومي ومدته لم تتجاوز الدقيقتين و ١٨ ثانية، ولم تكن كلها لضرب " الكومي " وإنما سبقها مقطع يظهر فيه أحد أعضاء التنظيم يقوم بتصفية من قالت عنه إنه مرتد، وقامت بإعادة المقطع مرات ومرات دونأن تصحبه أي مقاطع صوتية للظواهري أو أسامة بن لادن أو غيرهما من دعاة التكفير، كما

في تسجيلات أخرى لجماعات وتيارات جهادية وتكفيرية كانت تتخذ من التسجيلات المرئية لقيادات القاعدة عنواناً للبيانات التي تخرج عنها.

ظهر شعار كتائب الفرقان أعلى التسجيل المرئي وهو عبارة عن علم أسمر كتب عليه عبارة التوحيد، لا إله إلا الله وكتب تحتها كتائب الفرقان، وقد أشارت في نفس التسجيل إلى جبهة النصرة وقالت إنها هي التي تدافع عن المستضعفين في الأرض وكتبت إن هذه العملية انتقاماً لما حدث في رابعة العدوية والنهضة والحرس الجمهوري، وغيرها من تجمعات الإخوان التي كانت تطالب بعودة " مرسي " للسلطة مرة أخرى.

وأغلب التكهنات تذهب إلى أن هذه الجماعة نفذت أكثر من عملية ولكن لم يسعفها الحظ إلا الإعلان عن هاتين العمليتين قبل أن تنضم لجماعة أنصار بيت المقدس، ولعلّ هذا هو السرّ وراء بعض العمليات التي لم تعلن جماعات جهادية تبنيها حتى هذه اللحظة، فقد تكون كتائب الفرقان نفذتها، ثمَّ انضمت بعدها لأنصار بيت المقدس، وبالتالي لم تكن هناك فرصة للاعلان أو أنها لم تجد فائدة عن الإعلان عنها وهي قد انضمت لجماعة أخرى.

وللمناسبة هناك جماعات أخرى قامت بالاختفاء مثل جماعة جند الإسلام، ولعلّ هذه الجماعات هي وراء بعض العمليات التي لم يعلن أحد عن تنفيذها؛ فجماعة جند الإسلام نفذت عملية واحدة واختفت تماماً من الساحة.

****

الجهاز الإعلامي للتنظيمات الجهادية

تمتلك أنصار بيت المقدس جهازاً إعلامياً قوياً قادراً على تصوير كل كبيرة وصغيرة في العمليات العسكرية المسلحة ونشرها، دون أن تتمكن أجهزة الأمن من الوصول إليها أو إلى الفاعلين في نشر هذه المواد، وهذا لا يقتصر على جماعة أنصار بيت المقدس، بل ينسحب إلى بقية التنظيمات الجهادية التي نشأت بعد 30 يونيه، مثل جماعة أجناد مصر وأنصار الشريعة في أرض الكنانة وغيرهم؛ فهذه الجماعات قادرة بشكل كبير على تطويع التكنولوجيا الحديثة وبخاصة في مجال الإعلام، والبعض يرى أنها استخدمتها بشكل أفضل من الأجهزة الأمنية فكانت سابقة عليها.

تعتبر هذه التنظيمات وغيرها العمل الإعلامي جزءاً من خطتها الفاعلة لكسب الصراع الذي تخوضه ضد أجهزة الدولة عموماً؛ ولذلك نلحظ تطوراً إعلامياً في أداء هذه التنظيمات لم يسبق له مثيل في مراحل الصراع المختلفة، بدءاً من الأدوات المستخدمة في التصوير وانتهاء بالجرافيك والمونتاج للعمليات التي يقومون على تصويرها، حتى طريقة نشر هذه البيانات والصور المتحركة، ولعلهم استفادوا كثيراً من التنظيمات الجهادية والتكفيرية خارج الحدود فاستطاعوا أن يكتسبوا خبرة إعلامية طوروا منها، وصلت درجة الوعي فيها إلى استخدام كاميرات متطورة في تصوير العمليات المسلحة لديها قدرة على التصوير الليلي فضلاً عن التصوير الحرفي لأغلب العمليات، وبالتالي نجحوا في إنتاج صور مرئية على مستوى عالي، مع العلم أنهم يقومون بالتقاط هذه الصور إما أثناء التجهيز للعمليات أو أثناء تنفيذ العملية ذاتها، ورغم ذلك ينجحون في إنتاج صور على مستوى عالٍ.

الملاحظ في التسجيلات المرئية التي تقوم التنظيمات الجهادية بنشرها، اختيار الوقت والمكان المناسبين؛ ولذلك احتارت أجهزة الأمن فىتحديد بوصلة التنظيم الإعلامية أو التوقع بنشر موادها الإعلامية، ومن ثم فشلت في محو أغلب المواد التي تقوم هذه التنظيمات بنشرها نظراً لاستخدام تقنية خاصة في نشر المواد، ومرات تلجأ أجهزة الأمن لحذف هذه المواد ولكن بعد فترة طويلة من موقع يوتيوب أو ربما ينتبه إلى ذلك يوتيوب فيقوم بحذف هذه المواد، وعندما توقعت بأنها سوف تقوم بحذف أحد الفيديوهات الخاصة بإحدى العمليات العسكرية، والتي كان يتضح منها استعراض القوة بعد توجيه ضربات قاتلة وقوية لها من قبل أجهزة الأمن قامت بنشر صور فوتوغرافية بجوار المادة المرئية لمواجهة المحاولات الدؤوبة لحذف هذا التسجيل تحديداً، فكانت الصور معيناً على وصول فكرتها حتى استطاعت نشر الفيديو مرة أخرى على منتديات ومواقع أخرى تابعة للتنظيم، وربما يتم إدارتها من خارج الحدود المصرية، قامت بنشر عدد ضخم جداً من الصور التي تترجم الفيديو ويتضح من خلالها الرسالة التي استهدفتها.

مع الوضع في الاعتبار أن الصور المتحركة التي تقوم هذه التيارات بنشرها حدثت في وقت متأخر بعد ٣٠ يونيه، وأغلب الظن أن هذه التيارات استفادت كثيراً من مثيلاتها في الخارج عندما شاءت الأقدار أن يسافر بعض هؤلاء الجهاديين للخارج فاستطاعوا أن ينقلوا خبرة الخارج في المجال الإعلامي.

من الملاحظات العجيبة في أغلب الصور المرئية التي نشرتها هذه الجماعات بعد **30** يونيه، أنها تستخدم طريقة الخداع والتضليل في حربها الإعلامية، وكثيراً ما نشرت أنها تتبرأ من أي حسابات لها على مواقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك أو تويتر، ثم نجدها تسبق بنشر هذه المواد على نفس المواقع التي سبق وقالت إنها غير مسؤولة عما يرد فيها أو من خلالها، ولعلّ التفسير الأدق لذلك، أنهم يخشون تصيد القائمين على هذه المواقع من قبل أجهزة الأمن حيث يمكن تتبعهم بسهولة ويسر، كما يمكن اختراق هذه الحسابات ونقل بيانات عن هذه التنظيمات.

ورغم أنهم يلزموا أنفسهم بالنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، فإنهم كانوا أحرص على النشر على هذه المواقع الاجتماعية حتى يطلع على موادهم الإعلامية عدد أكبر من الناس، ويستغلوا الزخم الذي تحدثه هذه الصفحات من المتابعة ويهربوا في الوقت ذاته من أي ملاحقة أمنية أخرى أو أي محاولة قد تخلخل تحركات المجموعات أو السرايا التي يصعب التواصل بينها عندما تشتد المواجهات الأمنية، وبالتالي تفوت الفرصة على أجهزة الأمن في الايقاع بأنصار التنظيم، وهنا يصبح التواصل عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة.

****

مواقع ومنتديات جهادية

- منتدى شبكة حنين

يحمل المنتدى في صدر صفحته الرئيسة الآية القرآنية " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " شعاراً له وأغلب المواد المنشورة على المنتدى تعود للدولة الإسلامية في العراق وبعضها للدولة الإسلامية في العراق والشام والمعروفة إعلامياً بـ " داعش " ؛ ولذلك تفاجأ على الرغم من أهمية بعض البيانات والتسجيلات المرئية التي تصدر من مصر، أنك تجدها منشورة في آخر المنتدى رغم حداثتها في التاريخ وقوتها في التأثير، وهو ما يؤكد أن القائمين على المنتدى ليسوا مصريين وأن مصر مجرد مصدره فحسب للمواد الإعلامية لبعض التيارات الجهادية؛ ولو كان غير ذلك لوضعوا بياناتها في صدارة المنتدى أو على الأقل اهتموا بها كما يهتمون بباقي المواد الإعلامية التي تخص الدولة الإسلامية في العراق والشام، ولكنها كثيراً ما توضح في الذيل بغض النظر عن كونها حديثة.

قبل أن ننشغل بتفصيل ماهية هذا المنتدى نحب أن نفصل القول بأن الجماعات الجهادية تغير استراتيجيتها الإعلامية بين الوقت والآخر، فتارة تقول إنها لا تستخدم تويتر وتارة تعلن عن حساب لها على تويتر.

فخرجت في بيان لها قبل ذلك تقول، إنه لاحساب لها على تويتر وتارة أخرى أعلنت عن حساب لها وقالت إنه حسابها الجديد بما يعني أنه كان لها حساب قديم، فجاء في بيانها، نعلن أن المصادر الرسمية الوحيدة لبيانات وإصدارات الجماعة هي: -

-حساب الجماعة الجديد على تويتر(http://twitter.com/Ansar_B_Almqds).

-شبكة شموخ الإسلام وشبكة الفداء الإسلامية.

لا يوجد لدينا حسابات أخرى على مواقع التواصل الاجتماعي، وعلى وسائل الإعلام تحري المصداقية في نقل أخبار الجماعة!.

ينقسم المنتدى الجهادي إلى عدة أبواب أولها، ما الجديد، وأيقونة المنتدى وأيقونة ثالثة مكتوب عليها الرئيسية والأرشيف وأقسام المنتديات.

كما تحتوى منتديات شبكة حنين على عدة أقسام يمكن للمتصفح أن ينشر فيها في مقدمتها:

- قضايا الأمة وأحداث الساعة.
- المنتدى العام.
- منتدى الصور.
- المرئيات.
- قانون الشبكة.
- مبادئ الشبكة.

منتدى شبكة حنين من أهم المواقع الجهادية ويأتي في المقدمة، حيث تنشر على صفحته أغلب البيانات والصور المرئية، فما ينشر من بيان في منتدى جهادي إلا ويكون منتدى حنين من بين هذه المنتديات بل وفي المقدمة منها، ولذلك خصص خدمة على المنتدى لنشر بيانات الفصائل المقاومة في العراق بأكملها.

****

المنبر الإعلامى الجهادي

المنتدى يتبع الدولة الإسلامية في العراق هو الآخر والتي بايعت تنظيم القاعدة؛ ولذلك تجد أغلب المواد المنشورة تخص دولة الإسلام في العراق وعملياتها، ويحمل المنتدى علم القاعدة، كما يحوي أرشيف أسامة بن لادن الصوتي، وكثيراً ما يصاحب صوته للصور المتحركة التي تلي تنفيذ العمليات المسلحة في العراق، هذا قبل أن تحدث خلافات بين القاعدة وتنظيم دولة الإسلام، ويبدو أن القائمين على هذا المنتدى غير معنيين بهذا الخلاف ويدعمون أي توجه جهادي ولا يقفون مع المختلفين.

يعتبر نفسه أصل كل المنتديات الجهادية ويلاحظ ذلك من اسمه وتعريجه على ذلك تحت شعار المنتدى في الصفحة الرئيسة، نحو إعلام إسلامي هادف؛ يحوي مواد إعلامية كثيرة ومتنوعة وتحرص أغلب التنظيمات الجهادية على نشر موادها خلاله.

ويبدو أن المنتدى يبث من العراق هو الآخر والتي تتمتع بنفوذ طائفي يسمح للتيارات الجهادية أن تعمل في سلام دون تعقب من أجهزة الأمن نظراً لقوتها، ولذلك تسمح لغيرها ممن تتفق معهم أو حتى تختلف معهم أن ينشروا ما يريدون على المنبر وتكتفي بنشر تنويه مضمونه أنها غير مسؤولة عما ينشر على المنتدى، وربما يفسر ذلك نشرها مواد للدولة الإسلامية في العراق وفي الوقت نفسه نشر علم القاعدة، ورغم وجود خلافات بين هذه التنظيمات وصلت لحد أنكر فيها كل منهما على الآخر طريقة عمله وطالبه بمراجعة أهدافه.

التنويه المنشور على المنتدى: " نحيط علمكم أن منتديات المنبر الإعلامي الجهادي منتدى مستقل غير تابع لأي تنظيم أو حزب أو مؤسسة من حيث الانتماء التنظيمي، بل انتماؤنا وولاؤنا التام والمطلق هو لإخواننا الموحدين شرقاً وغرباً ممن انتهجوا نهج الطائفة المنصورة علماً وعملاً وخلقاً، كما أن المواضيع المنشورة من طرف الأعضاء لا تعبر بالضرورة عن توجه المنتدى، إذ إن المواضيع لا تخضع للرقابة قبل النشر ".

ويبدو أن القائمين على المنتدى يدركون حجم معاناة التيارات الجهادية في الشرق والغرب من عدم وجود منابر تعبر من خلالها هذه التيارات عن نفسها سواء في نشر البيانات أو التسجيلات المرئية، ولذلك أتاحت لها هذه الفرصة لنشر ما تريد دون تدخل، اللّٰهُمَّ إلا التنويه بأنها غير مسؤولة عما ينشر على صفحتها، ولا تتدخل فيما ينشر على المنتدى بشكل عام.

وكالة الأنباء الإسلامية حق

تبدو فكرة هذه الوكالة كما أصر عليها أصحابها مختلفة؛ فهي لم تكن منتدى بالمفهوم الذي عليه كافة المنتديات الجهادية التي ينشر عليها الجهاديون موادهم المقروءة أو المسموعة أو حتى المرئية، وإنما هي أشبه بموقع إلكتروني يحوي مواد مخفية وإعلامية وأرشيفية أيضاً وغالباً ما ترفع هذه المواد من قبل القائمين على الوكالة.

تعد الوكالة - كما تقول عن نفسها - مصدراً مفتوحاً للمعلومات، الأخبار من المصدر إلى المتلقي مباشرة، لا تتبع لأي حزب أو تنظيم وتقوم بنشر الأخبار المستقلة، كما أنها تعرف نفسها بأنها مصدر مفتوح.

وتبدو هذه تيمة كل المواقع والمنتديات الجهادية أنها تنشر لمن تقول عنهم الموحدين الذين يسعون لإقامة دين الله، وهي بطبيعة الحال لا تستطيع مناقشة من يرسل هذه المواد لأسباب أمنية طبعاً تمنع من فكرة التواصل، ولذلك تسعى لنشر المواد مباشرة وتلحق ذلك بعبارة أنها غير مسؤولة عما ينشر.

من التعريفات التي تطلقها على نفسها، أنها تهتم بشؤونالمسلمين في جميع أرجاء العالم؛ ويظهر ذلك من خلال قبة أحد المساجد على يسار الوكالة وليس علم القاعدة المنتشر في أغلب المنتديات الجهادية أو في جزء كبير منها.

تنشر الوكالة مواد إعلامية متنوعة ومختلفة، ولا تختص فحسب بالنشر للدولة الإسلامية في العراق والشام كما يبدو في العديد من المنتديات، وتخص بالنشر أخبار جهاديين وتحتفي بهم في صفحاتهم

الرئيسية في السعودية وأفريقيا الوسطى والجيش الحر في سوريا وأنصار الشريعة في ليبيا وغيرها من الأقطار الأخرى، وتبدو هذه الصفحة مميزة عن غيرها بنشر أخبار الجهاديين في هذه البلدان وغيرها، وهو ما لم يتواجد في صفحات جهادية أخرى.

ومن الملاحظ أن وكالة الأنباء الإسلامية حق، تقوم بنشر أي مواد إعلامية خاصة بالجهاديين حتى ولو سبق نشرها على مواقع ومنتديات أخرى، فيبدو أن الأمور بالنسبة لهم غير مرتبط بالأسبقية، فهم لا يمانعون من نشر مواد سبق نشرها على مواقع أخرى، ومرات تستخدم الجماعات الجهادية المواقع غير المشهورة في نشر البيانات عليها تضليلاً لأجهزة الأمن وحتى لا ينكشف أمر من يقومون برفع وإرسال هذه المواد لهذه المواقع وبالتالي لا بد أن تكون هناك مواقع بديلة يتم تحميل المواد عليها بين الوقت والآخر.

- منتديات شبكة شموخ الإسلام.
- منتديات فداء الإسلام.
- شبكة مصر الكنانة.
- الجيش الإسلامي الحر.
- مركز ابن تيمية للإعلام.

من أهم المواقع الوليدة التي يتم بثها من مصر، فعندما تدخل إلى هذه المواقع تكتشف إنك أمام كم هائل من الأخبار التي تهتم بالجهاديين في مصر عموماً، وقد ترى بيانات وتسجيلات مرئية، قد لا تراها في مواقع أخرى، فمرات تلجأ إليها التيارات الجهادية في حال النشر عندما يكون عليها تضييق، فتضطر للنشر على مواقع يديرونها من داخل الحدود.

يتصدر بعض هذه المواقع قول الله تعالى: **" فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يكُفَّ بأْسَ الَّذِين كَفَرُواْ و اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلا ".**

يأخذ الشكل التعريفي لبعض هذه المواقع الزخارف العربية التي كتب عليها، نصرة للقابضين على الجمر في زمن الغربة، ووضع أعلى هذه المواقع صورة علم أسود كتب عليه لا إله إلا الله ودعوة للاشتراك في مواقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك وتويتر.

على الأرجح أن مجلس شورى المجاهدين والذي يضم الجماعات والتيارات الجهادية هو من يشرف على بعض هذه المواقع والمنتديات، وبعض هذه المواقع والمنتديات على صلة وثيقة بتنظيم القاعدة، وكان ذلك واضحاً من تغني هذه المواقع باستهداف برجيّ مبنى التجارة العالمي الذي قام " بن لادن " ورجاله من القاعدة بضربه.

****

قبائل وعائلات سيناء الإرهاب منها وإليها

بقعة غالية من أرض الوطن، محط الرسل والأنبياء والصالحين، فمصر كنانة الله في أرضه؛ ورد ذكرها في القرآن الكريم خمس مرات بما يعد تكريماً من الله لم يحظَ به بلد غيرها، حطت أم المؤمنين مارية القبطية، زوج النبي (ص) على أرض سيناء بعد أن أهداها المقوقس، ملك مصر وعظيمها في ذلك الوقت، لرسول الله (ص) وهي التي أنجبت له ولده إبراهيم.

سيناء أرض غالية خرج منها الإرهاب واكتوى أهلها بالإرهاب في الوقت نفسه وبسببه تعرض أهلها لبعض الضغوط الأمنية.

وقد تعرضوا لطعنات غادرة من التنظيمات الجهادية عندما ظنوا أنهم تعاونوا مع أجهزة الأمن ضدهم، فهم دائماً في موضع الاتهام، بؤرة مشتعلة كانت في الماضي مع اليهود في حروب ممتدة واحتلال دام لسنوات، حتى واصلت فكانت بؤرة مشتعلة داخلياً وأهلها دفعوا الضريبة من استقراهم، كما دفعوا دماءهم في سبيل معارك وما زالوا يدفعونها حتى هذه اللحظة.

دراسة طبيعة سيناء وأهم القبائل الموجودة فيها وطبيعة الجغرافيا أمر في غاية الإفادة، خاصة وأغلب التيارات الجهادية التي نشأت بعد **30** يونيه كانت سيناء بالنسبة لها محطه مهمة، أما من حيث النشأة أوالتدريب أو كانت محطة التقاء الجهاديين وأغلب العمليات التي تم تنفيذها كان لسيناء، النصيب الأكبر منها، وفيها بدأت المعركة ولا أظن أنها سوف تنتهي وانخفتت بعض الشيء لأسباب كثيرة لها علاقة بالموروث والطبيعة الجغرافية والإنسانية.

حط في سيناء أبو الأنبياء، إبراهيم خليل الرحمن عندما تزوج السيدة هاجر، عليه وعلى نبينا (ص)، وهي التي أنجبت له ولده إسماعيل وخرج منها لوادٍ غير ذي زرع عند بيته المحرم.

وفيها كلم الله موسى عليه السلام، عندما فرَّ هارباً من فرعون، ومنها خرج نبياً عندما ناداه من جانب الطور وقربه إليه نجيا.

فيها هرب نبي الله عيسى ابن مريم وأمه الطاهرة السيدة البتول مريم ابنة عمران هرباً من اليهود حتى آووا إلى ربوة ذات قرار مكين.

عبر من خلالها سيدنا يوسف عليه السلام طفلاً بعد أن أنقذه السيارة من البئر ثم أسروه بضاعة ليشتريه بعد ذلك عزيز مصر، وفيها عبر نبي الله يعقوب عليه السلام، بعد أن ارتد بصيراً ليرى فقيديه، يوسف وبنيامين في مصر.

سيناء بقعة مباركة من أرض مصر، لا تغيب هذه الملامح عن التيارات الجهادية، بل تمثل زخماً دفع هذه الجماعات للعمل وأتاح التاريخ بيئة للعمل العسكري، والعيب كل العيب ليس في التاريخ الناصع وإنما فيمن استخدم هذا التاريخ حتى حول هذه المنطقة المباركة التي تشع منها الروح الدينية لكرة ملتهبة من النار تأكل الأخضر واليابس وتلبس على الناس دينهم فيتحول أهلها إما لضحايا أو مجرمين وغالباً تحول لضحايا ومتهمين بالإرهاب في الوقت نفسه.

عوداً لهذه البقعة المباركة من مصر، لم تكن سيناء محطاً للرسل والأنبياء فحسب وإنما بذل جنود مصر على أرضها الغالي والنفيس للدفاع عنهاواستردادها بعد حرب امتدت لسنوات مع إسرائيل، وما زالوا يدفعون من أجلها ويبذلون الغالي والنفيس وسوف يظلون على ذلك إلى يوم الدين، ولا نستثني أهلها وشعبها الذي نشأ وشب على ثراها محافظاً عليها ومصراً على البقاء فيها رغم ما يتعرض إليه البعض من تحديات.

امتاز سكانها بالحفاظ على بقائها حية بعد أن اشترك الجميع في نسيانها؛ فاحتفظوا بها وعاشوا فيها وتكبدوا المشاق من أجل أن تظل عامرة بأهلها، فطابت بهم أرضاً وحياة، ولكننا نسيناها ووضعناها خلف ظهورنا رغم أننا بذلنا جهوداً عظيمة لاستردادها دون أن نصل إلى سر ذلك، نبذل الدماء الغالية من أجل الحصول عليها، ثم ننساها وكأننا نستردها معادلة صعبة ولكنها تحققت!

عندما تقترب من أهلها تشعر أنهم تشبعوا حباً بسيناء رغم ما عانوه ويعانونه منذ قديم الأزل؛ تحملوا كثيراً من أجل البقاء في هذه البقعة رغم قلة الخدمات ورغم أنهم لم يتملكوا أراضيهم

وكانوا دائماً موضع اتهام مستمر في ولائهم للوطن، ولكنهم أصروا أن يكونوا سيناويين فأصبحوا بامتياز، تارة يزعجهم الأعداء وتارة أخرى يزعجهم الأقربون.

من المواضع التي ورد فيها اسم مصر صراحة في القرآن الكريم، قوله تعالى في سورة البقرة: **" إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ " البقرة الآية (61).**

كما ورد ذكرها أيضاً في سورة يونس: **" وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" يونس الآية (87) .**

كما ورد ذكرها في سورة يوسف:**" وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ "** وجاء في نفس السورة **"فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " يوسف الآية (21 ، 99).**

من المواضع الأخرى في سورة الزخرف: **" وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ".**

ذكر مصر لم يقتصر على القرآن الكريم وإنما جاء أيضاً في الأحاديث الشريفة، إذ ورد عن الرسول (ص) أنه قال: "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فهم خير أجناد الأرض وأنهم في رباط إلى يوم الدين "، وقال رسول الله (ص) أيضاً: " ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً ".

يعود أصل ونسب قبائل شبه جزيرة سيناء إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام، وتنقسم هذه القبائل حسب التقسيم الإداري إلى قبائل تنتشر في الشمال وأخرى في الجنوب وقبائل ثالثة تنتشر في الوسط حسب التقسيم القديم للمحافظات.

قبيلة السواركة من أهم القبائل التي تنتشر في محافظة شمال سيناء وتعد أكبرها وتسكن على وجه التحديد في ضواحي مدينة العريش وتمتد إلى الشيخ زويد.

تتكون هذه القبيلة من 13 عشيرة وعائلة، أهمها الجراوين والعيايطة والمقاطعة والتي تسمى منطقة في الشمال باسمها، وكان لهذه القبيلة دور كبير في دعم القوات المسلحة في الحروب التي دارت على أرض سيناء مع إسرائيل.

ينتمي إليها شادي المنيعي، الذي قاد بعض العمليات العسكرية ضد القوات المسلحة وقيل أنه قتل؛ ولكن خرجت أنصار بيت المقدس تنفي الخبر ونشرت تكذيباً وصوراً للمنيعي وهو يقرأ خبر قتله على أحد المواقع الإلكترونية، وسلامة حرب، فهما ينتميان إلى عائلة المنيعي وتحديداً إلى عشيرة المقاطعة التي تنتمي بدورها إلى قبيلة السواركة.

وكان يعمل الكثير من المنتسبين إلى هذه القبيلة في التهريب عبر الأنفاق التي تصل بين مصر وفلسطين، وقد قبض على بعضهم وأشهرهم، شادي المنيعي، وتم إيداعه سجناً شديد الحراسة والمعروف بالعقرب، وهو ما أتاح لهم وللمنيعي الاقتراب من الجماعات والتنظيمات التكفيرية التي كانت تسكن سجناً شديد الحراسة، وهو ما ساعد في نمو الأفكار التكفيرية لديه، وقد سمحت الأرض وبعد المكان في تنامي التكفير وأفكاره الداعية إلى القتل، ويضاف إلى ذلك أن عائلة السوراكة يغلب على أهلها الورع والصلاح وهو ما ساعد إلى التلاقي مع بعض التكفيريين.

كما ذكرنا تتكون قبيلة السواركة من١٣ عائلة وعشيرة، أهمها: الجراوين، الدهيمات، المقاطعة، العيايطة (أبو عيطة)، السلاميين، العرارات، الغيتات، الجبالية، الريشات، الجريرات.

يضاف لقبيلة السوراكة 11 قبيلة أخرى بمحافظة شمال سيناء بعضها ينقسم إلى عدة عشائر والبعض الآخر يضم عشيرة واحدة؛ من هذه القبال: الرميلات، البياضية، بلين الأخارسة، العقايلة، الدواغرة، السماعنة، العيايدة، الرياشات، المساعيد، العكور.

ينتمي د. خالد مساعد، إلى عائلة المساعيد، التي تعد فرعاً من قبيلة الأحيوات التي تسكن وسط سيناء وهي تعد من أهم وأقوى القبائل في العريش بعد السواركة، ويعود إليها المؤسس الأول لجماعة التكفير والجهاد والتي كانت سميت بعد ذلك بالتوحيد والجهاد ومن أسمائها أيضاً أنصار

الجهاد، هذه التنظيمات في العموم مسميات مختلفة لفكرة واحدة تكونت منها جماعة أنصار بيت المقدس فيما بعد.

منطقة وسط سيناء والتي يسميها البعض بالتيه يوجد بها أربع قبائل فقط، ويقال: إن اليهود تاهوا فيها أربعين عاماً كما نصت على ذلك النصوص المقدسة في القرآن الكريم، هذه القبائل، التياهة وتنتشر في منطقة الوسط وبخاصة جبل الحلال، والترابين، والأحيوات، والحويطات.

أما بخصوص الجنوب فتوجد عشر قبائل ويسمون بقبائل بلاد الطور، أهم هذه القبائل، العليقات أو العليجات والمزينة أو أم زينة، والصوالحة، والقرارشة أو الجرارشة والجبالية وأولاد سعيد والحماضة وبني واصل والجراجرة والبدارة

ينتشر أغلب التكفيريين في قبائل الشمال والوسط أكثر من انتشارهم في قبائل الجنوب، تلك المنطقة التي يغلب عليها العمران والسياحة، أما الوسط فأغلبه منطقة صحراوية بها جبل الحلال، ومنطقة الشمال صحراوية هي الأخرى يتوه فيها من يدخلها غير أهلها ويعتمد سكانها على القبلية، وينزع بعضهم إلى التطرف بحكم الطبيعة التي يعيشونها وعدم وجود مقوم أساسي لهم من وي أو ثقافة أو دين، فضلاً عن توافر عوامل أخرى كما ذكرنا منها تأثر بعضهم ببعض الأفكار التكفيرية لآخرين هجروا إليهم أو التقوهم في السجون بحكم عملهم في التهريب عبر الأنفاق التي توصل إلى غزة، وربما قرب فلسطين من منطقة شبه جزيرة سيناء كان له أيضاً مغزى في تحريك العواطف الدينية التي بدأت مع بعض التنظيمات بضرب إسرائيل ثم تطورت إلى ضرب الشرطة الداخلية والجيش المصري، وكل التيارات الجهادية تحت هذا المنحى بعد ٣٠ يونيه.

تحكم البدو عادات وتقاليد تجعلهم لا يقومون بتسليم من يتورط في استخدام العنف وإن كانوا يختلفون مع أفكاره أو تسبب لهم هذه الأفكار إزعاجاً ومشكلات لا حصر لها، ولذلك تجد الكثير منهم ينأى بنفسه عن المساعدة في الإيقاع بمن تورطوا وقتلوا، والأدهى أنك تجد بعضهم يفرض عليهم الحماية، فهم يرون أن مساعدة الضعيف واجب حتى وإن كان مداناً وأن تسليمه والإرشاد عنه جريمة وخيانة، ولذلك تجد التيارات الجهادية تعمل في العلن دون مواربة أو خوف؛ لأنهم

يعملون داخل قبائلهم التي تأبى أن تسلمهم أو ترشد عنهم، وعندما يموت منهم فرد تجد القبيلة تخرج عن بكرة أبيها تخرج لتشيع جنازة الفقيد وغيرها من السمات التي تحكمها الطبيعة القبائلية أكثر، وهو ما يسمى بالأحلاف والقلائد والتي تمنع القبائل من مقاتلة الخارجين عليها.

وهذه إن كانت قاعدة فلا يمكن تعميمها؛ فقد اتفقت القبائل والعائلات في سيناء، على قتل شادي المنيعي، ويحاولون ذلك، بعدما فرضوا عليه الحماية لفترة طويلة، ويبدو أن قتل المنيعي لبعض أبناء قبيلته وبعض عوائل القبائل الأخرى بحجة أن هؤلاء، مرتدون وكفرة ويعاونون السلطان والطاغية وأنهم يتعاونون مع الجيش المصري،كما أن هذه القبائل تحاول الوصول للمنيعي للانتقام منه.

وتجد القوات المسلحة مشكلة في التعامل مع بعض القرى التي يتواجد فيها هؤلاء الجهاديون الذين فضلوا أن يكونوا موجودين وسط الأهالي داخل القرى كنوع من أنواع التخفي وليس في المناطق الجبلية كما كان من قبل، والتي تسهل لقوات الأمن التعامل معهم من خلال طائرات الأباتشى المروحية وبالتالي يقع منهم ضحايا أكثر، وبالتالي أجهزة الأمن تجد مشكلة في مواجهتهم وسط الأهالي خشية أن يصابوا في المعارك الدائرة.

وجود هؤلاء وسط الأهالي دفع قوات الأمن للتفكير أكثر من مرة قبل ضرب هذه المناطق، ومرات تمتنع عن ضربها أخذا بالأحوط خشية أن تكون الطامة كبرى وأعداد القتلى كثيرة وهي غير قادرة على التفريق بين المستهدف وغير المستهدف، من له صلة بأعمال العنف ومن لم يكن له صلة، خاصة وأن هؤلاء التكفيريين يتخفون وسط الأهالي ولديهم قدرة على ذلك.

على كل الأحوال هذا لم يمنع وقوع أبرياء ضحايا ربما لتخفي هؤلاء الجهاديين وسط عموم الناس أو إخفاء الناس لهم أو إفراط الأجهزة الأمنية في استخدام القوة، وعلى كل الأحوال الضحايا كانت أكثر من المتوقع، وربما يرجع ذلك إلى أن ما يحدث على أرض سيناء كان بمثابة حرب وليست مجرد مواجهات.

المراجع

1-كتاب ألغام في منهج الإخوان د/ أحمد ربيع الغزالي

2- كتاب ضلالات الإرهابيين و تفنيدها د/محمد مختار جمعه - وزير الأوقاف

3-بناء الشخصية الوطنية للدكتور /محمد مختار جمعه - وزير الأوقاف

4- الإرهاب منظور نفسي اجتماعي د/عبدالمنعم شحاته

5- المواجهه الدينية لظاهرة الإرهاب د/سعد الدين هلالي

6- خريطة الجهاد المسلح في مصر - منير أديب

****

الإخوان المسلمون

من الدعوة إلى الجهاد المسلح

صبري خطاب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1443 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com